
آن لاموت
مكتبة 1034
طائرٌ
إثرَ
طائرٍ
بعض التعاليم
حول
الكتابة والحياة
ترجمة: إيمان معروف
أثر

طائر إثر طائر

طائر إثر طائر

تأليف: آن لاموت

ترجمة: ايمان معروف

الطبعة الأولى: 2021 / 1443

ردمك: 978-603-91676-6-2

رقم الايداع: 990 / 1443



دار أثر للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

تلفون: 00966505774560

الموقع الإلكتروني: www.darathar.net

البريد الإلكتروني: info@darathar.net

طائر إثر طائر

بعض التعاليم حول الكتابة والحياة

آن لاموت

ترجمة: ايمان معروف





هذا الكتاب هدية لدون كاربنتر

و

نشاما فرانكلين

و

جون كاي

شكر وتقدير

أود الإعراب عن شكري وتقديري الكبيرين لجميل المعروف الذي أدين به للكتّاب الذين أطلعوني على أشياء حكيمة تخصّ الكتابة على مر السنين: مارتن كروز سميث، وجين فان دنبرج، وإيثان كانين، وأليس آدامز، ودينيس ماكفارلاند، وأورفيل شيل، وتوم ويستون.

وما كان لي أن أتمكّن من إنجاز عملي هذا لولا الدعم المستمر والرؤية الحكيمة للمحرر، جاك شوميكر. وأيضاً الرائع تشاك فيريل وكيل أعمالي، ومثله العزيزة نانسي بالمر جونز، التي قامت بنسخ هذا الكتاب (وكتابي الأخير) بمهارة واهتمام ودقة هائلة.

أود أن أذكر مرة أخرى أنني لا أعتقد أنني كنت سأبقى على قيد الحياة اليوم لولا رعية كنيسة سانت أندرو المشيخية، مارين سيتي، كاليفورنيا.

قال لي سام في ذلك اليوم: «أحبك مثل 20 ديناصوراً على 20 قمة جبل»، وأنا أحبه بهذا القدر بالضبط أيضاً.



المقدمة

نشأت في حضن أب وأم يطالعان الكتب طوال الوقت وكلما سنحت الفرصة لهما، واعتادا اصطحابنا إلى المكتبة مساء كل خميس لاختيار الكتب التي سنقرأها في غضون الأسبوع القادم. كان والدي في معظم الليالي يجلس مسترخياً بعد العشاء على أريكته منغمساً في القراءة، بينما تجلس والدتي صحبة كتابها على كرسيها المريح، ونتوزع، نحن الأطفال الثلاثة، على مقاعد القراءة الخاصة بكل واحد منا. يسود الهدوء عموماً على منزلنا بعد العشاء ما لم يستقبل والدي بعض أصدقائه من الكتّاب والمؤلفين. فقد كان والدي كاتباً كمعظم الرجال الذين يتسكع معهم. لم يكونوا أكثر الناس هدوءاً على وجه الأرض، بل كانوا في الغالب ذكوريين ولطفاء للغاية. عادة ما يرتادون في فترة بعد الظهر بعد انتهاء ساعات العمل حانةً لا اسم لها في سوساليتو، وفي أحيان أخرى يرافقونه إلى منزلنا لتناول الشراب وكثيراً ما يتناولون طعام العشاء معنا. لقد أحببتهم، لكن في مراتٍ كثيرة كان أحدهم يفقد الوعي على مائدة العشاء. كنت طفلة حساسة في ذلك الوقت، وتلك الأشياء كانت تثير قلقي.

كل صباح، بغضّ النظر عن تأخر موعد نومه الليلة الفائتة، يستيقظ والدي في الساعة الخامسة والنصف، يجلس إلى مكتبه، يكتب بضع ساعاتٍ، ثم ينهض ليعد لنا الإفطار جميعاً، يقرأ الصحيفة مع والدتي، ويعود من جديد إلى العمل طوال فترة الصباح. مرّت سنواتٌ عديدة قبل أن أدرك أنه فعل

ذلك باختياره لكسب الرزق، وأنه ليس عاطلاً عن العمل أو مريضاً عقلياً كما ظننت. كنت أرغب في أن يحصل على وظيفة اعتيادية وأن يرتدي ربطة العنق ويذهب إلى مكان ما فيجلس وراء مكتب صغير ويدخن كما يفعل الآباء الآخرون. لكن فكرة قضاء أيام كاملة في مكتب شخص آخر ليقوم بعمل شخص آخر لم تكن تناسب روح والدي. وأعتقد جازمةً أن ذلك كان ليقضي عليه. لقد باغته الموت مبكراً في منتصف الخمسينيات من عمره، لكنه على الأقل عاش وفقاً لشروطه وحده.

وهكذا ترعرعت بالقرب من هذا الرجل الذي جلس إلى مكتبه طوال النهار وخطّ كتباً ومقالات عن الأماكن والأشخاص الذين رآهم وعرفهم. قرأ الكثير من الشعر. وسافر في بعض الأحيان. استطاع أن يسافر إلى حيث يشاء بدافعٍ من الشعور بالغاية. إذ من مزايا العمل في الكتابة أنها تمنحك عذراً لفعلِ أشياء بعينها وزيارة أماكن بعينها واستكشافها. والميزة الأخرى أن الكتابة تحفزك على النظر عن كثب إلى الحياة، الحياة بكليتها في غمار تخبطها وتأرجحها.

علّمتِ الكتابةُ والدي أن يصغي باهتمام. وعلّم والدي بدوره الآخرين الإصغاء باهتمام ومن ثم كتابة أفكارهم وملاحظاتهم. كان طلابه في الواقع سجناء في سان كوينتين ممن شاركوا في برنامجٍ للكتابة الإبداعية. لكنه علّمني أنا أيضاً بأن قدّم لي النموذج والقدوة. علّمني والسجناء أن ندوّن بضع كلماتٍ على الورق كل يوم، وأن نقرأ كل الكتب والمسرحيات الرائعة التي تقع عيوننا عليها. علمنا أن نقرأ الشعر. وعلمنا أن نتحلى بالجرأة والأصالة وأن نسمح لأنفسنا بارتكاب الأخطاء، وأن ثوربر كان محقاً حين قال: «قد تسقط على وجهك أيضاً عندما تنحني كثيراً إلى الوراء». وفي حين كان يساعدني والسجناء على اكتشاف أن لدينا الكثير من المشاعر والملاحظات

والذكريات والأحلام والآراء (الله أعلم) التي أردنا مشاركتها، فقد انتهى بنا الأمر جميعاً مع بعض الشعور بالاستياء وخيبة الأمل حين عرفنا أنه: كان علينا في نهاية المطاف أن نجلس ونكتب.

أعتقد أن الكتابة كانت أسهل بالنسبة لي مقارنةً مع السجناء لأنني كنت طفلة حينها. لكنني وجدت الأمر صعباً دائماً. بدأت الكتابة عندما كنت في السابعة أو الثامنة من عمري. كنت خجولةً وغريبةً المظهر، أحب القراءة أكثر من أي شيء آخر، ولم يتجاوز وزني الأربعين رطلاً في ذلك الوقت، كنت طفلة شديدة التوتر لدرجة أنني كنت أتجول ورأسي بين كتفيّ مثل ريتشارد نيكسون. شاهدت مرة فيلماً للأطفال في حفل عيد ميلاد ذهبت إليه في الصف الأول، وسط كل هؤلاء الأولاد والبنات الصغار اللطيفين يلعبون معاً مثل الجراء، فجأة تجمدت أمام الشاشة مثل سلطعون بروفروك. كان من الواضح أنني الشخص الذي سيكبر ليصبح قاتلاً متسلسلاً، أو يحتفظ بالعشرات من القطط؛ ولكن بدلاً من ذلك، أصبحت فكاهية. نعم لقد أصبحت فكاهيةً لأن الأولاد، الأولاد الأكبر سناً الذين لم أكن أعرفهم حتى، كانوا يمرون بجانبي على ظهر دراجاتهم ويسخرون من مظهري الغريب. وشعرت في كل مرة كأن أحدهم يطلق النار عليّ من سيارة مسرعة. أعتقد أن هذا ما جعل طريقتي في المشي تشبه نيكسون: إذ كنت على الأغلب أحاول سد أذنيّ بكتفيّ، لكنهما لم يصلا تماماً. لذا عملتُ في البداية فكاهيةً ثم شرعت في الكتابة، على الرغم من أنني لم أكتب دائماً أشياء فكاهية.

القصيدة الأولى التي كتبتها ولفتت الانتباه كانت عن جون جلين. وأقول في البيت الأول، «صعد الكولونيل جون جلين إلى الجنة / في سفينته الفضائية «الصداقة سبعة». كتبتُ العديد من القصائد، وكانت تشبه الأغاني الشعرية الإنجليزية القديمة التي علمتنا والدتي أن نرددها أثناء عزفها على البيانو.

تضمنت كل أغنية حوالي ثلاثين أو أربعين بيتاً، مما يدفع أقاربي الذكور إلى التمدد على أرائكنا وكراسينا كما لو أنهم مجذوبون بقوة الطرد المركزي، يحدقون إلى السقف دون أن يرمش لهم جفن.

قرأ المعلم قصيدة جون جلين أمام طلاب الصف الثاني، وكانت لحظة عظيمة، نظر إليّ الأطفال كما لو أنني تعلمت قيادة السيارة. وتبين لاحقاً أن المعلم أرسل القصيدة إلى مسابقة مدارس ولاية كاليفورنيا، وفازت بجائزة ما. وقد نشرت في عدة نسخ. وسرعان ما فهمت الإثارة والمتعة في رؤية نتاجك مطبوعاً. إنه يمنح المرء نوعاً من التحقق الأولي: أنت في عالم النشر؛ إذاً أنت موجود. من يدري ماهية هذا الشعور الدافع الذي يحفز الرغبة بالظهور في مكان ما خارج نفسك، بدلاً من الشعور بأنك عالق داخل عقلك المشوش والقادر على رصد كل شيء في الوقت نفسه، تحدق مثل حيوان بحري صغير أو سمك البليني الشوكي داخل كهفه الصغير؟ إن رؤية نفسك في عالم النشر تبدو فكرة رائعة: يمكنك الفوز بالكثير من الاهتمام دون الحاجة إلى الظهور فعلياً في مكان ما. ففي حين يتعين على الآخرين الذين لديهم ما يقولونه أو يريدون أن يكونوا مؤثرين، مثل الموسيقيين أو لاعبي البيسبول أو السياسيين، أن يخرجوا أمام الملأ، فإن الكتّاب، الذين يميلون بطبعهم إلى الخجل، يمكنهم البقاء في المنزل وتحقيق الشهرة في الآن نفسه. ثمة العديد من المزايا الواضحة لهذا؛ إذ لست مضطراً للتأنق على سبيل المثال، ويمكنك تجنب سماع استهجانهم لك وجهاً لوجه.

كنت أجلس مراتٍ على أرضية مكتب والدي، أكتب قصائدي في حين يجلس هو خلف مكتبه يدوّن نصوصه. اعتاد أن يُنشر له كتابٌ كل عامين تقريباً.

للكتب حفاوة خاصة في منزلنا، وللكتّاب العظماء مكانة وإعجاب

يفوقان كلّ ما عداهما. تُعرض الكتب ذات الأهمية الخاصة بشكل بارز فوق طاولة القهوة وقرب جهاز المذياع وعلى ظهر الجون. لقد نشأت وأنا أقرأ تعاريف الكتب الترويجية على الأغلفة الحافظة، ومراجعات كتب والدي في الصحف. وقد أثار كل هذا الرغبة في داخلي لأن أصبح كاتبة عندما أكبر – أن أكون صاحبة روح خلاقة منفتحة، وأيضاً أن أكون حالة نادرة بين أفراد الطبقة العاملة، فتاة مسؤولة تماماً عن حياتها.

لكن القلق لم يفارقني بسبب عدم توفر ما يكفي من المال في منزلنا. كنت قلقة من أن يتحول والدي إلى متبطلٍ سكير مثل بعض أصدقائه الكتّاب. أذكر عندما كنت في العاشرة من عمري، نشر والدي مقالاً في إحدى المجلات يذكر فيه أنه قضى فترة ما بعد الظهيرة على شرفة منزل في شاطئ ستينسون مع مجموعة من الكتاب الآخرين وأنهم جميعاً احتسوا الكثير من النبيذ الأحمر ودخنوا الماريجوانا. ومن المعروف في تلك الأيام أن موسيقيي الجاز هم وحدهم من يدخن الماريجوانا، وأنهم جميعهم أيضاً مدمنون على الهيروين. لم يكن من المفترض أن يدخن آباء الطبقة المتوسطة البيض اللطفاء الماريجوانا؛ بل من المفترض أن يبحروا أو يلعبوا التنس. كما أن آباء أصدقائي، من مدرسين وأطباء ورجال إطفاء ومحامين، لم يدخنوا الماريجوانا. ومعظمهم لم يشرب الخمر حتى، وبالتأكيد لم يكن لديهم زملاء حضروا وفقدوا وعيهم على المائدة فوق طبق التونة.

إبّان قراءة مقال والدي، لم أتخيل سوى أن العالم ينهار من حولي، وأنه في المرة التالية التي اندفع فيها إلى مكتب والدي لأعرض عليه التقرير المدرسي، سيكون جالساً القرفصاء تحت المكتب، مع إحدى جوارب أمي المصنوعة من النايلون معقودة أعلى ذراعه وينظر إلي مثل ذئبٍ محاصر. شعرت أن هذا الأمر سيتحول إلى كارثة ولا شكّ أننا سنُنبذ من قبل جميع أفراد مجتمعنا.

كل ما أردته هو أن أنتمي، وأن أرتدي قبعة الانتماء تلك.

لم يتجاوز وزني في الصفين السابع والثامن الأربعين رطلاً كذلك. كنت في الثانية عشرة من عمري أتعرض للسخرية باستمرار بسبب مظهري الغريب وظننت أن الأمر سيستمر طوال حياتي. من الصعب أن تبدو مختلفاً في هذا البلد - الولايات المتحدة بلد صناعة الإعلان، كما يقول بول كراسنر - فإذا كنت نحيفاً جداً أو طويل القامة أو داكناً أو غريباً أو قصيراً أو مجعداً أو عائلياً أو فقيراً أو قصير النظر، فسوف تُصلب. وقد صُلبت.

لكني كنت مضحكة. لذا سمح لي الأطفال من ذوي الشعبية العالية بالتسكع معهم وحضور حفلاتهم ومشاهدتهم وهم يتعانقون. وهذا، كما قد تتخيل، لم يساعد في رفع تقديري لذاتي كثيراً. اعتقدت أنني فاشلة كلياً. ولكن في يوم من الأيام حملت معي دفتراً وقلماً عندما ذهبت إلى شاطئ بوليناس مع والدي (الذي لم يكن، على حد علمي، يتعاطى المخدرات بعد). مع ما يعادل لدى الكاتب قماش اللوحة والفرشاة، رسمت وصفاً لما رأيته: «مشيتُ نحو شفة الماء وتركت اللسان الرغوي للسائل المندفع يلعق أصابع قدمي. حفر سلطعونٌ رملي حفرة على بعد بضع بوصاتٍ من قدمي ثم اختفى في جوف الرمال الرطبة.... » سأختصر عليكم عناء قراءة الباقي. إذ يستمر الأمر لفترة طويلة نوعاً ما. أقنعني والدي بعرض ما كتبته على أحد المدرسين، وانتهى الأمر بإدراجه في كتاب مدرسي حقيقي. أثار النص إعجاب معلمي وأولياء الأمور وبعض الأطفال، كما أعجب به بعض الأولاد ذوي الشعبية، فبادروا إلى دعوتي إلى المزيد من الحفلات حتى أتمكن من مشاهدتهم جميعاً يتعانقون مراراً وتكراراً.

ورافقتني ذات يوم إحدى الفتيات الشهيرات إلى المنزل بعد المدرسة لقضاء الليلة عندي. وجدنا والديّ تغمرهما الغبطة لوصول رواية والدي

الجديدة بنسختها الأولى من المطبعة. شعرنا جميعاً بسعادة غامرة وبالفخر الشديد حتى بدا أن هذه الفتاة تعتقد أنّ لديّ أروع أبٍ في الكون: كاتب. (كان والدها يبيع السيارات). خرجنا لتناول العشاء، وشربنا نخب بعضنا البعض. كانت الأمور بأروع صورة تشهدها عائلتي يوماً، وكانت صديقتي حاضرة بيننا لتشهد ذلك أيضاً.

وفي تلك الليلة، وقبل أن نأوي إلى الفراش، حملت الرواية الجديدة ورحت أقرأ الصفحة الأولى لصديقتي. كنا مستلقيتين جنباً إلى جنب في أكياس النوم على أرض غرفتي. واتضح أن الصفحة الأولى تدور حول رجل وامرأة في السرير معاً، يمارسان الجنس. كان الرجل يداعب حلمة نهد المرأة. وكنت أضحك مع تصاعد هستيريا المشهد. ودار في ذهني كم هذا رائع، وكم كنت مبتهجة لوجود صديقتي. أخفيت فمي بيد واحدة، كما يفعل تشارلي شابلن تعبيراً عن الخجل، وتظاهرت بأنني على وشك رمي هذا الكتاب السخيف فوق كتفي. فكرت كم هذا رائع، وأنا أرجع رأسي للوراء وأقهقه بمرح؛ إن والدي يكتب مواد إباحية!

توهجت في الظلام مثل مصباح يتألق خجلاً. يمكنكم أن تقرؤوا ما بين السطور. لم أذكر الكتاب أبداً لوالدي، على الرغم من أنني على مدار العامين التاليين، عدت له في وقت متأخر من الليل، بحثاً عن مقاطع أكثر إثارة، ووجدت عدداً منها. لقد كان الأمر مربكاً جداً. راودني شعور مختلطٌ ما بين الخوف والحزن الشديد.

ثم حدث شيء غريب. كتب والدي مقالاً لمجلة بعنوان «أسوأ مكانٍ لتربية الأطفال»، وكان يتحدث عن مقاطعة مارين وبالتحديد عن المجتمع الذي نعيش فيه، وهو مكان جميل بقدر ما يمكن للمرء أن يتخيل. ومع ذلك، كان الناس في شبه جزيرتنا في المرتبة الثانية بعد الأمريكيين الأصليين

في الأحياء الفقيرة في أوكلاند من حيث معدل إدمان الكحول. وبلغ تعاطي المخدرات بين المراهقين، كما كتب والدي، درجةً تقشعر لها الأبدان، وتفشى الطلاق والانهيار العقلي والسلوك الجنسي العنيف. تحدث والدي باستخفاف عن الرجال في المجتمع، وعن قيمهم وهيجانهم المادي، وعن زوجاتهم، «تلك النسوة المحترمات، زوجات الأطباء والمهندسين المعماريين والمحامين، في فساتين التنس والمعاطف الفاخرة المدبوغة والمحفوظة جيداً، يتجولن في ممرات السوبر ماركت مع بريق الجنون في عيونهن». لم يرد ذكر أي شخص في بلدتنا بشكل حسن. بل كتب في الفقرة الأخيرة: «تلك هي مأساة كاليفورنيا الكبرى، لأن الحياة الموجهة للترفيه هي في النهاية حياة موجهة إلى الموت – الرفاهية الأعظم على الإطلاق».

كانت ثمة مشكلة واحدة فقط: لقد كنت لاعبة تنس شغوفة جداً. وكانت سيدات التنس صديقاتي. تدربت معهن كل فترات بعد الظهر في نادي التنس نفسه؛ وجلست معهن في عطلات نهاية الأسبوع ننتظر انتهاء تدريب الرجال (الذين كانت لهم الأولوية) حتى نتمكن من الدخول إلى الملاعب. وها هو والدي يجعل منهن كالزومبي المنحلّات.

اعتقدت أن حياتنا دمرت تماماً. لكن أخي الأكبر عاد إلى المنزل من المدرسة في ذلك الأسبوع ومعه نسخة من مقال والدي الذي وزعه أساتذته في مادتي الدراسات الاجتماعية واللغة الإنجليزية على صفوفهم. كان جون بطلاً في نظر زملائه في الفصل. كان ردّ فعل المجتمع مذهلاً بالفعل: في الأشهر القليلة التالية رفض عدد من الرجال والنساء في نادي التنس التعامل معي، ولكن في نفس الوقت، أوقف الناس والدي في الشارع عندما كنا نسير معاً، واحتضنوا يده في كلتا يديهم بكلّ امتنان كما لو أنه قدم لهم خدمة شخصية. ولم أفهم سرّ شعورهم إلا في وقت لاحق من ذلك الصيف، عندما قرأت

رواية الحارس في حقل الشوفان لأول مرة، وعرفت كيف يمكن لشخص ما أن يتحدث نيابة عني، وأن أنهي قراءة كتاب مع شعور غامر بالانتصار والراحة في وقت واحد. وأخيراً قام حيوان اجتماعي منعزل بالتواصل.

لقد انغمست في الكتابة كثيراً في المرحلة الثانوية: مقالات ومقاطع حماسية مناهضة للحرب، ومحاكاة ساخرة لبعض الكتّاب الذين أحببتهم. ورحت ألاحظ شيئاً مهماً. رغب الأولاد الآخرون دوماً أن أروي لهم قصصاً عما حدث، حتى - أو على الأخص - عندما يشهدون ذلك الحدث. قصصاً عن الحفلات التي فاتتنا، والشجارات التي تقع في الفصل أو في ساحة المدرسة، والمشاهد التي يكون الأهل أبطالها ونحن شهدناها. استطعت أن أجعلها قصصاً حيّة ومضحكة، بل وأبالغ في بعضها حتى يصبح الحدث أسطورياً تقريباً، ويبدو الأشخاص المشاركون فيه أكثر روعة، وكان ثمة شعور بأهمية أكبر، وشعور أكبر بالمعنى.

أنا على ثقة من أن والدي كان الشخص الذي اعتمد عليه أصدقاؤه لسرد قصصهم، في المدرسة والجامعة. وأعرف يقيناً أنه كان كذلك في وقت لاحق في المدينة التي ربى فيها أطفاله. كان قادراً على تناول الأحداث الكبرى أو الوقائع الصغيرة من الحياة اليومية والتخفيف من هولها أو المبالغة في تفاصيلها بطريقة تعبّر عنها شكلاً ومضموناً، إلى جانب قدرته على لمس جوهر ما يعتمل في حياة المجتمع الذي عاش فيه هو وأصدقاؤه وعملوا وترعرعوا. كان الناس يتطلعون إليه ليضع لهم النقاط على الحروف ويصف بكلماته ما يجري.

أظن أنه كان في طفولته يفكر بشكل مختلف عن أقرانه، الذين ربما أجروا محادثات جادة مع الكبار، وأنه في شبابه كان مثلي، يتقبّل كثيراً فكرة البقاء وحيداً. أعتقد أن هذا النوع من الأشخاص غالباً ما يصبح إما كاتباً أو مجرماً

محترفاً. كنت أعتقد طوال طفولتي أن ما أفكر فيه مختلف عما كان يفكر فيه الأطفال الآخرون. لم يكن تفكيري أكثر عمقاً بالضرورة، لكن صراعاً كان يندلع في داخلي لإيجاد طريقة إبداعية أو روحية أو جمالية لرؤية العالم وتنظيمه في رأسي. قرأت أكثر من الأولاد الآخرين؛ لقد استمتعت بترف الكتب. كانت الكتب ملاذي. جلست طويلاً في الزوايا، إصبعي الصغير ملتصق بشفتي السفلية، أقرأ في نشوةٍ تائهة بين الأماكن والعصور التي أخذتني إليها الكتب. كان ثمة لحظاتٍ خلال سنتي الأولى في المدرسة الثانوية بدأت أعتقد في غضونها أنني أستطيع أن أفعل ما يفعله الكتّاب الآخرون. واعتقدت أنني ربما قادرة على وضع قلم رصاص في يدي وابتكار شيءٍ سحري.

ثم كتبت بعض القصص الفظيعة.

في الكلية، أشرعت أبواب العالم بأسره أمامي، ومنحتني الكتب والشعراء الذين درستهم في فصول اللغة الإنجليزية والفلسفة شعوراً لأول مرة في حياتي بأنّ ثمّةَ أملٌ، أملٌ بأن أجد مكاني في مجتمعٍ ما. شعرت أنني بوجود أصدقائي الجدد الغريبين وفي بعض الكتب الجديدة، كنت ألتقي نصفي الآخر. أراد بعض الأشخاص أن يصبحوا أثرياء أو مشهورين، لكن أصدقائي وأنا أردنا أن نصبح حقيقيين. أردنا أن نغوص في الأعماق. (أفترض أيضاً أننا أردنا أن نمارس الجنس). لقد التهمت الكتب التهاماً كالذي يتناول الفيتامينات خوفاً من أن أبقى تلك النرجسية الهلامية، دون أي احتمال لأن أصبح عميقة التفكير على الإطلاق، أو أن تؤخذ أفكاري على محمل الجد. اعتنقت الاشتراكية طوال خمسة أسابيع. ثم أرهقتني رحلة الحافلة إلى اجتماعات الاشتراكيين. انجذبت إلى الشاذين والعرقيين والمسرحيين والشعراء والمتطرفين والمثليين والمثليات - وبطريقة ما ساعدوني جميعاً في أن

أصبح بعضاً من تلك الأشياء التي رغبت بها بشدة: سياسية ومفكّرة وفنانة إبداعية.

حولني أصدقائي إلى كيركيجارد، وبيكيت، ودوريس ليسينج. شعرت بالنشوة لدرجة لا توصف من فرط الإثارة والارتواء من كل ذلك. أذكر حين قرأت سي. إس. لويس أول مرة، وقد أثارت دهشتي «جوي» وكيف عثرت حين نظرت داخل ذاتها على «حديقة لحيوانات الشهوات، وهرجاً من المطامح، وحضانةً للمخاوف، ومخدعاً لحريم الأحقاد المدللة». شعرت بالغبطة والغفران. كنت أعتقد أن الأشخاص الذين يعجب بهم المرء، الأشخاص اللطفاء والأذكياء في هذا العالم، لم يكونوا كذلك في حقيقتهم، وكانوا مختلفين عني، مثل، تولوز لوتريك.

بدأت في كتابة مقالات خلال السنة الثانية لصحيفة الكلية. لحسن الحظ، كنت طالبة في السنة الثانية. كنت غير مؤهلة من جميع النواحي الجامعية باستثناء أني حصلت على أفضل الدرجات في اللغة الإنجليزية. كتبت أفضل المقالات. لكن طموحي كان أكبر. أردت أن أُعرَفَ على نطاقٍ أوسع. لذلك هجرت الدراسة في التاسعة عشرة من عمري لأصبح كاتبة مشهورة.

عدت إلى سان فرانسيسكو وأصبحت فتاة كيلي مشهورة بدلاً من ذلك. اشتهرت بعدم كفاءتي وبكائي. بكيت بفعل الملل والجحود. ثم حصلت على وظيفة كاتب طابعة في شركة إنشاءات هندسية ضخمة وسط المدينة، في قسم ضمان الجودة النووية، حيث عملت في ظل موجة تسونامي من النماذج والمذكرات ثلاثية النسخ. كانت وظيفة مُزعجةً جداً ومملة جداً أيضاً لدرجة أنها جعلت عينيّ تدوران في حلقات مظلمة، مثل عيني لورتش [الخادم في عائلة آدامز]. ولكن سرعان ما اكتشفت أن بمقدوري التخلص من معظم هذه الأعمال الورقية دون وقوع أي تداعيات حقيقية في الواقع، وهذا حررني

قليلاً ومنحني الوقت لكتابة قصص قصيرة بدلاً من ذلك.

ظلّ والدي يقول: «اكتب كلّ يومٍ لبعضِ الوقت». «اكتب كما لو أنّك تعزف السلم الموسيقي على البيانو. اكتب كما لو أنك تعيد ترتيب الأشياء مسبقاً مع نفسك. اكتب كما لو أنّ الكتابة عهدُ شرفٍ. والتزم بإنهاء ما تكتبه».

لذلك بالإضافة إلى الكتابة الخفية في المكتب، كنت أكتب كل ليلة لمدة ساعة أو أكثر، غالباً في المقاهي باستخدام مفكرة وقلم، أشرب كميات كبيرة من النبيذ لأن هذا ما يفعله الكتاب؛ وهذا ما فعله والدي وجميع أصدقائه. لقد أثبتت تلك الطقوس نجاحها معهم، على الرغم من وجود منحى جديدٍ ومقلقٍ الآن – إذ أنهم شرعوا في الانتحار. وكان هذا مؤلماً جداً لوالدي بالطبع. لكن كلانا استمر في الكتابة.

انتقلت في النهاية إلى بوليناس، حيث انتقل والدي وشقيقي الأصغر قبل عامٍ من انفصال والديّ. عملتً في تعليم التنس وتنظيف المنازل لكسب لقمة العيش. كنت أكتب كل يوم ولمدة عامين قصاصات صغيرة ومقتطفات صغيرة، لكنني وضعت جلّ تركيزي على أعظم ما أبدعت، قصة قصيرة أسميتها «أرنولد». في يوم من الأيام يتسكع طبيب نفسي أصلع ملتحٍ يدعى أرنولد مع كاتبة شابة مكتئبة قليلاً وشقيقها الأصغر المكتئب قليلاً. يقدم لهما أرنولد جميع أنواع النصائح النفسية المفيدة، لكنه يستسلم في النهاية، ويتخذ وضعية القرفصاء ويتجول في المكان مقلداً مشية وصوت البطة لتسليتهما. لطالما أحببت هذا الموضوع بالذات، حيث يصدف أن تجتمع حالتان ميؤوس منهما كلياً لدى شخصٍ ما، مثل مهرج أو أجنبي، يمنحهما القليل من الاهتمام لبعض الوقت وكأنه يقول في الواقع: «أنا ضائع أيضاً! لكن مهلاً– أنا أعرف كيف أصطاد الأرانب!»

كانت قصة فظيعة.

وكتبت الكثير من الأشياء الأخرى أيضاً. دوّنت ملاحظاتٍ حول أشخاصٍ موجودين حولي، في مدينتي، ومن بين أفراد عائلتي، وفي ذاكرتي. ودوّنتُ ملاحظاتٍ حول حالتي الذهنية، ونرجسيتي، وتدني احترامي لذاتي. لقد كتبت الأشياء المضحكة التي سمعتها. وتعلمت أن أكون مثل جرذ السفينة بأذنين مشرعتين تلتقطان كل شيء، وتعلمت أن أدوّن كل شيء.

لكن اشتغلت أغلب الوقت على قصتي القصيرة «أرنولد». كنت أرسلها كل بضعة أشهر إلى وكيلة والدي في نيويورك، إليزابيث ماكي. فتجيب: «حسناً، لقد اقتربت كثيراً الآن».

لقد فعلت هذا لعدة سنوات. كانت رغبتي في النشر تفوق الوصف. سمعت مؤخراً واعظاً يقول إنّ الأمل حالةٌ ثورية من الصبر. اسمحوا لي أن أضيف أن كونك كاتباً هو حالةٌ ثورية من الصبر أيضاً. ينبثق الأمل من الظلام، الأمل العنيد الذي ما أن أظهرته وسعيت للقيام بالشيء الصحيح، حتى ينبلج فجراً. تنتظر وتراقب وتعمل: ولا تستسلم.

لم أستسلم، ويعود ذلك غالباً إلى إيمان والدي بي. ولاحقاً، ولسوء الحظ، أصبح لدي فجأة قصة لأرويها، حين بلغت الثالثة والعشرين من عمري. شُخصت إصابة والدي بورمٍ في الدماغ. لقد انهار وانهرت معه أنا وإخوتي، لكننا بطريقة ما تمكنا، بالكاد، من إبقاء رؤوسنا فوق الماء. طلب مني والدي أن أمعن الانتباه وأن أدون الملاحظات. قال: «أنت تروين نسختك من القصة، وسأروي أنا نسختي».

رحت أكتب عما يمر به والدي، ثم بدأت في صياغة هذه الكتابات في قصص قصيرة متصلة. نسجت كل المقالات القصيرة والمقتطفات التي كنت أعمل عليها في العام السابق لتشخيص حالة والدي، وخرجت بخمسة فصول متصلة ببعضها البعض. أعجب والدي بتلك الفصول على الرغم

من معاناته الشديدة مع المرض لدرجة أنه لم يتمكن من كتابة قصته، وجعلني أشحنهم إلى وكيلتنا إليزابيث. ثم انتظرت وانتظرت وانتظرت، تقدمت في السن وذبلت في غضون شهر. وأعتقد أنها قرأتهم وهي في حالة من النشوة، والسعادة الغامرة لأنها لم تضطر لقراءة «أرنولد» مجدداً. إليزابيث ليست امرأة متدينة بأي حال من الأحوال، لكنني أتخيلها دائماً وهي تضم تلك القصص إلى صدرها، عيناها مغمضتان، تتمايل قليلاً، وتدمدم: «شكراً يا إلهي».

وهكذا، فقد أرسلتهم إلى نيويورك، وقدم لنا فايكنج عرضاً. وبدأت العملية. صدر الكتاب عندما كنت في السادسة والعشرين من عمري، بعد مضي عامٍ على وفاة والدي. يا إلهي! لقد نُشر كتابٌ لي! كان هذا كلّ ما حلمت به يوماً. وقد بلغت النيرفانا (السعادة القصوى)، أليس كذلك؟ حسناً.

اعتقدت، قبل أن أبيع كتابي الأول، أن هذا النشر سيكون ممتعاً وآنياً وتلقائياً، وتجربة مثبتة ورومانسية تشبه إعلان هولمارك حيث يجري البطل في حركة بطيئة عبر مرج أخضر غني بالأزهار البرية ويقفز في دفء أحضان الإشادة بالنفس وتقدير الذات.

لم يحدث هذا لي.

إنّ الأشهر التي تسبق خروج الكتاب إلى النور، بالنسبة لمعظم الكتاب، تعادل أسوأ ما يمكن أن تقدمه الحياة، تماماً مثل الدقائق العشرين الأولى من فيلم القيامة الآن، مع مارتن شين في غرفة الموتيل في سايغون، مخيّب للآمال كلياً. إن الانتظار والتكهنات ترهقك تماماً سواء كانت سعيدة أو محبطة. بالإضافة إلى مسألة التقييمات النقدية المبكرة التي صدرت قبل حوالي شهرين من النشر.. أول ملاحظتين تلقيتهما حول هذا الكتاب الرقيق كانتا عن احتضار والدي الذي فارق الحياة الآن، قالا إن كتابي كان مضيعة للوقت، وليس أكثر من عمل ممل، عاطفي، منغمس في الذات كقيء العناكب.

ليست هذه الكلمات بالحرف.

يمكنك أن تتخيل الحالة الانفعالية الحادة التي مررت بها خلال الأسابيع الستة التالية. تناولت الكثير والكثير من الكحول كل ليلة، وحدثت الغرباء في الحانة عن وفاة والدي وكيف كتبت هذا الكتاب عنه، وكيف انتقده النقّاد الأوائل، وكنت أنفجر في البكاء بعدها وأطلب المزيد من الكؤوس، وينتهي بي الأمر إلى إخبارهم عن هذا الكلب العظيم الذي كنا نطلق عليه اسم ليوالين والذي اضطررنا لقتله عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، مما يجعلني حزينةً جداً كلما فكرت فيه، لدرجة أنني كنت أخبر جمهوري، أن كل ما يمكنني فعله هو عدم الدخول إلى الحمام وإطلاق النار على رأسي.

ثم صدر الكتاب. لقد تلقيت بعض التقييمات الرائعة من جهاتٍ مهمة، وبعض الانتقادات السيئة أيضاً. حضرت بضع حفلاتٍ لتوقيع الكتاب، وبضع مقابلات، والتقيت عدداً من الأشخاص المهمين ممن ادعوا أنهم أحبّوا الكتاب. ولكن بدا عموماً أنني لن أتقاعد مبكراً. لقد اعتقدت سراً أن أبواق النصر سوف تصدح عالياً، سيعلن كبار النقاد أنه منذ عهد موبي ديك لم تنجح رواية أمريكية بالاستحواذ على الحياة بكل تعقيداتها المذهلة كما فعل كتابي. وهذا ما فكرت فيه عندما صدر كتابي الثاني، وكتابي الثالث، والرابع، والخامس. وكنتُ مخطئةً كل مرة.

لكني ما زلت أشجع أي شخص يشعر بأنه مضطر للكتابة على القيام بذلك. أحاول فقط أن أحذر الأشخاص الذين يأملون في نشر أعمالهم من أن النشر ليس أهم ما في الأمر. بل الكتابة. فالكتابة تمتلك الكثير لتعطيه والكثير لتعلّمه والكثير الكثير من المفاجآت. وتبيّن أن الشيء الذي عليك أن تجبر نفسك على فعله- فعل الكتابة الحقيقي- هو الجزء الأفضل. كأن تكتشف أنه في حين كنت تعتقد أنك بحاجة إلى كوبٍ من الشاي للتزود بالكافيين،

كان ما تحتاجه في الواقع هو طقس إعداد الشاي. لقد تبين أن الكتابة تكافئ ذاتها بذاتها.

لقد تمكنت من إنجاز بعض الأعمال تقريباً كل يوم في حياتي كبالغة، دون تحقيق نجاح مالي مثير للإعجاب. لكني، سأفعل ذلك كله مرة أخرى دون تردد بكل ما فيه من أخطاء وانكساراتٍ وانهياراتٍ وكل شيء. ولا يسعني إخبارك عن السبب تحديداً، خاصةً عندما يكون الأمر غير مجدٍ ومثير للشفقة، وكأنني سيزيف يعاني مشاكل في السيولة النقدية. رغم أن الكتابة في أيام أخرى تصبح أشبه بشخصٍ مميز بالنسبة لي، الشخص الذي لا يزال منطقياً رغم كل ما مررنا به خلال هذه السنوات. تذكرني الكتابةُ بقصيدة «الوردة البرية»، التي كتبها ويندل بيري لزوجته:

مراتٍ تغيبين عني

في زيّكِ اليوميّ وانشغالاتكِ،

أعيشُ قربكِ باستسلامٍ

كما أعيش مع نبضاتِ قلبي،

فجأةً تتوهجين أمام عيني،

وردةً برية تتفتح عند أطرافِ

الأجمة، كما النعمة والنور

التي كانت بالأمس مجرد ظلّ،

ومرة أخرى كم أنا مباركٌ، لاختياري

ما اخترته من قبل مراتٍ ومرات



اعتقدت مُذ كنت طفلةً صغيرةً أن ثمّة شيءٌ نبيلٌ وغامضٌ يخصّ الكتابة، ويخصّ الأشخاص الذين بإمكانهم فعل ذلك على نحو جيد، والذين يمكنهم خلقُ عالمٍ كما لو أنهم آلهة أو سحرة صغار. شعرتُ طوال حياتي أنّ ثمّة شيءٌ سحريّ حيال الأشخاص القادرين على التغلغل في عقول الآخرين وتحت جلدهم، والقادرين على إخراج أشخاص مثلي من أنفسنا ومن ثم إعادتنا مجدداً إلى داخل أنفسنا. أتدرون؟ ما يزال هذا الشعور يلازمني إلى اليوم.

واليوم، أنا أعلّم الآخرين. وقد حدث الأمر دون أن أدرك كيف. قدم لي أحدهم عرضاً لتدريس ورشة حول الكتابة منذ حوالي عشر سنوات، وها أنا أعطي دروساً في الكتابة منذ ذلك الحين. لكن الجميع يقول لي: لا يمكنك لأحد تعليم الكتابة! فأجيب: «من أنت بحق الجحيم؟ عميد قبول الطلبة في كليّة الله؟!»

إذا حضرَ الناس أحد فصولي التعليمية ورغبوا في تعلم الكتابة أو الكتابة بشكل أفضل، يمكنني أن أطلعهم على كل شيءٍ ساعدني على طول الطريق وعلى طبيعة الحال بالنسبة لي يومياً. يمكنني تعليمهم أشياء صغيرة قد لا تكون موجودة في أي من الكتب العظيمة التي تتحدث عن الكتابة. على سبيل المثال، لست متأكدّة مما إذا كان أي شخص آخر قد ذكر أنّ شهر ديسمبر يعدّ عادةً شهراً سيئاً للكتابة. إنّه شهرُ أيّام الاثنين. وأيام الاثنين ليست أياماً جيدة للكتابة. لقد استمتع المرء بكل تلك الحرية خلال عطلة نهاية الأسبوع، وكل تلك اللحظات الأصيلة الجميلة وكل تلك الأحلام الوردية، ومن ثم يصلُ عمكم الغاضب الصامت «يوم الاثنين»، وحان الوقت للجلوس إلى مكتبك مجدداً. لذلك فإنني أوصي ببساطة الأشخاص الحاضرين في ورش الكتابة معي أن يمتنعوا تماماً عن بدء أي مشروع كتابة كبير في أي يوم إثنين من شهر ديسمبر. لماذا تُعدّ نفسك للفشل؟!

يسأل المحاورون الكتّابَ المشهورين عن السبب الذي يدفعهم للكتابة، وقد أجاب الشاعر جون آشبري، على ما أذكر، قائلاً: «لأنني أريد ذلك». وأجابت فلانيري أوكونور: «لأنني أجيد ذلك»، وعندما يسألني المحاور من حين لآخر، أقتبس جواباً من الاثنين. ثم أضيف أنني بخلاف الكتابة، عاطلةٌ تماماً عن العمل. ولكن في الحقيقة، وعندما لا أبالغ، فإنني في الواقع أكتب لأنني أريد ذلك ولأنني أجيد الكتابة أيضاً. أذكر دائماً مشهداً من فيلم عربات نار Chariots of Fire حيث، كما أتذكر، كان العداء الاسكتلندي، إريك ليدل، بطل الفيلم، يسير مع أخته المبشرة على سفح تلّ ملوّن رائع في اسكتلندا. كانت تزعجه برغبتها أن يتخلى عن التدريب من أجل الألعاب الأولمبية والعودة للقيام بعمله التبشيري مع بعثة كنيستهم في الصين. ويجيب أنه يرغب في الذهاب إلى الصين لأنه يشعر أنها إرادة الله، ولكن في البداية سيتدرب بكل قوته، لأن الله جعله سريعاً جداً أيضاً.

وبالتالي فإن الله جعل بعضنا سريعاً في هذا المجال من العمل بالكلمات، ومنحنا موهبة محبة القراءة بنفس الشغف الذي نحب به الطبيعة. يتمتع طلابي في ورش الكتابة بهذه الموهبة المتمثلة في حب القراءة، وبعضهم سريع حقاً، وجيد فعلاً في إبداع الكلمات، وبعضهم الآخر ليس سريعاً ولا يكتب كما يجب في الواقع، لكنهم ما زالوا يحبون الكتابة الجيدة المتقنة، ويرغبون بأن يمارسوا الكتابة بالفعل. وأقول: «حسناً! هذا جيد بما يكفي بالنسبة لي. هيا للعمل».

لذا، فإنني أصف لهم كيف تكون حالتي عندما أجلس للعمل خلف مكتبي صباح اليوم التالي، حاملة في رأسي بعض الأفكار وأمامي الكثير من الورق الفارغ وبعض الغرور البغيض وأدنى درجات التقدير للذات في الوقت نفسه، وأضع أصابعي على أهبة الاستعداد فوق لوحة المفاتيح.

أخبرهم أنني أتفهم رغبتهم بأن يكونوا بارعين في الحال، واحتمال ألا يكونوا كذلك، لكنهم ربما يصبحون بارعين يوماً شرط ألا يتخلوا عن إيمانهم بأنفسهم وأن يستمروا في التدريب والعمل. قد ينتقلون ربما من الرغبة في كتابة شيء محدد إلى مجرد الرغبة في الكتابة، والرغبة في العمل على موضوعٍ ما، كما لو كانوا يريدون العزف على البيانو أو لعب التنس، لأن الكتابة تجلب معها الكثير من البهجة، والكثير من التحديات. إنها العمل واللهو في آنٍ معاً. عندما يشتغلون على كتبهم أو قصصهم، سوف تدور الأفكار والابتكارات في رؤوسهم. سيرون العالم بعيون جديدة. كل ما يرونه ويسمعونه ويتعلمونه سيصبح ذو فائدة. في حفلات الكوكتيل أو في طابور مكتب البريد، سوف يلتقطون لحظات صغيرة وتعبيرات مسموعة؛ ويتسللون بعيداً ليخربشوا هذه الأشياء على الورق. ستصادفهم أيام من الملل المحموم وراء المكتب، ولحظاتٍ من اليأس الغاضب والرغبة في الإقلاع عن الكتابة إلى الأبد، وستأتي أيام يشعرون فيها أنهم قبضوا على زمام موجة النص وركوبها.

وأخبر طلابي لاحقاً أن احتمالات أن يحقق لهم نشر أعمالهم الأمان المادي وراحة البال وحتى الفرح ربما ليست كبيرة. ربما يجلب لهم الخراب والهستيريا والجلد المضني للذات والتشنجات اللاإرادية والمشاكل المالية القبيحة، ربما، نعم؛ ولكن لن يجلب لهم راحة البال أبداً. ومع ذلك أخبرهم أنّ عليهم الكتابة على أي حال. وأحاول أن أتأكد من أنهم يفهمون أن الكتابة، وحتى إتقان الكتابة، ونشر الكتب والقصص والمقالات، لن يشرع الأبواب التي يأملها معظمهم. ولن تجعلهم بحال أفضل. لن تمنحهم الشعور بأن العالم قد استجاب أخيراً ومنحهم المكانة التي يحلمون بها، وأنهم وصلوا بالفعل أخيراً. إن أصدقائي الكُتَّاب، وهم فيلق، لا يتجولون وفي جعبتهم مشاعر هادئة من الرضا والسكينة. بل إن معظمهم يتجول وفي عيونه نظرات مسكونة

ومستاءة وذاهلة، مثل كلاب المختبر التي تستخدم لاختبار بخاخات مزيل التعرق.

لا يرغب طلابي في سماع هذا. كما أنهم لا أنني كنت فنانًة تتضور جوعاً إلى ما بعد صدور كتابي الرابع. ولا يرغبون في سماع أن معظمهم ربما لن يتمكن من نشر أعماله وأن عدداً أقل سيجني ما يكفي بالكاد للعيش. إن تصورهم حيال ما يعنيه النشر بعيد كلّ البعد عن الواقع. لذا، أحدثهم عن ابني سام البالغ من العمر أربع سنوات الذي يرتاد روضة أطفال مسيحية صغيرة حيث تعلّم مؤخراً قصة عيد الشكر. ولديه صديق يُدعى سام أيضاً ولكنه يبلغ من العمر اثني عشر عاماً وهو سياسي للغاية، طلبَ من سام أن يخبره عن كل ما يعرفه عن ذلك اليوم المقدس. فراح سام يروي له تلك النسخة المسيحية الجميلة لمرحلة ما قبل المدرسة عن عيد الشكر بما فيها من حجاج وأمريكيين أصليين والكثير من الطعام والمشاعر الجميلة. وعند هذه النقطة، التفت سام الكبير نحوي وقال بمرارة إلى حدّ ما: «أعتقد أنه لم يسمع عن الأغطية الملوثة بالجدري بعد».

حسناً، ربما لم نكن قد شرعنا في توزيع تلك الأغطية بعد؛ ربما كنا لا نزال في مرحلة سلوكنا الجيد. لكن الفكرة المهمة هي أن طلابي، الذين يرغبون في النشر، لم يسمعوا بعد ناحية الأغطية الملوثة بالجدري فيما يتعلق بالنشر. لذلك هذا من بين الأشياء التي أخبرهم بها.

وأخبرهم أيضاً أنه في بعض الأحيان عندما يعمل أصدقائي الكتّاب، فإنهم يشعرون بحالٍ أفضل وأكثر حيوية من أي وقت آخر. وأحياناً عندما يكتبون بشكل جيد، يشعرون أنهم يرتقون إلى سويةٍ ما. يبدو الأمر كما لو أن الكلمات الصحيحة، الكلمات الحقيقية، موجودة بالفعل في أعماقهم، وكل ما عليهم هو مساعدتها على الخروج إلى السطح. والكتابة بهذه الطريقة تشبه

إلى حد ما حَلبَ بقرةٍ: الحليب غني جداً ولذيذ، والبقرة سعيدة جداً لأنك فعلت ذلك. أريد أن يشعر الأشخاص الذين يحضرون صفوفي التعليمية بهذا الشعور أيضاً.

لذلك أحدثهم عن كل شيء فكرت فيه أو تحدثت عنه مؤخراً وكان نافعاً في إنجاز عملي. وأضيفُ بعض الاقتباسات والأمثلة التي ألهمتني من كتّاب آخرين، وأقوم بتوزيعها في كل جلسة. وتوجد بعض الأشياء التي يذكرني بها أصدقائي عندما أتصل بهم حينما نكون مصابين بنوبة من القلق والملل وفاقدين للعزيمة، ونحاول معاً أن نصل إلى سبيلٍ يخرجنا مما نحن فيه.

ما يلي في هذا الكتاب هو ما تعلمته طوال مسيرتي، وما قمت بنقله إلى كل دفعة جديدة من الطلاب. ولا يشبه أياً من كتب تعليم الكتابة الأخرى، والتي بعضها رائع بكل معنى الكلمة. إنّ كتابي هذا شخصيّ أكثر ويشبه ما يجري في الفصل. إليكم اليوم كلّ ما أعرفه تقريباً عن الكتابة.

الجزء الأول

الكتابة

الشروع في العمل

إن أول ما أحدث طلابي الجدد عنه في اليوم الأول من ورشة الكتابة هو أن الكتابة الجيدة تتعلق أساساً بقول الحقيقة. نحن كائنات تحتاج إلى فهم هويتها وترغب في ذلك. لا يبدو أن الطفيليين يشاركونا هذه الرغبة، وهذا أحد الأسباب التي تجعلهم يكتبون القليل جداً. ولكن نحن لدينا هذه الرغبة.. لدينا الكثير مما نريد قوله ومعرفته. عاماً بعد عام، تعج رؤوس طلابي بالقصص التي يرغبون بسردها، ويبدؤون في كتابة المشاريع بكثير من الإثارة وربما المتعة أيضاً - أخيراً هناك من يسمع أصواتهم، وسوف يكرسون أنفسهم لهذا الشيء الوحيد الذي يتوقون إلى فعله منذ الطفولة. ولكن بعد الجلوس لبضعة أيام وراء المكتب، يتبيّن لهم أن قول الحقيقة بطريقة مثيرة للاهتمام هو أمر سهل وممتع مثل تحميم قطة! وسرعان ما يفقد البعض منهم الثقة. يتلاشى إحساسهم بالذات والقصة ويتحطم كالزجاج على الأرض. لطالما بدا الطلاب في اليوم الأول من ورشة العمل وكأنهم فراخ البط اللامعة التي ستتبعني إلى أي مكانٍ، ولكن مع مرور الوقت وبدء الدورة الثانية، ينظرون إلي كما لو أن المشاركة قد توقفت بالتأكيد.

وتُسمع أصوات الاعتراض: «لا أعرف حتى من أين أبدأ».

فأقول لهم ابدؤوا من طفولتكم. حكّ أنفك وانطلق، دوّن كل ذكرياتك بأكبر قدر ممكن من الصدق. تقول فلانيري أوكونور إن أي شخص عاش طفولته لديه ما يكفي من الأفكار للكتابة لبقية حياته. ربما كانت طفولتك

قاتمة ورهيبة، لكن لا بأس بذلك إن كنت قادراً على التعبير عنها. لا تقلق بشأن التعبير عنها على أحسن وجه الآن. فقط ابدأ ودوّن كل شيء.

قد تكون كمية الأفكار هائلة أحياناً لدرجة أنها يمكن أن تجعل عقلك يتجمد. عندما كنت أكتب تقييمات الطعام على مدى عدة سنوات، اجتمع في رأسي أسماء العديد من المطاعم والأطباق الفردية لدرجة أنه حينما يطلب الناس مني توصيةً، لا أستطع التفكير على الإطلاق في انتقاء مطعم واحد على الأقل أنصح بتناول الطعام فيه. ولكن إذا تمكن شخص ما من تضييق الدائرة كاختيار طعام هندي، على سبيل المثال، فقد أتذكر قصراً هندياً فخماً، حيث طلب صديقي من النادل إحضار طبق من روديارد كبلينغ ثم لاحقاً طبق سمك البقر المقدس. ثم ينبثق في الذهن عدد من الذكريات عن مواعيد أخرى مع أصدقاء ومطاعم هندية أخرى.

وبذلك يمكنك الشروع بكتابة كل شيء يمكنك تذكره من سنواتك الأولى في المدرسة. ابدأ مع روضة الأطفال. حاول أن تدون الكلمات والذكريات كما حدثت لك. لا تقلق إن لم يكن ما تكتبه جيداً، لأنّ أحداً لن يراه. انتقل إلى الصف الأول والثاني والثالث. أتذكّر المعلمين وزملائك في الفصل؟ ما الذي كنت ترتديه؟ ممن ومن أي شيء كنت تغار؟ الآن وسع نطاق ذاكرتك قليلاً. هل كانت عائلتك تأخذكم في إجازات خلال تلك السنوات؟ دوّن هذا على الورق. هل تذكر كيف كانت تبدو أسرة أي شخص آخر أكثر أناقة من أسرتك؟ هل تذكر كيف كنت تطفو في دولاب مطاطي عبر النهر، ويضيع الغطاء الصغير الذي يغلق صمام تدفق الهواء، لذلك في كل مرة تدخل أو تخرج من الدولاب المطاطي، ستعاني من خدوش جديدة في فخذيك؟ وكيف لم يتفقد أحد غيرك أغطية الدواليب؟

إذا لم ينجح ذلك، أو إذا نجح لكنك انتهيت من التنقيب في هذا المسار

بالتحديد، فابحث عما إذا كان التركيز على العطلات والأحداث الكبيرة يساعدك على تذكر حياتك على النحو الذي كانت عليه. اكتب كل شيء يمكنك تذكره عن كل عيد ميلاد حضرته أو الميلاد المجيد أو عيد الفصح أو عيد السدر أو أي عيدٍ آخر، وكل قريب كان حاضراً في ذلك العيد. اكتب كل الأشياء التي أقسمت أنك لن تخبرها لأي مخلوقٍ على الإطلاق. ما الذي تذكره عن حفلات أعياد الميلاد وما حدث فيها من كوارث، وأيام النعمة، ووجوه أقاربك المتوهجة بشموع أعياد الميلاد؟ احفر في العمق للحصول على التفاصيل: ما أكله الناس، واستمعوا إليه، وارتدوه - قبعات السباحة الرهيبة ذات البتلات، وأجسام الرجال الفظيعة، وفستان الكوكتيل الذي ارتدته عمتك الشهوانية والذي كان ضيقاً للغاية لدرجة أنها احتاجت عملياً إلى عدة إنقاذ حقيقية لخلعه. اكتب عن أدوات تجعيد الشعر النسائية ذات الشعيرات الداخلية، والأربطة التي استخدمها والدك وأعمامك لحمل جواربهم الرسمية، وقبعات جدّك، والزي الرسمي المثالي لأبناء عمك، وكيف بدا زيّك وكأنه قد فقس للتو. صف المعاطف المطرية والشالات ومعاطف السيدات وما تظهره وما تخفيه. حاول أن تذكر ما حصلت عليه في عيد الميلاد ذاك عندما بلغت العاشرة من عمرك، وما الشعور الذي انتابك حينها. اكتب ما قاله البالغون وما فعلوه بعد أن شربوا عشرات الكؤوس، خاصة في الرابع من يوليو عندما صنع والدك شراب البنش المنزلي القوي للغاية حيث اضطر الكبار للزحف فعلياً من غرفة إلى أخرى.

تذكر أنك تملك كل ما جرى معك من أحداث. إذا كانت طفولتك أقل من مثالية، فربما تكون قد نشأت على التفكير في أنك إذا قلت الحقيقة حول ما حدث بالفعل في عائلتك، فسوف يظهر إصبع أبيض طويل من قلب سحابة ويشير إليك بينما يرعد صوت تقشعر له الأبدان قائلاً: "ألم نطلب

منك ألا تخبر أحداً». ولكن ذلك كان فيما مضى. فقط ضع على الورق كل ما يمكنك تذكره الآن عن والديك وإخوتك وأقاربك وجيرانك، وسنتعامل مع مشكلة التشهير لاحقاً.

ويسأل الطلاب: «ولكن كيف؟». «كيف نفعل ذلك على أرض الواقع؟» فأجيب: عليك أن تجلس. حاول الجلوس كل يوم تقريباً في نفس الوقت. تلك هي الطريقة التي تُدرّب من خلالها اللا وعي على البدء في العمل من أجلك بشكل خلاق. جرّب أن تجلس عند الساعة التاسعة كل صباح، أو عند العاشرة كل ليلة. تضع قطعة من الورق في الآلة الكاتبة، أو تقوم بتشغيل جهاز الكمبيوتر وتفتح الملف الصحيح، ثم تحدق فيه لمدة ساعة أو نحو ذلك. تبدأ في التأرجح، قليلاً في البداية، ثم مثل طفل ضخم مصاب بالتوحد. تنظر إلى السقف، ثم تنظر إلى الساعة وتتثاءب وتحدق في الورقة مرة أخرى. ثم، بأصابعك المتأهبة فوق لوحة المفاتيح، تحدق في صورة تتشكل في عقلك - مشهد، مكان، شخصية، أيا كان - وتحاول تهدئة عقلك حتى تتمكن من سماع ما يقوله هذا المشهد أو يجب على الشخصية أن تقول ويعلو صوتها فوق الأصوات الأخرى في عقلك. الأصوات الأخرى هي للبانشي المرأة الجنيّة والقردة الثملة. أصوات القلق والمحاكمات والعذاب والذنب إلى جانب التوهم المرضي الشديد.

قد تخطر لك قائمة شبيهة بقائمة الممرضة راتشيد بالأشياء التي يجب القيام بها في هذه اللحظة بالذات: إخراج الأطعمة من الفريزر، والمواعيد التي يجب إلغاؤها أو ترتيبها، وتنظيف الحواجب. لكنك توجه مسدساً وهمياً إلى رأسك وتجبر نفسك على الصمود خلف المكتب. لديك ألم غامض أسفل عنقك. يخطر في بالك أنك مصاب بالتهاب السحايا. ثم يرنّ جرس الهاتف وتنظر إلى السقف بغضبٍ، وتستدعي كل ما بقي لديك من صبرٍ

جميل، ترد على المكالمة بأدب، مع مجرد تلميح بسيط ربما لانزعاجك. يسألك المتصل إن كنت تعمل، تجيب بـ نعم، لأنك تعمل فعلاً.

ومع ذلك، تقوم بطريقة ما، في مواجهة كل هذا، بإخلاء مساحة لصوت الكتابة، والتخلص من الآخرين، وتبدأ في تكوين الجمل. تبدأ في تجميع الكلمات معاً مثل حبات الخرز لتؤلف قصة. أنت في شوق يائس للتواصل والبناء أو الترفيه، وللحفاظ على لحظات النعمة أو المتعة أو التسامي، لجعل الأحداث الحقيقية أو المتخيلة تنبض بالحياة. لكن لا يكفي أن ترغب بذلك كي يحدث. إنها مسألة إصرار وإيمان وعمل شاق. لذلك، يمكنك أيضاً المضي قدماً والبدء.

أتمنى لو كان لدي سرّ أطلعك عليه أو صيغة ما مررها والدي لي هامساً قبل وفاته، أو ربما كلمة عملت كقانون أو قاعدة صارمة مكنتني من الجلوس إلى مكتبي وخوض الرحلات البرية ذات الإلهام الإبداعي مثل مراقب الحركة الجوية. لكني لا أملك شيئاً من هذا. كل ما أعرفه هو أن العملية هي نفسها تقريباً لدى كل شخص أعرفه. والخبر السار هو أنه في بعض الأيام تشعر وكأن عليك فقط أن تستمر في الابتعاد عن أسلوبك الخاص بحيث يمكن لأي شيء ينبغي الكتابة عنه أن يستغلك أنت لتكتبه. إن الأمر يشبه تقريباً أن يكون لديك شيء يصعب نقاشه مع شخص ما، وتأمل وتصلي وأنت في طريقك إليه أن تخرج من فمك الكلمات الصحيحة بمجرد أن تصل إليه وتبادره بالأمر. وغالباً ما تأتي الكلمات الصحيحة، وأنت، حين «تكتب» كما يجب لفترةٍ من الزمن، فإنّك تملك الكثير من الأفكار لتضعها على الورق. لكن الأخبار السيئة هي في حال كنت تشبهني تماماً، فمن المحتمل أن تعيد قراءة ما كتبته وتقضي بقية اليوم في حالة من الهوس، تتضرّع إلى الله كي لا تموت قبل أن تتمكن من إعادة كتابة أو تمزيق ما كتبت لئلا يعرف العالم

المنتظر بفارغ الصبر مدى سوء مسوداتك الأولى.

قد يحرمك الهوس من النّوم، أو قد تودي بك كراهية الذات إلى الغرق في غيبوبة مخدرة قبل موعد العشاء. لكن دعنا نقول فقط أنك تغفو ساعة مثلاً. ومن المحتمل جداً أن تستيقظ في الرابعة فجراً بعد أن حلمت بموتك. ويتبين أن الموت مسعورٌ أكثر مما كنت تتخيله. عادة ستحاول تهدئة نفسك من خلال التفكير في عمل اليوم - عمل اليوم القذر. قد تواجه شكلاً متوتراً من الرهبة الوجودية، بالنظر إلى اللا معنى المطلق للحياة وحقيقة أنه لم يحبك أحد حقاً؛ قد تجد نفسك مستغرقاً في حالةٍ من خجلٍ طليق، ويأسٍ من جدوى عملك، وإدراك أنه يتعين عليك التخلص من كل ما كتبته حتى الآن والبدء من الصفر. لكنك لن تكون قادراً على فعل ذلك. لأنك أدركت فجأة أنك مصاب بالسرطان في كل جسدك تماماً.

ومن ثم تحدث المعجزة. تشرق الشمس مرة أخرى. تستيقظ وتمارس عاداتك الصباحية، ويودي بك شيء ما إلى شيء آخر، وفي النهاية، في الساعة التاسعة، تجد نفسك من جديد خلف مكتبك، تحدق في صفحاتٍ ملأتها بالأمس. وتجد في الصفحة الرابعة فقرة تعجّ بكل أنواع الحياة، روائح وضجيجٌ وأصواتٌ وألوانٌ وحتى لحظة حوار تجعلك تقول لنفسك، بهدوء شديد، «هممم». تنظر للأعلى وتحدق من النافذة مرة أخرى، ولكن هذه المرة تنقر بأصابعك على المكتب، ولا تبالي بتلك الصفحات الثلاث الأولى التي سترميها قريباً، تلك الصفحات التي كنت مضطراً لكتابتها لتصل إلى تلك الصفحة الرابعة، وتصل إلى تلك الفقرة الطويلة التي كانت في ذهنك حين بدأت، أنت فقط لم تكن تدرك ذلك، ولم تكن لتدرك ذلك إلا حين وصلت إليها. وتبدأ القصة في التجسّد، ويحدث شيء آخر، وهو أنك تتعلم أنّ ما لست تكتبه هو الذي ساعدك في اكتشاف ما تكتبه. تخيّل رساماً جيداً يحاول

التقاط رؤيته الداخلية بدءاً من أحد أركان اللوحة، يرسم ما يعتقد أنّ عليه أن يضعه هناك دون أن يتمكن من بلوغه تماماً، فيعمد إلى تغطيته بالطلاء الأبيض والمحاولة من جديد، ويكتشف في كل مرة أن ما رسمه لا يشبه لوحته إلى أن يصل إليها في نهاية المطاف وإن بعد تكرار وعناء.

وعندما تكتشف ماهية زاوية واحدة على الأقل من رؤيتك، فهذا يعني أنك بدأت وانطلقت في العمل. وهذا حقاً يشبه الجري. إنه يذكرني دائماً بالسطور الأخيرة من رواية «اهرب أيها الأرنب»: «كانت أقدامه تضرب بشدة على الرصيف في البداية ولكن مع تراكمٍ متوقع لكل أنواع الذعر الحلو يصبح أخف وزناً وأسرع وأكثر هدوءاً، ويهرب بعيداً. آه: اهرب. اهرب».

كم تمنيت لو شعرت بهذا النوع من الإلهام في كثير من المرات. ولكن من النادر أن أفعل. كل ما أعرفه هو أنني إذا جلست هناك لفترة كافية، فسوف يحدث شيء ما.

يحدق بي طلابي للحظة ويسألون: «كيف نجد وكيلاً؟».

أتنهد وأجيب: «عندما تصبحون على أهبة الاستعداد. ثمّة كتبٌ تسرد قوائم الوكلاء. يمكنكم اختيار بعض الأسماء منها ومراسلتهم وسؤالهم عما إذا كانوا يرغبون في إلقاء نظرة على أعمالكم. في الغالب لن يرغبوا في ذلك. ولكن إن كنتم جيدون حقاً، ومثابرون جداً، فسيقوم شخص ما في النهاية بقراءة النصوص وقبولكم. أعدكم بهذا. ولكن في غضون ذلك، سنركز على فعل الكتابة نفسه، على كيف تصبح كاتباً أفضل، وإن تمكنك من الكتابة بشكلٍ أفضل تصبح قارئاً أفضل، وتلك هي الجائزة الكبرى الحقيقية.

لكن طلابي لا يصدقونني. يريدون وكلاء، ويريدون أن تنشر أعمالهم. ويريدون أيضاً كسب المال لقاء ذلك.

لقد مارس معظمهم الكتابة على الأقل لبعض الوقت، وبعضهم طوال حياته. وقيل للكثير منهم على مر السنين إنهم بارعون جداً، ويريد أن يعرفوا سبب شعورهم المجنون عندما يجلسون للعمل، ولماذا تراودهم أفكار رائعة ثم حين يجلسون ويكتبون جملة واحدة يكتشفون برعب أنها سيئة للغاية، وعندئذٍ يطفو على السطح كلّ شكلٍ مهول من أشكال المرض العقلي الذي يعانون منه، وتقفز الأوهام والوساوس من الماء مثل سمك السلمون وكذلك تتصاعد مشاعر النرجسية وكراهية الذات وعدم القدرة على تتبع فكرة واحدة حتى اكتمالها، ووساوس غسل اليدين ورهاب الجراثيم كما حصل مع هوارد هيوز. وجنون الارتياب، بالطبع.

أقول لهم إن بإمكان هذه المشاعر كلها أن تهزمهم وتفقدهم تركيزهم، أو يمكنهم، خلاف ذلك، رؤية جنون الارتياب، على سبيل المثال، كمادة رائعة للإلهام. يمكن استخدامه كالطين الرطب الخام الذي تسحبه من النهر: لا ريب أن إحدى شخصياتك مليئة به، وبالتالي عند منح هذه الشخصية هذه الميزة الخاصة، يمكنك استخدامها وتشكيلها لتتحول إلى شيء حقيقي أو مضحك أو ربما مخيف. قرأت لطلابي قصيدة كتبها فيليب لوباتي أرسلها لي أحدهم ذات مرة، وتقول:

نحن،

أقرب أصدقائك

نشعر أن الوقت

قد حان لإخبارك

أننا نجتمع كل خميسٍ

ونلتقي،

كمجموعة،

لابتكار طرق

لإبقائك دائماً

في حالة من عدم اليقين الدائم

والإحباط

والسخط

والتعذيب

لا نمنحك الحب

بالقدر الذي تريدين

ولا نجرحك على غير هدى.

طبيبك النفسي شريك معنا

في ذلك،

وكذلك صديقك الحميم

وزوجك السابق؛

وقد تعهدنا

أن نخيب آمالك

ما دمت بحاجةٍ لنا.

بإعلاننا عن

اجتماعنا هذا،

ندرك أننا وضعنا

بين يديك

ترياقاً محتملاً

لعلاج الشك والضياع

بل لعلاج أنفسنا في الواقع.

ولكن نظراً لأن ليالي الخميس

قد أوصلتنا

إلى المجتمع

ذي هدفٍ

نادرٍ في حد ذاته

معك

كمركز طبيعي،

نشعر بالأمل في

أن نستمر في تقديم مطالب غير معقولة

للعاطفة

إن لم يكن ذلك عاقبة

لشخصيتك الكارثية

فهو لمصلحة الجماعة.

يحدقون في وجهي مثل طاقم الممثلين في فيلم أحدهم طار فوق عش الوقواق. يعتقد ثلاثة منهم فقط أن هذه القصيدة مضحكة، أو حتى مثال جيد على شخص يحوّل جنون الارتياب الذي يعاني منه إلى شيء فني وحقيقي. وبعضهم بدا وكأن على رؤوسهم طير. أكثر الأشخاص الذين يرغبون في النشر يعتقدون أنني شخص ساخط للغاية. يبدو بعضهم كما لو أنه مصاب بخيبةٍ عاطفية، والبعض الآخر ينظر لي باشمئزاز حقيقي كما لو كنت أقف عاريةً تحت مصابيح الفلورسنت.

وسيرفع شخص ما يده في نهاية المطاف ويسأل: «هل يمكن إرسال النص مباشرة إلى ناشرٍ ما، أم أنك تحتاج حقاً إلى وكيل؟»

أجيبه بعد لحظة أو نحو ذلك: « أنت حقاً بحاجة إلى وكيل». المشكلة التي تعاود الظهور مراراً وتكراراً هي أن هؤلاء الناس يرغبون بنشر أعمالهم أكثر من أي شيء آخر. يرغبون بالكتابة نوعاً ما، لكن رغبتهم الحقيقية هي النشر. فأقول لهم، لن تصلوا أبداً إلى حيث ترغبون بهذه الطريقة. هناك باب نرغب جميعاً في عبوره، ويمكن أن تساعدك الكتابة في العثور عليه وفتحه. يمكن أن تمنحك الكتابة ما يمنحك إياه إنجاب طفلٍ: يجعلك تمعن الانتباه وتتعلم الإصغاء، وتساعدك على أن تصبح طيّعاً ويقظاً. لكن النشر لن يمنحك أياً من هذه الأشياء؛ لن تصل أبداً عبر هذا الطريق.

كان لدى ابني، سام، وعمره ثلاث سنوات ونصف، مفاتيح لمجموعة من الأصفاد البلاستيكية. وفي صباح أحد الأيام أغلق الباب على نفسه عمداً خارج المنزل. كنت جالسّة على الأريكة أقرأ الجريدة عندما سمعته يحاول إقحام مفاتيحه البلاستيكية في قفل الباب محاولاً فتحه. ثم سمعته يقول، «أوه، اللعنة». اتسع وجهي بالكامل، مثل الرجل في لوحة إدوارد مونك الصرخة. نهضت بعد لحظة وفتحت الباب الأمامي.

قلت: «عزيزي، ماذا قلت للتو؟»

قال: «قلت: أوه، اللعنة».

«لكن، عزيزي، هذه كلمة بذيئة. يجب على كلانا الامتناع تماماً عن استخدامها. اتفقنا؟»

طأطأ رأسه للحظة، ثم أومأ برأسه، وقال: «حسناً يا أمي». ثم انحنى إلى الأمام وقال بثقة، «لكنني سأخبرك لماذا قلت «اللعنة». أجبت: «حسناً»، فقال: « بسبب هذه المفاتيح اللعينة!»

إن مفاتيح الوهم لن تفتح لك أي باب. وكلّ ما تأمل أن يفعله النشر من أجلك هو وهم، صورة ثلاثية الأبعاد - إنه النسر على بطاقتك الائتمانية الذي يبدو أنه يحلق فقط دون أن يفعل. إن الواقع يقول أنّك لو عزفت السلم الموسيقي كل يوم، ومن ثم حاولت بهدوء وبطء عزف مقطوعات أصعب فأصعب، وتابعت الإصغاء إلى موسيقيين رائعين يعزفون الموسيقى التي تحبها، فسوف تتحسن.

في الأوقات التي تعمل بها، ستجلس هناك وتشعر بأنك عالقٌ ويأكلك الملل، وقد تتمكن أو لا تتمكن من إخراج نفسك من تلك الحالة في ذلك اليوم. لكن من الوهم الاعتقاد بأن الكتّاب الناجحين لا يمرون بهذه الساعات المملّة المهزومة، هذه الساعات من انعدام الأمن العميق عندما يشعر المرء بصغر حجمه واهتياجه مثل حشرة الماء. لقد مروا بكل ذلك. لكنهم غالباً ما يشعرون أيضاً بإحساس كبير بالدهشة التي يحصلون عليها مع الكتابة، وهم على يقين أن هذا ما يريدون القيام به لبقية حياتهم. وبالتالي، إذا كانت الكتابة من بين أعمق الرغبات في قلبك، فإن ثمة طرق لإنجازها الإنجازَ الأمثل، وعدد من الأسباب التي تجعل من المهم إنجازها.

وما تلك الأسباب مرة أخرى؟ يسأل طلابي.

لأن الكتب بالنسبة للبعض منا لا تقل أهمية عن أي شيء آخر على وجه الأرض. يا لها من معجزة أنه من بين هذه المربعات الصغيرة والمسطحة والصلبة من الورق يتكشف لنا عوالم لا حصر لها، عوالم تغني لك وتريحك وتهدئك أو تثيرك. تساعدنا الكتب على فهم من نحن وكيف نتصرف. توضح لنا ما يعنيه المجتمع والصداقة؛ وتعلمنا كيف نحيا وكيف نموت. إنها غنية بكل الأشياء التي لا تحصل عليها في الحياة الواقعية - كأنها كلمات أغنية رائعة منذ البدء وعلى الفور. ومع تحسّن جودة الإصغاء والانتباه قد نلاحظ تفاصيل مذهلة على مدار اليوم ولكننا نادراً ما نسمح لأنفسنا بالتوقف لبرهة والإصغاء والانتباه حقاً. إن المؤلف يجعلك تلاحظ، يجعلك تنتبه، وتلك هبةٌ عظيمة. إن امتناني للكتابة الجيدة لا حدود له. أنا ممتنة لها بنفس قدر امتناني للمحيط.

أسألهم: ألستم كذلك؟

هز معظمهم رؤوسهم إيجاباً.

هذا هو سبب وجودهم هنا: يحبون القراءة ويحبون الكتابة الجيدة ويريدون ممارستها أيضاً. لكن القليل من الطلاب ما زالوا ينظرون لي نظرة لا تخلو من الخيانة أو اليأس، كما لو كانوا يفكرون في شنق أنفسهم. لكنني أخبرهم بمرحٍ أنه قد فات أوان التراجع، لكن لدي شيء أفضل. فيما يلي أكثر شيئين مفيدين ومنفصلين يمكنني إخباركم عنهما بخصوص الكتابة.

مهام قصيرة

إن المفهوم الأول المفيد هو فكرة المهام القصيرة. ففي كثير من الأحيان عندما تجلس لتكتب، فإن ما يدور في ذهنك هو رواية عن سيرتك الذاتية أو عن طفولتك، أو ربما مسرحية عن تجربتك مع الهجرة، أو تاريخك، لنقل مع النساء مثلاً. لكن هذا يشبه محاولة تقشير نهر جليدي. من الصعب تثبيت قدميك، وتصبح أطراف أصابعك حمراء وتتجمد وتتمزق. وسرعان ما تصل أمراضك العقلية إلى المكتب وكأنها بعض أقاربك الأكثر سقماً والأكثر تحفظاً. يصطفون بكراسيهم كنصف دائرة حول حاسوبك، يحاولون الجلوس بهدوء ولكنك تعلم أنهم موجودون هنا بأنفاسهم النحاسية الغريبة، يحدقون بك شزراً من خلف ظهرك.

في هذه المرحلة، ومع تصاعد الذعر وقرع طبول الأدغال وإدراك أن البئر قد جفت وأن مستقبلي بات ورائي وأنني سأضطر إلى البحث على وظيفة لأنني بت عاطلاً عن العمل كلياً، فإن كلّ ما أفعله هو التوقف. أحاول بدايةً أن أتنفس، لأنني إما أن أجلس هناك وألهث مثل كلب صغير أو أصدر عن غير قصد صوت حشرجات الموت البطيء التي تشبه نوبة من الربو. عندئذ، أجلس مكاني لمدة دقيقة، أتنفس ببطء وهدوء. وأترك عقلي يتجول. قد ألاحظ بعد برهةٍ أنني أحاول اتخاذ قرار بخصوص ما إذا كنت قد تجاوزت السن المناسب لأضع تقويماً للأسنان، وما إذا كان الوقت قد حان لإجراء بعض المكالمات، ثم أبدأ بالتفكير في تعلم وضع مساحيق التجميل وكيف

يمكنني ربما العثور على صديق لا يتمتع بمظهر مثالي وكامل وعندئذٍ ستكون حياتي رائعة تماماً وسأكون سعيدةً طوال الوقت، ثم أفكر في جميع الأشخاص الذين كان عليّ الاتصال بهم قبل جلوسي للعمل، وكيف عليّ غالباً أن أتصل مع وكيل أعمالي وأخبره عن هذه الفكرة الرائعة التي خطرت في ذهني الآن ومعرفة ما إذا كان يعتقد أنها فكرة جيدة، ومعرفة ما إذا كان يعتقد أنني بحاجة لوضع تقويم للأسنان - إن كان هذا الأمر قد خطر في ذهنه مرةً حين تناولنا الغداء معاً. ثم أفكر في شخص أزعجني حقاً، أو مشكلة مالية تدفعني إلى الجنون، وأقرر أنه عليّ حل هذه المشكلة قبل أن أنغمس في عمل اليوم. وهكذا أتحول إلى كلبٍ مع لعبة يمضغها، يهاجمها لبعض الوقت، يصارعها فوق الحلبة، يمررها فوق كتفه، يطاردها، يلعقها، يمضغها، ويطرحها أرضاً. وأتوقف قبل هنيهة من البدء بالنباح فعلاً. لكن كل هذا يستغرق دقيقة إلى دقيقتين لا أكثر، وبذلك لا أكون قد ضيعت الكثير من الوقت في الواقع. رغم أنه يجعلني ألهث وبالكاد أتنفس. أعاود التقاط أنفاسي ببطء وهدوء، وأخيراً أنتبه إلى إطار الصورة مقاس بوصة واحدة الذي أضعه على مكتبي لتذكيري بالمهام القصيرة.

يذكرني هذا الإطار بأن كل ما علي فعله هو أن أكتب بقدر ما أستطيع رؤيته من خلال إطار صورة بقياس بوصة واحدة. هذا كل ما عليّ أن أتعامل معه في الوقت الحالي. كل ما سأفعله الآن، على سبيل المثال، هو كتابة تلك الفقرة التي تجهّز موقع القصة في مسقط رأسي، أواخر الخمسينيات، عندما كانت القطارات لا تزال قيد العمل. سأقوم برسم صورة لها، بالكلمات، على برنامج معالج الكلمات أمامي. أو كل ما سأفعله هو وصف الشخصية الرئيسية في أول لقاء لنا معها، عندما خرجت من الباب الأمامي إلى الشرفة. لن أصف حتى التعبير على وجهها عندما لاحظت لأول مرة الكلب الكفيف

جالساً خلف مقود سيارتها - فقط ما يمكنني رؤيته من خلال إطار الصورة مقاس بوصة واحدة، فقط فقرة واحدة تصف هذه المرأة تقيم في المدينة حيث نشأت، في المرة الأولى التي قابلناها فيها.

قال إي إل دوكتورو ذات مرة إن «كتابة رواية يشبه قيادة السيارة في الليل. يمكنك أن ترى فقط بقدر ما يصل إليه ضوء المصابيح العلوية، ولكن يمكنك القيام بالرحلة بأكملها على هذا النحو». ليس عليك أن ترى أبعد من ذلك، وليس عليك أن ترى وجهتك أو كل ما تمرّ به على طول الطريق. عليك فقط أن ترى أمامك مسافة قدمين أو ثلاثة أقدام. وهذا صحيح ويمكن اعتباره أفضل نصيحة سمعتها على الإطلاق حول الكتابة، أو الحياة.

لذلك بعد أن أرهقت نفسي تماماً في التفكير في الأشخاص الأكثر إزعاجاً في العالم، ومشاكلي المالية الأكثر إلحاحاً، وبالطبع تقويم الأسنان، تذكرت التقاط إطار الصورة مقاس بوصة واحدة والتعرف على جزء أرويه من قصتي بحجم بوصة واحدة، مشهد صغير واحد، ذاكرة واحدة، تبادل واحد. أذكر أيضاً قصة أعلم أنني ذكرتها في مكان آخر ولكن ذلك يساعدني مراراً وتكراراً في إيضاح فكرتي: منذ ثلاثين عاماً، كان أخي الأكبر، وعمره حينئذٍ عشر سنوات، يحاول كتابة تقرير عن الطيور ولديه مهلة ثلاثة أشهر للكتابة والتي من المقرر أن تنتهي في اليوم التالي. كنا في نزهة إلى كوخ عائلتنا في بوليناس، وكان يجلس على طاولة المطبخ على وشك البكاء، محاطاً بالورق الممزق وأقلام رصاص وكتباً لم تفتح عن الطيور، وقد شلّت حركته بسبب ضخامة المهمة التي تنتظره. جلس والدي بجانبه ووضع ذراعه حول كتفه وقال: «طائراً إثر طائرٍ، يا صديقي. فقط ابدأ الكتابة عن طائر إثر الآخر».

أروي هذه القصة مرة أخرى لأنها عادة ما تؤثر على الإحساس الهائل بالإرهاق الذي يشعر به طلابي. في بعض الأحيان يمنحهم هذا الأمل حقاً،

والأمل، كما قال تشيسترتون، هو قوةُ أن تكون مبتهجاً وسط الظروف التي نعرف أنه ميؤوس منها. يمكن أن تكون الكتابة مسعى يائساً للغاية، لأنها تدور حول بعضٍ من أعمق احتياجاتنا: حاجتنا لأن نكون مرئيين، ومسموعين، وحاجتنا لفهم حياتنا، والصحوة والنمو والانتماء. لا عجب أننا نميل أحياناً إلى أخذ أنفسنا على محمل الجد. وإليك قصة أخرى أرويها كثيراً.

في فيلم بيل موراي Stripes، الذي انضم فيه إلى الجيش، يوجد مشهد يحدث في الليلة الأولى من معسكر التدريب، حيث تجتمع فصيلة موراي في الثكنات. من المفترض أن يتعرفوا على الرقيب الذي يؤدي دوره وارين أوتس، وأن يتعرفوا على بعضهم البعض. وهكذا يحظى كل رجل ببضع لحظات ليقول بعض الأشياء عن هويته ومن أين هو. أخيراً، جاء دور هذا الرجل الغاضب شديد الانفعال ويدعى فرانسيس. فيقول: «اسمي فرانسيس». «لا أحد يناديني فرانسيس - أي شخص هنا يناديني فرانسيس سوف أقتله. وشيء آخر. لا أحب أن يلمسني أحدهم. أي شخص هنا يحاول لمسي، سأقتله»، وفي هذه اللحظة يقفز وارن أوتس قائلاً: «هوّن عليك، فرانسيس».

هذا ليس سطراً سيئاً بل عليك أن تلصقه على جدار مكتبك.

قل لنفسك بألطف طريقة ممكنة، انظر، عزيزي، كل ما سنفعله الآن هو كتابة وصف للنهر عند شروق الشمس، أو للطفل الصغير الذي يعوم في مسبح النادي، أو المرة الأولى التي يرى فيها الرجل المرأة التي سيتزوجها. هذا كل ما سنفعله الآن. سنأخذ طائراً إثر طائر. لكننا سننجز هذه المهمة القصيرة.

المسودات الأولى التافهة

لدينا الآن، من الناحية العملية أخبار أفضل من تلك المهام القصيرة وهي فكرة المسودات الأولى التافهة. ويتبعها جميع الكتّاب البارعين. وهكذا ينتهي بهم الأمر إلى كتابة مسودات ثانية جيدة ومسودات ثالثة رائعة. يميل الناس إلى النظر إلى الكتّاب الناجحين، والكتّاب الذين ينشرون كتبهم وربما يحققون مكاسب مالية جيدة، ويعتقدون أنهم يجلسون وراء مكاتبهم كل صباح تغمرهم الثقة وكأنهم ملوك العالم، ويشعرون بالرضا عن هويتهم وعظمة موهبتهم ويثقون بروعة القصة التي هم مقبلون على كتابتها؛ ومن ثم يأخذون بضع أنفاس عميقة، يرفعون أكمامهم للخلف، يمرنون أعناقهم بقوة عدة مرات لمنحها المرونة اللازمة، ويغوصون في العمل، يكتبون مقاطع مكتملة التكوين أسرع مما يفعل كاتب المحكمة. لكن هذا محض خيال المبتدئين. أعرف بعض الكتاب العظماء، الكتّاب الذين نحبهم ويكتبون بأسلوب جميل متكامل ويكسبون الكثير من المال، ولكن أحداً منهم لا يجلس بشكل روتيني يغمره الحماس الشديد والثقة. لا أحد منهم يكتب مسودات أولى أنيقة. في الواقع يوجد بينهم من يفعل لكننا لا نحبها كثيراً. لا نعتقد أن لديها حياة خاصة غنية أو أن الله يحبها أو يمكنه حتى احتمالها. (على الرغم من أنني حين ذكرت هذا لصديقي القس توم، قال إنه يمكنك أن تفترضي بثقة أنك خلقت الله على صورتك أنت عندما اتضح أن الله يكره نفس الأشخاص الذين تكرهينهم أنتِ).

قلة قليلة من الكتّاب يعرفون حقاً ما يفعلونه قبل أن يكونوا قد فعلوه للتو. كما أنهم لا يمارسون أعمالهم وهم يشعرون بالانتعاش والإثارة. إنهم لا يكتبون عدداً من جمل الإحماء القوية ثم يجدون أنفسهم مترابطين مثل كلاب الهاسكي على الثلج. أخبرني أحد الكتاب الذين أعرفهم أنه يجلس كل صباح ويقول لنفسه بلطف، «ليس الأمر كما لو أنه ليس لديك خيار، بل لديك، إذ يمكنك إما أن تكتب أو أن تقتل نفسك». غالباً ما نشعر وكأننا نقتلع أسناننا، حتى أولئك الكتاب الذين ينتهي بهم الأمر إلى أن يصبح نثرهم أكثر طبيعية وانسيابية. إن الكلمات والجمل الصحيحة لا تتدفق مثل شريط التسجيل في معظم الأحيان. ويُقال إن موريل سبارك شعرت بأن الله كان يملي عليها ما تكتبه كل صباح - وبذلك يفترض المرء أنها كانت تجلس هناك، متصلة مع الديكتافون، تطبع باستغراقٍ، وتهمهم. لكن هذا موقف عدائي وعدواني للغاية. قد يأمل المرء أن تمطر الأشياء السيئة بغزارة على رأس شخص مثل هذه.

بالنسبة لي ومعظم الكتاب الآخرين الذين أعرفهم، الكتابة ليست فعلاً حماسياً. في الواقع، إن الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها كتابة أي شيء على الإطلاق هي عبر كتابة المسودات الأولى التافهة والتافهة جداً.

المسودة الأولى هي مسودة طفل، حيث تدع الأفكار كلها تتدفق ثم تتركها تنتشر في كل صوب علماً منك أن أحداً لن يراها وأن بإمكانك إعادة صياغتها لاحقاً. فقط عليك السماح لهذا الجزء الطفولي منك بتوجيه أي صوت أو رؤية تخطر في بالك ووضعه على الصفحة. إذا أرادت إحدى الشخصيات أن تقول، «حسناً، وإن يكن، يا سيد سروال البراز؟»

فدعها تقول ذلك. لن يراه أحد. إذا أراد الطفل الخوض في منطقة عاطفية بكل ما فيها من نحيب وانفعالات، اسمح له بذلك. كل ما عليك هو تدوين

كل شيء على الورق، لأنك قد تجد شيئاً رائعاً في تلك الصفحات الست المجنونة التي لم تكن لتصل إليها أبداً بوسائل الكبار الأكثر عقلانية. قد تجد شيئاً في السطر الأخير من الفقرة الأخيرة في الصفحة السادسة تحبه جداً، إنه جميل جداً أو جامح لدرجة أنك تعرف الآن ما يفترض بك أن تكتب ، بتوسّع أكثر أو أقل، أو بأي اتجاه تشاء - ولكن لم تكن ثمة طريقة للوصول إلى هذا الشيء دون المرور أولاً بالصفحات الخمس والنصف الأولى.

اعتدت على كتابة تقييمات الطعام لمجلة كاليفورنيا كاليفورنيا قبل إغلاقها. (لا علاقة لكتابة تقييمي لأصناف الطعام بإغلاق المجلة، على الرغم من أن كل تقييم كتبته تسببت في إلغاء اشتراكين للمجلة. وأعرب بعض القراء عن استيائهم من مقارنة أطباق الخضروات المهروسة بأدمغة الرؤساء السابقين). كانت تستغرق كتابة هذه التقييمات يومين غالباً. كنت أزور المطعم بدايةً عدة مرات بصحبة عدد قليل من الأصدقاء أصحاب الآراء الموضوعية والحاسمة. ثم أجلس لأدون كل شيء قاله أي شخص حتى لو لم يكن ممتعاً أو مضحكاً على الإطلاق. وفي يوم الاثنين التالي، كنت أجلس إلى مكتبي مع ملاحظاتي، وأحاول كتابة التقييم. وحتى بعد أن عملت في هذا المجال لسنوات، كان الذعر يرافقني. كنت أحاول كتابة افتتاحية، لكن بدلاً من ذلك كنت أكتب بضع كلمات مروعة، أشطب فوقها بعلامتي كبيرتين ومن ثم أحاول مرة أخرى، ومن جديد فوق كل ما كتبته، ثم أشعر باليأس والقلق يجثمان على صدري مثل مئزر الأشعة السينية. كنت أظن أن الأمر انتهى بهدوء. ولن أتمكن مجدداً من الاستحواذ على السحر للعمل هذه المرة. وأنني دمرت. وانتهيت. وانهكت. وأفكر أن بإمكاني استعادة وظيفتي القديمة ككاتبة على آلة طابعة. وربما لا. كنت أنهض وأتفحص أسناني في المرآة لبعض الوقت. ثم أتوقف، وأتذكر أن أتنفس، وأجري بعض المكالمات

الهاتفية، وأقتحم المطبخ وأزدرد بعض الطعام. وسأعود في النهاية وأجلس إلى مكتبي، وأتنهد طوال عشر دقائق. وألتقط أخيراً إطار الصورة بمقاس بوصة واحدة، أحدق فيه كما لو كان الإجابة ستخرج منه، وفي كل مرة تأتي الإجابة: كل ما علي فعله هو كتابة مسودة أولى سيئة حقاً، على سبيل المثال، الفقرة الافتتاحية. ولن يراها أحد.

وبذلك أبدأ في الكتابة دون كبح جماح نفسي. إنها مجرد كتابة وكل ما علي هو تحريك أصابعي. سيكون نصاً مروعاً. كنت أكتب فقرة رئيسية من صفحة كاملة، على الرغم من أن التقييم بأكمله قد لا يتجاوز ثلاث صفحات، وبعد ذلك أبدأ في كتابة أوصاف للطعام، أصف طبقاً واحداً في كل مرة، طائراً إثر طائر، ويجلس النقاد فوق كتفي، يعلقون مثل الشخصيات الكرتونية. يتظاهرون بالشخير، أو يسخرون من أوصافي المنمقة، مهما تعبت في محاولة تخفيف حدة هذه الأوصاف وبغض النظر عن مدى وعيي لما قالته إحدى صديقاتي بلطف في الأيام الأولى من عملي في تقييم المطاعم. قالت: «آني، إنها مجرد قطعة من الدجاج. إنها مجرد كعكة صغيرة».

ولكن نظراً لأنني كنت أمارس الكتابة قبل ذلك الوقت بفترة طويلة، كنت أسمح لنفسي في الاسترسال على سجيتي بكل ثقة - في بعض الأحيان. كنت أكتب مسودة أولى ربما تكون ضعف الحجم الذي يجب أن تكون عليه، مع بداية منغمسة في الذات ومملة، وأوصاف مدهشة للوجبة، مع الكثير من الاقتباسات من أصدقائي ذوي الفكاهة السوداء التي جعلتهم يبدون مثل فتيات مانسون وليس كعشاق حقيقيين للطعام، وليس لدي نهاية لأختم بها. سيكون الأمر برمته طويلاً ومفككاً وقبيحاً لدرجة أن تتملكني طوال النهار فكرة أن سيارة ستدهسني قبل أن أتمكن من كتابة مسودة ثانية جيدة. وأخشى أن يقرأ الناس ما كتبته ويظنون أن الحادث كان انتحاراً فعلاً، وأنني

أصبت بالذعر لأن موهبتي كانت تتضاءل وذهني توقف عن العمل.

ورغم ذلك، كنت أجلس في اليوم التالي وأستعرض كل شيء بقلم ملون، وأستخرج منه كل ما أستطيع، لأجد فكرة رئيسية جديدة في مكان ما من الصفحة الثانية، وأكتشف موضعاً مثيراً لإتمامه، ثم أكتب مسودة ثانية. لقد اتضح دائماً أنه تقييم جيد، ويكون أحياناً تقييماًمضحكاً وغريباً ومفيداً. أقوم بمراجعته مرة أخرى وأرسله عبر البريد.

وبعد مضي شهر، عندما يحين الوقت لتقييم آخر، تبدأ العملية برمتها من جديد، وتكتمل مع تصاعد المخاوف من أن يقرأ الناس مسودتي الأولى قبل أن أتمكن من إعادة صياغتها.

تبدأ كل الكتابات الجيدة تقريباً ببذل جهودٍ أولى رهيبة. عليك أن تبدأ من مكان ما. ابدأ بكتابة شيء ما على الورق - أي شيء. يقول أحد أصدقائي إن المسودة الأولى هي المسودة القاعدية الدنيا - ما عليك سوى تأسيسها. المسودة الثانية هي المسودة الأعلى — حيث تقوم بإصلاح القاعدة. تحاول أن تقول ما عليك أن تقوله بدقة أكبر. والمسودة الثالثة هي مسودة سنيّة، حيث تقوم بفحص كل سنّ لترى ما إذا كان متحركاً أو محشوراً أو مضعضعاً، أو حتى سليماً - كان الله في عوننا.

ما تعلمت فعله عندما أجلس للعمل على مسودة أولى تافهة هو تهدئة الأصوات في رأسي. أولاً، نجد السيدة القارئة ذات الشفاه المسمومة، والتي تقول مبدئياً، «حسناً، هذا غير مثير للاهتمام، أليس كذلك؟» ونجد أيضاً الرجل الألماني الهزيل الذي يكتب هذه المذكرات الأورويلية [نسبة إلى جورج أورويل] التي تصف بالتفصيل جرائم الفكر. ومن ثم والداكَ المفجوعان بسبب افتقارك للولاء وحسن التقدير؛ ووويليام بوروز، يغفو أو ينفجر غاضباً لأنه يجدك جريئاً وواضحاً مثل نباتٍ منزلي؛ وهلم جرا.

كما أنك تجد الكلاب أيضاً: دعونا لا ننسى الكلاب، الكلاب الموجودة في حظائرها التي ستندفع بالتأكيد وتزمجر طوال الوقت إن تجرأت وتوقفت عن الكتابة، لأن الكتابة بالنسبة للبعض منا، هي المزلاج الذي يحافظ على باب الحظيرة مغلقاً، ويضمن احتواء تلك الكلاب المفترسة المجنونة.

إن تهدئة هذه الأصوات يعادل على الأقل نصف المعركة التي أخوضها يومياً. لكن هذا أفضل مما كان عليه من قبل. إذ اعتادت أن تصل سابقاً إلى 87 في المئة. ولو تركت عقلي يستخدم دفاعاته الخاصة فسوف يقضي معظم وقته في إجراء محادثات مع أشخاص غير موجودين في الواقع. أساير الناس دفاعاً عن نفسي أمامهم، أو أتبادل الحوار معهم، أو أبرر سلوكي، أو أحاول إغراءهم بالقيل والقال، أو التظاهر بأنني أشارك في برنامجهم الحواري التلفزيوني أو أياً يكن. تراني أسرع أو أشغّل مصباحاً أصفر عتيق أو لا أتوقف أبداً، وبعد نانوثانية أشرح لرجال الشرطة الوهميين لماذا اضطررت بالضبط إلى فعل ما فعلته، أو أصر على أنني لم أفعل ذلك في الواقع.

صادف أن ذكرت هذا لمنوم مغناطيسي التقيته قبل سنوات عديدة، وقد نظر إلي بلطف شديد. اعتقدت في البداية أنه كان يتلمس الأرض بحثاً عن زرّ الإنذار الصامت، وحينئذٍ أعطاني التمرين التالي، والذي ما أزال أستخدمه حتى يومنا هذا.

أغمض عينيك واهدأ لمدة دقيقة، إلى أن تبدأ الثرثرة في رأسك. ثم اعزل أحد الأصوات وتخيل أن الشخص الذي يتحدث فأر. التقطه من ذيله وارمهِ في مرطبان ماسون. ثم اعزل صوتاً آخر، ارفعه من ذيله، ارمه في المرطبان. وهكذا. ارمِ أي وحدات أبوية تستنزفك عاطفياً، وارمِ أي مقاول أو محام أو زميل أو طفل أو أي شخص يتذمر في رأسك. ثم احكم إغلاق الغطاء، وشاهد كل تلك الفئران وهي تخدش الزجاج، وتثرثر بعيداً عن رأسك،

وتحاول جعلك تشعر بأنك هراء لأنك لن تفعل ما يريدون - لن تمنحهم المزيد من المال، ولن تكون أكثر ناجحاً، ولن تحاول رؤيتهم مرات أكثر. ثم تخيل وجود زر للتحكم في مستوى الصوت على المرطبان. ارفع الصوت إلى أعلى درجة لمدة دقيقة، واستمع إلى تيار الأصوات الغاضبة والمهملة والمثيرة للشعور بالذنب. ثم خفّض الصوت إلى أدنى درجة وشاهد اندفاع الفئران المحموم نحو الزجاج محاولة الوصول إليك. اترك المرطبان في الأسفل وعد إلى المسودة الأولى التافهة.

يقترح كاتبٌ صديق لي فتح المرطبان وإطلاق النار عليهم جميعاً في الرأس. لكنّي أعتقد أنه غاضب قليلاً، وأنا متأكدة من أن شيئاً كهذا لن يحدث لك أبداً.

الكمال

إن الكمال هو صوت الطاغية، عدو الشعب. سيحرص على إبقائك محشوراً وممسوساً طوال حياتك، وهو العقبة الرئيسية بينك وبين المسودة الأولى التافهة. أعتقد أن الكمال مبنيّ على الاعتقاد المهووس بأنك إذا عملت بحذرٍ بما فيه الكفاية، وخطوت كل خطوة بشكل صحيح، فلن تضطر إلى الموت. الحقيقة هي أنك ستموت على أي حال، وأن الكثير من الأشخاص الذين لا ينظرون تحت أقدامهم حتى سيفعلون أفضل منك بكثير، وسوف يستمتعون أكثر أثناء قيامهم بذلك.

إلى جانب ذلك، فإن الكمال يدمر كتاباتك، ويعيق الإبداع والمرح وقوة الحياة (هذه كلمات يُسمح لنا باستخدامها في كاليفورنيا). الكمال يعني أن تحاول يائساً ألا تترك خلفك الكثير من الفوضى لتنظيفها. لكن الفوضى والضوضاء تظهر لنا أن الحياة تعاش بكل أبعادها. الفوضى أرض خصبة رائعة - لا يزال بإمكانك اكتشاف كنوز جديدة تحت كل تلك الأكوام. الكمال يعني نظف الأشياء، حرّرها وصحح أخطاءها، واحكم قبضتك عليها. يقترح الترتيب أن بعض الأشياء جيدة بقدر ما تسيطر عليها. والترتيب يجعلني أفكر في حبس أنفاسي، وتعليق حياتي، بينما الكتابة تحتاج إلى التنفس والحركة.

عندما كنت في الحادية والعشرين من عمري أجري لي عملية جراحية لإزالة اللوزتين. كنت من بين أولئك الأشخاص الذين يصابون بالتهاب

الحلق كل بضع دقائق، وقرر طبيبي أخيراً أنني بحاجة إلى التخلص من اللوزتين.

عانيت طوال الأسبوع التالي للجراحة من ألمٍ مزعجٍ جداً عند البلع لدرجة أنني كنت بالكاد أتمكن من فتح فمي من أجل استخدام القشة لشرب أي شيء. طلب الطبيب لي وصفة طبية تتضمن مسكنات للألم، ولكنها نفذت قبل أن ينفذ الألم، اتصلت بالممرضة وقلت أن عليها إرسال وصفة طبية أخرى، ربما مع إضافة بعض المهدئات لأنني كنت أشعر بالقلق أيضاً إلى حد ما. لكنها رفضت. فطلبت التحدث إلى مشرفها. أخبرتني أن مشرفها كان خارجاً في استراحة الغداء وأنني عليّ شراء علكة، دون أي شيء آخر، ومضغها بقوة - وقد جعلتني تلك الفكرة أشعر بانقباض في حلقي. وأوضحت أنه عندما يكون لدينا جرح في أجسادنا، تنقبض العضلات المجاورة حوله لحمايته من أي انتهاك آخر ومن الالتهاب، وأن عليّ استخدام هذه العضلات إذا أردتها أن تسترخي مجدداً. لذا أخيراً خرجت صديقتي بامي واشترت لي العلكة، ورحت أمضغها بعداء وشكٍّ كبيرين. تسببت المضغات الأولى بإحساس تمزق مريعٍ في مؤخرة حلقي، ولكن في غضون دقائق اختفى كل الألم نهائياً.

أعتقد أن شيئاً مشابهاً يحدث مع عضلاتنا النفسية. فهي تنقبض حول جروحنا (الألم الذي يرافقنا منذ طفولتنا، والخسائر وخيبات الأمل في مرحلة البلوغ، والإذلال الذي نعانيه في كلاهما) لحمايتنا من التعرض للأذى في نفس المكان مرة أخرى، وإبعاد المواد الغريبة عنا.

لذا فإن هذه الجروح لا تحظى بفرصة للشفاء. إن الكمال أو السعي إلى الكمال هو أحد أسباب انقباض عضلاتنا. لا ندرك في بعض الحالات حتى أن الجروح والانقباضات موجودة، لكن كلاهما يقيدنا. ويجعلنا نتحرك

ونكتب بأساليب ضيقة وقلقة. تجعلنا واقفين في الخلف أو في مؤخرة الحياة، وتمنعنا من تجربة الحياة بطريقة حرة وآنية. إذاً، كيف يمكننا اختراقها والمضي قدماً؟

إن الأمر أسهل إن آمنت بالله، لكنه ليس مستحيلاً إن لم تؤمن به. إن آمنت بالله، فإن إلهك قادرٌ على إعفاءك من بعض هذه الكمال. ومع ذلك، فإن من أكثر الأشياء المزعجة بشأن اعتمادك على الله هو أنه لا يلمسك أبداً بعصا سحرية، مثل جليندا الساحرة الطيبة، ويمنحك ما تريد. وكأن الأمر يشكل أي فارقٍ لديه. بل يمنحك الشجاعة أو القدرة على التحمل لكتابة الكثير والكثير من المسودات الأولى التافهة، وسوف تدرك بعد ذلك أن المسودات الثانية الجيدة يمكن أن تنبع من تلك، وسترى أن هذه الفوضى الهائلة البعيدة عن الكمال لها قيمة عظيمة أيضاً.

ربما يكون إلهك حاد المزاج، ومنشداً للكمال ويحاكم الأشياء بدقة، مثل بوب دول أو ربما مثلي أنا في هذه الحالة. لكن قسّاً صديقاً لي حذرني من صورة الله القياسية التي ترافق طفولتنا، الله الذي يحبك ويرشدك ثم يشويك في النار إن أنت أخطأت: الله كمدير المدرسة الثانوية في بدلته الرمادية والذي لم يتذكر اسمك يوماً لكنه يتصفح ملفاتك دائماً باستياء. إذا كان هذا هو إلهك، فربما تحتاج إلى الدمج بين نفوذ شخص أكثر بهجة منك ولو قليلاً، شخص أقل تمحيصاً وإزعاجاً. ديفيد بيرن مثال جيد على ذلك. وجرايسي ألين جيدة أيضاً. وكذلك السيد روجرز.

إن كنت لا تؤمن بالله، فقد يكون من المفيد أن تتذكر هذا السطر العظيم لـ جينين روث: أنّ الوعي هو تعلّم أن تحافظ على صحبتك مع نفسك. ومن ثم أن تتعلم كيف تكون رفيقاً عطوفاً، كما لو كنت شخصاً مغرماً به وترغب في تشجيعه. أشك أنك ستقرأ النصوص الأولى التي اجتهد في كتابتها صديق

مقرب جالس أمامك، وتدير عيناك علامة الازدراء، وتضحك ضحكة صفراء. وأشك في أنك ستدفع إصبعك إلى حلقك وكأنك تشعر بالقرف والتقيؤ. أعتقد أنك قد تقول شيئاً ما على غرار: «أحسنت. يمكننا حل بعض المشاكل لاحقاً، ولكن في الوقت الحالي، ثابر إلى الأمام!»

على أي حال، فإن خلاصة القول، إذا أردت أن تكتب، فسوف تتمكن من ذلك ولكن ربما لن تكون قادراً على تحقيق ما تسعى إليه من نجاح إذا لم تبدأ في محاولة تجاوز السعي إلى الكمال. لقد شرعتَ في سرد قصة من نوع ما راغباً في قول الحقيقة كما تشعر بها، لأن ثمة ما يدعوك إلى القيام بذلك. إنها تدعوك مثل إصبع الإيماء المكون من الدخان في الرسوم المتحركة الذي يتشكل من حرارة الفطيرة المتروكة على حافة النافذة لتبرد، وينزلق تحت الأبواب وفي جحور الفئران أو يصل إلى خياشيم الرجل أو المرأة النائمين على الكرسي المريح. ثم يشير الدخان العطري بإصبعه، فيطفو الفأر أو الرجل أو المرأة مع إشارته ويتبعون أنوفهم كمن يسبح في الهواء. لكن في بعض الأيام يكون الدخان خافتاً وعليك فقط أن تحاول اتباعه بأفضل ما يمكنك والشمشمة وراءه. ومع ذلك، حتى في تلك الأيام، قد تلاحظ روعة الشعور بالمثابرة. وقد تبدو الرائحة في اليوم التالي أقوى - أو أنّ نوعاً من المثابرة يتطور بهدوء لديك. وهذا رائع ولا يقدر بثمن. والكمال، من ناحية أخرى، يدفعك إلى الجنون لا أكثر.

قد يتحول عملك اليومي إلى فوضى. وإن يكن؟ يقول فونيجوت: «عندما أكتب، ينتابني شعور ُأنني رجلٌ بلا ذراعين ولا ساقين وأحملُ قلم تلوينٍ في فمي». فانطلق إذا وارتكب ما شئت من الخربشات والأخطاء الكبيرة. واستنزف الكثير من الورق. إن الكمال شكل جامد لئيم من أشكال المثالية، بينما الفوضى هي صديق الفنان الحقيقي. ما نسي الناس ذكره بطريقة

ما عن غير قصد عندما كنا أطفالاً هو أننا بحاجة إلى إحداث فوضى من أجل اكتشاف من نحن ولماذا نحن هنا - وأيضاً من أجل أن نكتشف ما يفترض بنا أن نكتبه.

وجبات مدرسية

أعلم أنني خططت لإخبارك كل ما أعرفه عن الكتابة، لكنني سأخبرك أيضاً كل ما أعرفه عن وجبات الغداء المدرسية ربما لأن التوق والدوافع واللهفة الشديدة متشابهة جداً. أعتقد أن هذا سيُوضح أيضاً كيف أن القيام بمهام قصيرة ثم إنتاج مسودات أولية تافهة جداً لهذه المهام يمكن أن ينتج عنه وفرةٌ من الذاكرة التفصيلية والمواد الخام والشخصيات الغريبة الكامنة في الظل. لذلك: في بعض الأحيان عندما يتصل الطالب باكياً شاكياً من اليأس بعد محاولة تدوين بضع كلمات على الورق، فإنني أطلب منه أن يخبرني عن وجبات الغداء المدرسية - في المدارس الأبرشية، والمدارس الخاصة قبل عشرين عاماً من عهدي بها، أو بعد عشر سنوات، في جنوب كاليفورنيا أو نيويورك. ودائماً ما يتبين أنها تشبه وجبات الغداء في مدارس الطبقات الوسطى العامة في شمال كاليفورنيا. لكنها مختلفة أيضاً من نواحٍ مهمة، وهذا أكثر إثارة للاهتمام لسبب واضح هو أننا حين ندرس الاختلافات نرى بوضوح أكثر ما هو مشترك بيننا. ولسبب غريب ما، عندما يبدأ طلابي في النقاش معي بشأن وجبات الغداء المدرسية، فإنهم ينهون الحديث وهم يشعرون بحماس أكبر وبحالة أفضل.

طلبت من طلابي ذات مرة في أحد فصولي، الكتابة عن وجبات الغداء لمدة نصف ساعة، وجلست معهم وكتبت:

إليكم الأمر الأهم الذي أعرفه عن وجبات الغداء في المدارس العامة:

يبدو الأمر وكأن حفنة من الأطفال يتناولون الغداء. لكن الأمر يشبه في الواقع كشف دواخلنا أمام الجميع. تماماً مثل الكتابة. الأمر أشبه باستخدام الحمامات في صالة الألعاب الرياضية للصفين السابع والثامن، حيث أمكن للجميع أن يرى كل شيء تملكه أو كل شيء تفتقر إليه، وأن يشمّ الروائح الداخلية لجسدك، وكنت تعرف طوال الوقت أنك على وشك القبض على شيء ما. وتكشف مكونات غدائك عما إذا كنت أنت وعائلتك بحال ميسورٍ أم لا. فحالة بعض حقائب الغداء تشبه حال بعض الناس، منها الجيد ومنها التعيس. كأن ثمة ترميز يصنف بطريقة صحيحة ومقبولة.

كان الأمر بهذه البساطة.

في غضون نصف ساعة أصبح لدي بالفعل الكثير من الأفكار وكذلك لدى بعض الطلاب، مما أثار تهديداً بشلّ حركتنا. لذلك قررنا ألا نهتم حتى بما كتبه أهلنا بخط يدهم على الغلاف الخارجي لحقيبة الغداء الورقية البنية - وكم كان يشبه قاتلاً تركياً وكم فضح أموراً عنا. قررنا أن ندع الحقيبة جانباً قليلاً. وأن نلتزم في الوقت الحاضر بمحتوياتها، ونبدأ مع الشطيرة. وكان ذلك بالضبط إطار الصورة مقاس بوصة واحدة الذي كنا سننظر فيه.

كانت الشطيرة كانت محور الاهتمام، وكانت ثمة إرشادات صارمة. يكاد يكون من الواضح طبعاً أن الخبز الأبيض الذي يباع في المتجر هو الخبز الوحيد المقبول. دون أي استثناء. إذا حضّرت والدتك الخبز الأبيض بنفسها لصنع شطيرتك، فليس بوسعك سوى أن تدعو ألا يلاحظ أي شخص. ولم تكن لتتفاخر بهذا الأمر بالطبع أكثر مما تتفاخر لو أنها حضرت لك أيضاً شطيرة تتضمن شريحة من لحم الرأس. وكان يوجد القليل من الأشياء التي يمكن لوالديك وضعها بين قطعتين من الخبز. لا بأس بشريحة من سجق بولوني، كانت مقبولة، أو السلامي مع بعض الجبن، أو زبدة الفول السوداني

مع الهلام إذا فهم والديك مسألة الهلام والمربى.

كان هلام العنب هو الأفضل إذا وضع في مرطبان صغير، وجاء مربى الفراولة في المرتبة الثانية. وكل شيء آخر كان مرفوضاً. مربى العليق، على سبيل المثال.

لاحظ الآن أنني لم أستطع أن أتذكر حين كنت أكتب في الفصل، ما المشكلة بالضبط حيال مربى توت العليق التي كانت مزعجة للغاية. لذلك عندما عدت إلى المنزل في تلك الليلة، اتصلت بصديقٍ كاتبٍ أيضاً، وكان ناجحاً جداً وربما أكثر شخص عصامي أعرفه. سألته: «أتذكر كيف كان هلام العنب في المدرسة الابتدائية هو الأفضل لوجبة غدائك، وكذلك مربى الفراولة كان مقبولاً، لكن توت العليق كان رعباً حقيقياً؟ هل يمكنك أن تحدثني عن تجاربك مع هذه الأشياء؟» فراح صديقي يغوص في نقاش حماسي ومشوش حول ما رافق مربى التوت من قصصٍ وأحداث والكثير من البذور في كل ملعقة. شعرت بوجود كل هؤلاء الأشخاص كأنهم البذور الصغيرة جداً في المرطبان. لقد كانت مربى سارق الجثث.

ثم ذكر صديقي مربى المشمش، والتي كانت أسوأ من مربى التوت. لم أفكر في هذا منذ ثلاثين عاماً، لكن الآن عاد كل شيء بوضوح رهيب. كان مربى المشمش يشبه الصمغ أو الهلام النباتي. لكن يمكنك التأكد من وجود مربى المشمش عندما يحضّر والدكَ الغداء. لطالما أحب الآباء مربى المشمش. لا أعرف لذلك سبباً، لكنني متأكدة من أن آنا فرويد يمكن أن تقضي يوماً ممتعاً في تفسير ذلك.

جلست في تلك الليلة وواصلت الكتابة:

لنفكر في الأمر، عندما كان الآباء يعدون وجبة الغداء عموماً، كانت

الأمور تسير على نحو سيء دائماً. كان الآباء شاردي الذهن كثيراً في ذلك الوقت. وكأنهم أجانب. فعلى سبيل المثال، كان قانون تحضير شطيرة بولونيا بالنسبة لهم يعني الخبز الأبيض وشريحة أو شريحتين من سجق بولونيا، والخردل وقطعة واحدة من خس آيسبرغ. (كان الكاثوليك يفضلون المايونيز بشدة، الأمر الذي قد نتطرق إليه لاحقاً). في البداية، استخدم الآباء دائماً الخبز المفتت دائماً ومن ثم يدهنوه بالزبدة مما يجعل الشطيرة أقرب إلى طبق هاجيس [أمعاء الخروف المحشوة باللحم والدهن]. كما أن كل شيء يتساقط دائماً من الشطائر التي يحضرها الآباء. ولا أعرف سبباً لذلك بالضبط. كانوا يستخدمون أي شيء أخضر أو مكشكش بدلاً من الخس، بينما بالطبع لا يُسمح إلا بقطعة واحدة من خس أيسبرغ الذابل. يرى أصدقاؤك ورقة كبيرة من الخس الروماني تسقط مع شريحة سجق بولونيا، وسرعان ما تجد نفسك من شدة الإحراج واقفاً إلى جانب الفتى مقابل السياج.

لطالما كان ثمة فتى يقف مقابل السياج. كيف يمكن لبقيتنا أن نشعر أننا على ما يرام إن لم يكن هناك؟ إذا كان رجلاً، فغالباً ما يصاحبه حقيبة بوق تستند جوار قدميه ويرتدي حذاء بالياً بشكل غريب لأنه تجنب السير على الأرصفة وفضّل السير عبر الأراضي العشبية والكلاب تنبح من حوله. لم ينته به الأمر في تلك المحطة فقط لأن وجبات غدائه كانت مروعة لغرابتها، بل لأن وجبات غداءه لم تكن تكفيه.

لا بدّ أن الحال انتهى به ليصبح كاتباً.

الآن، من يعرف ما إذا كان أي مما ورد في هذه الفقرة مادة مفيدة للكتابة؟ لا توجد طريقة لتجيب على هذا السؤال حتى تنتهي من كل شيء، وبعد ذلك قد تقف عند جملة واحدة أو شخصية واحدة أو موضوع واحد وينتهي بك الأمر إلى استخدامها. وبذلك تكون قد أنجزت المهمة. كل ما عليك هو

أن تكتب.

سمعت ناتالي جولدبيرج، مؤلفة كتاب «كتابة الهياكل»، تتحدث عن الكتابة مرةً. سألها أحدهم عن أفضل نصيحة تقدمها حول الكتابة، فرفعت ورقة مخططة صفراء، وتظاهرت أن أصابعها تمسك بالقلم ودونت شيئاً ما على الورقة. أعتقد أن هذا كان نوعاً من الإشارة إلى الزن - التلميذ البوذي الذي يتذكر خطبة زهرة بوذا، والتي كان كل ما فعله بوذا خلالها هو أن رفع زهرة وأدارها في صمتٍ جالساً على قمة الجبل. أما بالنسبة لي، فأنا فتاة مسيحية لطيفة، وفي حين كنت أتمنى أن أقتبس شيئاً ملهماً وأنيقاً ذكره يسوع عن الكتابة، لكن في الحقيقة حين يسألني الطلاب عن أفضل نصيحة عملية أعرفها، فأنني دائماً أمسك ورقة وأرفعها ثم أتظاهر بأنني أدون شيئاً ما عليها. عادة ما يعتقد طلابي أن هذا جواب حكيم جداً من قبلي وشبيه بالزن. وأنسى عادة أن أمنح ناتالي جولدبيرج الفضل.

ويسألونني: ولكن عن أي شيء نكتب؟

وأجيب: «اكتبوا عن أصابع الجزر»:

تبدو أصابع الجزر المعتمدة قانوناً مقطعة آلياً وموحدة المظهر تماماً ولا يزيد طولها عن طول الشطيرة. يرسلك والداك أحياناً إلى المدرسة مزوداً بكيس من الورق المشمع وفيه قطع من الجزر ذات الأشكال الغريبة غير المتجانسة، وسيكون تقديرك للجزر منخفضاً لدرجة أنك لا تستطيع المخاطرة بالنظر إلى الرجل الواقف مقابل السياج. فكرة سيئة. إذا نظرت إليه كثيراً بتمعن شديد فسوف يمتد قوس تعاطفي مرئي بينكما، مثل قوس قزح تقريباً، ويربطكما معاً في أذهان أقرانك إلى الأبد.

ثم كان هناك موضوع ورق التغليف؛ ورق مشمع وتغليف آخر بورق

النايلون. إذا كانت الوجبات المدرسية القانونية تتعلق بالرغبة الشديدة في أن يكون شيء ما في الحياة على ما يرام، أو حتى مجرد الظهور على أنها على ما يرام، في حين يكون كل شيء من حولك وفي منزلك وفي داخلك فوضوياً ومؤلماً للغاية، فإن من المهم للغاية ألا يبدو أن شخصاً أحمقاً قام بتغليف شطائرك. افترضت وجبة غداء القانونية أن شخصاً ما في عائلتك كان يقظاً، حتى لو كنت تدرك في قلبك أن والديك كانا يرتكبان الأخطاء يمنةً ويساراً. لذلك كان الأمر أشبه نوعاً ما بترتيب سريرك عند الغداء. يجب أن يكون كل شيء مربعاً. يجب تغليف الشطائر بدقة كما تغلف أسرَّة المستشفيات. صحيح؟

حسناً. هذا كل ما في الأمر. لكن لدي الآن هذه المادة للاختيار من ضمنها، أو العمل معها، أو تشكيلها، أو تعديلها، أو إخراجها للضوء، أو رميها. (وهذا لطف منك أن تقترح هذا الأخير). تلك هي فكرتي عن الوجبات المدرسية. قد تكون فكرتك مختلفة، ومن دواعي اهتمامي أن ألقي نظرة عليها. (لا تسئ فهمي. لا أقترح عليك إرسالها لي بالبريد. لكنّي أراهن أنها تكشف بعض الأشياء المثيرة للاهتمام عنك وعن عائلتك والفترة التي نشأت فيها). وعلى الرغم من أن ما نقلته هنا هو عبارة عن مسودة أولية تافهة فإن الصبي الذي يقف مقابل السياج ظهر من العدم – لم يكن لدي أي فكرة عندما بدأت في الكتابة أنه كان في ذاكرتي أصلاً. وأرى أنه أهم شيء نتج عن هذا التمرين. عندما أجلس غداً للعمل على روايتي، سيكون هذا الصبي مهماً بالنسبة لي وأريد العمل معه والتعرف إليه، ولا بدّ أن لديه شيئاً مهماً يخبرني إياه أو مكاناً ما لا يمكن لأحد سواه اصطحابي إليه.

لقطات فورية

إن كتابة مسودة أولى يشبه إلى حدّ كبير مشاهدة تطوّر اللقطاتٍ الفورية (بولارويد). لا يمكنك – وفي الحقيقة ليس من المفترض أن تعرف بالضبط كيف ستبدو الصورة حتى تنتهي من الظهور. عليك أن تشير أولاً إلى ما جذب انتباهك والتقاط الصورة. ما لفت انتباهي في الفصل الأخير، على سبيل المثال، كان محتويات حقيبة غدائي. لكن مع تطور الصورة، اكتشفت أن لدي صورة واضحة بالفعل عن الصبي مقابل السياج. أو ربما كان من المفترض أن تكون صورتك الفورية لقطة لذلك الصبي الواقف مقابل السياج، وأنك لم تلاحظ حتى اللحظة الأخيرة أنّ ثمّة عائلة تقف على بعد بضع أقدام منه. ربما كانت عائلة الصبي، أو عائلة أحد الأولاد في فصله، ولكن على أي حال سيظهر هؤلاء الأشخاص ضمن الصورة أيضاً. ثم يخرج الفيلم من الكاميرا بغباشةٍ خضراء رمادية تتوضح تدريجياً شيئاً فشيئاً، وأخيراً ترى الزوج والزوجة يحملان طفلهما ويقف طفلان آخران بجانبهما. وفي البداية يبدو كلّ شيء لطيفاً جداً، ولكن بعد ذلك تبدأ خيالات الظلام في الظهور، ثم تتراءى أمام عينيك مأساة الحيوان، وتكشف قرود البابون عن أسنانها. ثم ترى وميضاً من الزهور الحمراء البراقة في الربع السفلي الأيسر من الإطار لم تكن تعلم حتى بوجودها في الصورة عندما التقطتها، وهذه الزهور تستحضر وقتاً أو ذاكرةً تؤثر بك بشكل غامض. وأخيراً، عندما تتضح معالم الصورة، تبدأ في ملاحظة كل الاحترام المحيط بهؤلاء الأشخاص، وتبدأ في فهم كيف يُظهرنا الاحترام ويريحنا، ويبين لنا ما نقدره وما نحتاجه، ومن

نظنّ أنفسنا.

لم يكن لديك أي طريقة ممكنة لمعرفة كيف سيبدو هذا العمل عندما بدأته أول مرة. لقد عرفت للتو أن ثمة شيء ما يتعلق بهؤلاء الأشخاص هو الذي دفعك وأنك بقيت مع هذا الشيء فترة طويلةً بما يكفي ليُظهر لك فحواه.

شاهد تطور هذه اللقطة الفورية:

قبل ستة أو سبعة أعوام، طُلب مني كتابة مقال حول أولمبياد ذوي الاحتياجات الخاصة. كنت أحرصُ على حضور هذا الحدث المحلي طيلة سنوات، ويرجع ذلك بعض الشيء إلى مشاركة صديقين لي في المنافسات. كما أنني أحب الرياضة وأحب مشاهدة الرياضيين من ذوي الاحتياجات الخاصة أو غيرهم. لذلك فقد أظهرت هذه المرة قدراً كبيراً من الاهتمام ولكن دون إدراك حقيقي للشكل الذي قد تبدو عليه المقالة النهائية.

تميل الأمور إلى السير ببطء شديد في ألعاب أولمبياد ذوي الاحتياجات الخاصة. إن الأمر لا يشبه محاولة تغطية سباق بريكنيس السنوي للخيول. إلا أنّ لها بهجتها الخاصة أيضاً، وكنت أهتف مشجعةً وأدون الملاحظات طوال الصباح.

كان آخر سباقات المضمار والميدان قبل الغداء هو سباق خمسة وعشرين ياردة ويشارك به بعض العدائين والمشاة المعاقين بشكل كبير، وقد بدا العديد منهم مرتبكون تماماً. تكتلوا وتمايلوا، واخترق أحدهم المنصة ببطء شديد كالحلزون- واتجه رجل آخر نحو الدرجات حيث يستلم الفائزون ميدالياتهم؛ وكلاهما أعيدا إلى المكان الصحيح. استغرق السباق وقتاً طويلاً جداً. اقترب الوقت من الظهيرة وكنا جميعاً جائعين جداً. أخيراً، عبر جميع المتسابقين خط النهاية، وما أن نهضنا نحن الجالسون في المدرجات للذهاب

- لاحظنا وجود عداء آخر بعيداً في أول المسار، على بعد أربعة أو خمسة ياردات من خط البداية.

كانت فتاة تبلغ من العمر حوالي ستة عشر عاماً ذات وجه طبيعي وجسدٍ متصدع وهزيل. كانت تمشي بمساعدة عكازات معدنية، محاولةً المضي قدماً بجهد بالغ، خطوة صغيرة تلو الأخرى، تحرك عكازها للأمام بوصتين أو ثلاث بوصات، ثم تحرك ساقاً، ثم تحرك العكاز الآخر بوصتين أو ثلاث بوصات، لتحرك الساق الأخرى. كان الأمر موجعاً جداً. بالإضافة إلى أنني كنت أتضور جوعاً حتى الموت. كنت في داخلي أهتف، هيا، هيا، هيا، امسح جبهتي بقلق، بينما استمرت هي في قطع هذه الخطوات بطول بوصتين أو ثلاث بوصات إلى الأمام. وبعد مضي نحو أربع ساعات، تمكنت الفتاة من عبور خط النهاية، وكان بإمكانك أن ترى أنها مبتهجةٌ للغاية وإن بطريقة خجولة وطفولية.

عندما غادرت المدرجات بحثاً عن بعض الطعام للغداء تقاطع طريقي مع طريق رجل أمريكي من أصل أفريقي طويل القامة بلا أسنان أمامية. شدّ كمّ سترتي، فرفعت رأسي أنظر إليه، وإذ به يسلمني صورة فورية التقطها أحدهم له مع أصدقائه في ذلك اليوم. قال «انظري إلينا». كان كلامه عسير الفهم، ثقيلاً وبطيئاً كشريط تسجيلٍ تالف. كان صديقاه في الصورة مصابين بمتلازمة داون. بدا الثلاثة سعداء للغاية بأنفسهم. أبديت إعجابي بالصورة ثم أعدتها له. توقف، فتوقفت أنا أيضاً. وأشار إلى صورته. قائلاً: «هذا رجل رائع».

وتلك هي الصورة التي أطلقت شرارة بدء مقالتي، على الرغم من أنني لم أستطع إخباركم بالضبط حول أي شيء ستدور أحداث المقال في نهاية المطاف. أدركت في التوّ واللحظة أن شيئاً ما قد أوشك على الظهور.

توجهت بعد الغداء إلى القاعة حيث اتضح أن مباراة كرة السلة للرجال كانت تجري حينها. وكان الرجل الأمريكي من أصل أفريقي الذي فقد أسنانه الأمامية هو نجم المباراة. يمكن لأي منا أن يخمّن أنه كذلك لأنه على الرغم من عدم تسديد أي هدف حتى الآن، فإن زملائه في الفريق كانوا يمررون الكرة له دائماً. حتى لاعبو الفريق الآخر كانوا يمررون له الكرة كثيراً. وبدلاً من تسجيل أي نقطة، تدافع الرجال بحركة بطيئة لأعلى وأسفل الملعب، ودحرجوا الكرة بشكل مدوي. لم أشهد مثل هذه اللعبة الصاخبة من قبل. كانت جميلة جداً بشكل جنوني للغاية. تخيلت وصف اللعبة في مقالتي ثم وصفها لطلابي تحت عنوان: الجهارة والفرح. كررت استعراض مشهد الفتاة على عكازين وهي تشق طريقها عبر المسار إلى خط النهاية - وفجأة بدأت مقالتي بالإشراق وانبثقت خارج الضباب الأخضر الرمادي. لقد أدركت أن الأمر يتعلق بمأساة تحوّلت على مرّ السنين إلى فرح وبهجة. وأنّ الأمر يتعلق بجمال الجهد والسعي المطلق. استطعت أن أراها بقدر ما أستطيع من وضوحٍ في صورة ذلك الرجل اللطيف وصديقيه.

كانت مدرجات القاعة مزدحمة بالحضور. ثم بعد بضع دقائق، مع عدم تسجيل أي نقاط على اللوح، راح الرجل الأسود الطويل يراوغ ببطء من أحد طرفي الملعب إلى الطرف الآخر، رمى الكرة عالياً في الهواء وسقطت في السلة. هتفت الحشود بفرحٍ، ونظر جميع الرجال في كلا الفريقين بأعين مذهولةٍ إلى طوق السلة، كما لو أن النيران قد اشتعلت فيه للتو.

وأقول لطلابي: كنتم ستحبون هذا المشهد لا محالة. وتشعرون وكأن بمقدوركم الكتابة طوال اليوم.

الشخصية

إن معرفة شخصياتك تظهر على النحو الذي تتطور به اللقطات الفورية: يستغرق الأمر وقتاً حتى تعرفهم. من الصور التي تساعدني على الشروع في معرفة الأشخاص في رواياتي صورةٌ حدثتني عنها إحدى الصديقات ذات مرة. قالت إن كل فرد منا يمنح عند الولادة مساحة فدان عاطفي ملكاً له تماماً. أنت تحصل على فدان، ويحصل عمك الفظيع فيل على آخر، وأنا أحصل على واحد، وتريشيا نيكسون تحصل على واحد، الجميع يحصل على فدان عاطفي. وطالما أنك لا تؤذي أيّ شخص، يحقّ لك أن تتعامل مع فدانك كما يحلو لك. يمكنك زراعة أشجار مثمرة أو زهور أو صفوف خضروات مرتبة ترتيباً أبجدياً، أو لا شيء على الإطلاق. إن أردت أن يبدو فدانك مثل مرآب بيعٍ عملاق، أو ساحة تحطيم آلي، فهذا شأنك وليس من يمنعك. يوجد سياج حول فدانك أيضاً وله بوابة، وإذا استمر الناس في دخول أرضك وتقليصها أو حاولوا إقناعك بفعل ما يعتقدون أنه صحيح، عليك أن تطلب منهم المغادرة. وعليهم أن يغادروا لأنها أرضك أنت.

وعلى نفس المنوال، كل شخصية من شخصياتك لديها فدان عاطفي تحافظ عليه بطرق معينة محددة أو لا تحافظ عليه. ومن الأشياء التي ترغب في اكتشافها عندما تبدأ هو هيئة فدان كل شخصية. ما الذي يزرعه كل شخص، وما شكل أرضه؟ قد لا تظهر أهمية هذه المعرفة في حد ذاتها فيما تكتبه، ولكن الناحية المهمة هي أنك تحتاج إلى معرفة أكبر قدر ممكن عن الحياة الداخلية

للشخصيات التي تعمل معها.

كما أنك تتساءل: تُرى كيف يقفون وما الذي يحملونه في جيوبهم أو محافظهم، وما تعابير وجوههم وما الوضعيات التي يتخذونها عندما يفكرون أو يشعرون بالملل أو الخوف. لمن كانوا سيمنحون أصواتهم في الانتخابات الأخيرة؟ لم علينا الاكتراث لهم على أي حال؟ ما أول شيء يتوقفون عن فعله إذا اكتشفوا أن حياتهم تنتهي بعد ستة أشهر؟ هل يخطر في بالهم العودة إلى التدخين مجدداً؟ هل يستمرون في تنظيف أسنانهم بالخيط؟

سوف تحب بعض شخصياتك لأنها تشبهك أو تشبه بعضاً من ملامحك، وسوف تكره بعض شخصياتك لنفس السبب. ولكن بغض النظر عن أي شيء، ربما يتعين عليك السماح بوقوع حوادث سيئة لبعض الشخصيات التي تحبها وإلا فلن يكون لديك قصة. تقع الحوادث السيئة للشخصيات الطيبة، لأن أفعالنا لها عواقب، ولا نتصرف جميعاً بشكل مثالي طوال الوقت. بمجرد أن تبدأ في حماية شخصياتك من تداعيات سلوكهم الأقل نبلاً، تصبح قصتك مسطحة وبلا مغزى تماماً كما هي في الحياة الواقعية. تعرف على شخصياتك بقدر ما تستطيع، ضعها في مواجهة أمرٍ ما على المحك، ثم دع قطع اللغز تتساقط كلّ في مكانها. أخبرني صديقي آل-آنون عن الزوجة المهزومة المنهارة لرجل مدمن على الكحول ظل يفقد وعيه في الحديقة الأمامية في منتصف الليل. وظلت الزوجة تسحبه كل يوم قبل الفجر حتى لا يلمحه الجيران، إلى أن اقتربت منها في أحد الأيام امرأة سوداء عجوز من الجنوب بعد الاجتماع وقالت: «عزيزتي؟ دعيه يرقد حيث يرميه يسوع». وأنا أتعلم القيام بذلك ببطءٍ وعلى مهلٍ في عملي- وببطء أكثر حتى في الحياة الواقعية - .

قال لي رجل أعرفه ذات مرة: «الدليل موجود، وأنت القرار الحكم». ينطبق هذا القول على كل شخصية من شخصيات حكايتك. سيكون الدليل

موجوداً، وسيكون كل منهم القرارُ الحكم. لكنك قد لا تعرف ما هذا القرار في البداية. ربما تعرف الملامح الخارجية فقط لشخصياتك بدلاً من جوهرها. لا تقلق بشأن ذلك. سوف تكتشف المزيد مع مرور الوقت. في غضون ذلك، هل يمكنك أن ترى كيف تبدو شخصياتك؟ ما الانطباع الأول الذي يتركونه؟ ما الذي تهتم به كل شخصية وتريده أكثر من أي شيء آخر في العالم؟ ما أسرارهم؟ كيف يتحركون وما رائحتهم؟ تتجول كل شخصية معلنةً عن هويتها - فمن تكون هذه الشخصية؟ هلا وضحت لنا؟

كل ما تفعله أو تقوله شخصياتك سوف يولد من هوية كل منها، لذلك عليك أن تبدأ في التعرف عليها على أفضل وجه ممكن. ومن أهم السبل لذلك النظر داخل قلبك بحثاً عن الجوانب المختلفة لشخصيتك. قد تجد رجلاً محتالاً، أو يتيماً، أو ممرضة، أو ملكاً، أو عاهرة، أو مبشراً، أو فاشلاً، أو طفلاً، أو صديقاً. تعمق في داخل كل من هؤلاء الأشخاص وحاول التقاط كيف يشعر ويفكر ويتحدث ويقضي حياته.

هناك طريقة أخرى للتعرف على شخصياتك وهي أن تبنيها جزئياً على شخص تعرفه، أو نموذج من الحياة الواقعية أو على شخصية مركبة - عمك إدغار، ولكن مع التشنجات اللاإرادية والرائحة الغريبة لهذا الرجل الذي راقبته لمدة عشر دقائق في طابور مكتب البريد.

تمعّن في هذه الشخصيات في عقلك، ثم ابدأ في رسمها لنا. ولكن احذر، فمن المحتمل أن تتسبب صفحات وصفحات من الوصف المباشر في إنهاكنا. انظر إن كان بإمكانك سماع ما يقولونه وكيف يقولونه. إنّ سطراً واحداً من الحوار الذي يترك انطباعاً حقيقياً يكشف عن الشخصية ما لا تستطيع صفحات من الوصف أن تكشفه.

كيف تصف شخصياتك الرئيسية ظروفها الحالية لصديقٍ مقرب، قبل

وبعد تناول بضع كؤوس؟ انظر إن بإمكانك تدوين بعض الحوارات على لسانهم يخبرونك كيف ينظرون إلى أنفسهم وكيف تسير الحياة معهم في الآونة الأخيرة. إليكم مقطعاً من تأليف أندريه دوبوس أقوم دائماً بتمريره إلى طلابي عندما نبدأ في الحديث عن الشخصية لأول مرة:

أحب القصص القصيرة لأني أعتقد أنها تشبه الطريقة التي نحيا بها. تجمع القصص القصيرة ما يقوله أصدقاؤنا في ألمهم وفرحهم، وفي شغفهم وغضبهم، وتوقهم وصراخهم ضد الظلم. يمكننا أن نجلس طوال الليل نصغي إلى حديث صديقنا عن نهاية زواجه، وما نحصل عليه أخيراً هو مجموعة من القصص حول العاطفة والحنان وسوء الفهم والحزن والمال؛ تلك الساعات والأيام واللحظات التي عاشها حين كان متزوجاً، سواء كان وزوجته يصرخان على بعضهما البعض، أو يتناقران في أرجاء المنزل، أو يمارسان الحب. وبينما كان زواجه يحتضر، كان يتابع عمله أيضاً ويقضي الأمسيات مع الأصدقاء ويرعى أطفاله؛ ولكن تلك قصص أخرى. لهذا السبب، وبعد أيام من سماع قصة مؤلمة من قبل صديق نلتقي به ونسأله: كيف حالك؟ ندرك أنه قد يكون لديه الآن قصة أخرى يرويها، أو ربما يخوض إحدى القصص الآن، ونأمل أن تكون سعيدة.

فكر في سلة حياة كل شخصية: ما الذي يجعل الهيكل الخارجي متماسكاً، ما روتين هذا الشخص وما معتقداته؟ ما الأشياء الصغيرة التي ستكتبها شخصياتك في دفاتر يومياتها: لقد أكلت هذا، وأكره ذاك، لقد فعلت كذا، اصطحبت الكلب في نزهة طويلة، وتحدثت مع جاري. تلك الأشياء التي تربطهم بالأرض وبالآخرين، كل الأشياء التي تجعل كل شخصية تعتقد أن الحياة منطقية نوعاً ما.

وتعدّ السلة تشبيهاً مناسباً بسبب ما بها من ثقوب. ما مدى وعي كل

شخصية بمدى هشاشة السلة حقاً؟ إلى مدى تعتبر شخصياتك يقظة وواعية؟ قال لي أحدهم ذات مرة: «أحاول أن أتعلم البقاء في اللحظة الراهنة الآن - ليس اللحظة التي فاتت، بل الآن، وليس اللحظة القادمة، بل الآن؛ بل هذه الآن». في أي لحظة «الآن» تسكن شخصياتك؟

ما الذي تعلّمه شخصياتك لأطفالها عبر القدوة والتلقين؟ على سبيل المثال، كنت أقوم بتعليم سام ترانيم السلام لفترة طويلة، عندما كان في الثانية من عمره فقط. وذلك أثناء اندلاع الحرب في الخليج العربي. كنت غاضبة قليلاً.

أسألُ سام: «ماذا نريد؟»

يصرخ متجاوباً معي بكل صدق: «السلام».

أسأله: «ومتى نريد ذلك؟».

يجيب: «الآن». وأبتسم وأرمي له سمكة.

بالطبع ،كانت الكلمات بلا معنى على الإطلاق بالنسبة له. ربما علمته أيضاً أن يهتف: «سبوز!» بدلاً من «السلام» و «أغسطس!» وبدلاً من «الآن». أحب أصدقائي وأجداده الثلاثة ذلك.

أخبروني الآن، كم يكشف هذا شخصيتي وعن رغباتي؟ أعتقد أن شيئاً كهذا سيمنح القارئ أكثر من ثلاث صفحات من الوصف. وسوف يطلعنا على ميولها السياسية الحالية والثقافة السياسية التي نشأت عليها داخل الأسرة، ورغبتها في إرضاء الناس، وشوقها إلى السلام وتوقها إلى الانتماء، أسلوبها في تخفيف حدة الغضب والإحباط عبر الفكاهة مستفيدة من براءة طفلها أيضاً كدعامة لجهودها، يحيا تشارلي مكارثي الصغير [تشارلي مكارثي الدمية الشهير المتكلم من بطنه وشريك إدغار بيرغن. كان يرتدي القبعة

الشهيرة وبدلة التوكسيدو]. الصفة الأخيرة مرعبة، لكنها أيضاً مؤثرة ومؤلمة نوعاً ما. إذ ربما قبل خمسة وثلاثين عاماً، كان على هذه المرأة أن تقدم عروضاً أمام أصدقاء والديها. ربما كانت هي أيضاً تشارلي مكارثي الصغير. ربما عليها أن تناقش الأمر مع معالجها النفسي في غضون الأشهر القليلة المقبلة. وهل توقفت هذه المرأة عن استخدام طفلها بمجرد أن أدركت ما كانت تفعله؟ لا، لم تتوقف. وهذا يكشف لنا المزيد عن شخصيتها. استمرت في ذلك، حتى بعد مضي فترة طويلة على انتهاء الحرب، حتى جاء يوم من الأيام، نادت ابنها البالغ من العمر ثلاث سنوات ونصف وسألته: «ماذا نريد؟» فقال بنبرةٍ يملؤها الحزن: «طعام الغداء».

طلبت ذات مرة من إيثان كانين أن يخبرني أهم شيء يعرفه عن الكتابة، فأجاب دون تردد: «لا شيء أكثر أهمية من الراوي القريب من القلب. لا يمكن لأحدٍ أن يجمع أركان القصة أفضل منه». أعتقد أنه على حقّ. إذا كان الراوي شخص تبهرك رؤيته للأشياء، فلن يكون مهماً حقاً إذا لم يحدث أي شيء مثير للاهتمام لفترة طويلة. يمكنني مشاهدة جون كليز أو أنتوني هوبكنز وهما يغسلان الأطباق لمدة ساعة تقريباً دون الحاجة إلى حدوث أي شيء آخر. إن وجود راوٍ لطيفٍ يشبه وجود صديق رائع تحبَ رفقته، تحب التقاط ما في عقله، وتجذب انتباهك آراؤه العملية تماماً، يجعلك تضحك بصوت عالٍ، ولا تفارقك الرغبة بسرقة سطوره. عندما يكون لديك صديق كهذا، يمكنه أن يقول: «مرحباً، يجب أن أقود سيارتي إلى مكب النفايات في بيتالوما – هل تريد مرافقتي؟» بصراحة لا يمكنك التفكير في فعل أي شيء في العالم أفضل من ذلك. وعلى نفس المنوال، يمكن لأي شخص ممل أو مزعج أن يقدم لك عشاءاً باهظاً، متبوعاً بتذاكر لحضور عرض رائع، لكنك تفضّل صراحةً البقاء في المنزل ومشاهدة مجموعة أقراص هلام اللحم.

في واقع الأمر، إن أخطاء الشخص هي ما تجعله محبوباً إلى حد كبير. أحب أن يكون الرواة شبيهين بالأشخاص الذين أختارهم كأصدقاء، أي أن لديهم الكثير من العيوب التي لديّ؛ فالاستغراق بالنفس أمر جيد، وكذلك الميل نحو التسويف، وخداع الذات، والغموض، والغيرة، والتذلل، والجشع، والإدمان. لا ينبغي أن يكونوا مثاليين للغاية؛ الكمال يقابل السطحية والابتعاد عن الواقع ويتصف بالرتابة القاتلة. أحب أن يكون لديهم حس دعابة لطيف وأن يهتموا بأشياء مهمة، أعني بذلك أنهم مهتمون بالأمور السياسية والنفسية والروحانية. أحب أن تغمرهم الرغبة في معرفة من نحن وما أصل الحياة. أحبّ أن يكونوا معتلين عقلياً مثلي تماماً؛ لدي صديق على سبيل المثال، قال لي يوماً: «يمكنني أن أشعر بالاستياء من المحيط إذا حاولت»، وأدركت حينها أنني أحب تلك الخصلة في الرجل. أحب أن يكون لديهم أملٌ؛ فإذا أظهر صديق أو راوٍ يأسه في مرحلة مبكرة جداً، أفقد اهتمامي به. وأشعر بالإحباط. يجعلني أفرط في تناول الطعام. لا أمانع إذا كان الشخص يفتقد إلى الأمل أو إذا كان مرحاً ويضحك ساخراً من الأمر برمته، إذ إن القدرة على أن تكون مرحاً تظهر بالتأكيد نوعاً من الأمل والبِشر. يجب أن تحمل الروايات الأمل؛ يجب على الروايات الأمريكية على الأقل أن تحمل الأمل. ولا تحتاج الروايات الفرنسية إلى ذلك. نحن نكسب الحروب غالباً، وهم يخسرونها. رغم أنهم في الواقع أخفوا أكبر عدد من اليهود مقارنة مع العديد من البلدان الأخرى، وهذا بحد ذاته شكل من أشكال الفوز. على الرغم من أنهم لن يترددوا في الوشاية بنا في لحظات لو علموا أننا لا نتحدث الفرنسية بطلاقة، كما أكدت صديقتي جين، كن على ثقة من ذلك. عموماً، لا جدوى من كتابة الروايات اليائسة. نعلم جميعاً أننا سوف نموت عاجلاً ام آجلاً؛ المهم هو أي نوع من الرجال والنساء الذين سنكون في مواجهة هذا.

يتضح في بعض الأحيان أن الناس ليسوا على هذا القدر من المرح أو الوضوح، لكن لا يزال بإمكانهم أن يكونوا أصدقاء رائعين أو رواة مميزين إن امتلكوا بصيرة واضحة وعميقة - خاصةً إذا كانوا قد وجدوا سبيلاً للعيش أو للاستمرار في العيش على أفضل وجه ممكن. هذه مادة ممتعة ومثيرة للاهتمام بطبيعتها، لأنها المهمة التي تنتظرنا جميعاً: يتعيّن علينا في بعض الأحيان أن نضع يداً على هذه الصخرة هنا، ويداً على تلك، وإبهام كل قدمٍ يبحث عن الثبات وإن مؤقتاً، ولا وقت لدينا أثناء محاولتنا التوازن في وجه تلك الصخرة، للفقاعات والشامبانيا والفكاهة. لن تمانع في تلك الحالة من أن الأشخاص ليسوا بكامل سحرهم وأناقتهم. أنت مسرور لرؤيتهم يفعلون أمراً تحتاج إلى القيام به لاحقاً وبكرامة. التحدي والكرامة يجعلان الأمر ممتعاً بما فيه الكفاية.

كما أنّ تحديد ما هو ممتعٌ يُعدّ أمراً شخصياً تقريباً. يناولني الناس كتباً ومقالات لقراءتها مؤكدين لي أنها رائعة، وكثيراً ما استيقظ ممسكّة الكتاب مع رعشة تهزني مثلما تصحو فجأة من قيلولة صغيرة في السينما، معتقداً أنك تهوي من الطائرة. إليكم هنا القول الفصل بشأن ما هو ممتع أقتبسه من قصة قصيرة لأبيجيل توماس:

إن معيار أمي الأول فيما يخص الرجل المثالي هو أن يكون مثيراً للاهتمام وممتعاً. ما يعنيه هذا في الواقع هو مدى تمكنه من منح والدتي التقدير الواجب، وأن تتوخى نكاته بعض الدقة النحوية أو المعرفة العملية بالرياضيات العليا. أظنك فهمت ما أعنيه. روبي ممتع مثير للاهتمام تقريباً مثل زوج من الأحذية الرياضية الحمراء ذات العنق الطويل. لكن روبي يشير إلى الفراش الممدود على الأرض. يبتسم بخبثٍ، يفك حزامه ببطء، وينزع الجينز. يقول روبي: «استلقِ».

هذا ممتع بما يكفي بالنسبة لي.

شيء آخر: نريد أن يصلنا شعورٌ بأن شخصية مهمّة، مثل الراوي، جديرة بالثقة. نريد أن نصدق أن الشخصية لا تحتال أو تخجل أو تتلاعب بنا، بل تقول الحقيقة بأفضل ما في وسعها. (ما لم تكن السمة الرئيسية للشخصية هي الخجل أو التلاعب أو الكذب) إننا نرفض التلاعب بنا بشكل فظ. نحن ندخل عالم الروايات لنعيش حالة من التلاعب بنا بالطبع، ولكن بطريقة ممتعة. نريد أن نحصل على تدليك لطيف من قبل مدلك، لا أن نُنفض بمضرب السجاد.

وهذا يقودنا إلى مسألة كيف يقول الكتّاب الحقيقة. من المفارقات أن الكاتب يبحث عن الحقيقة دوماً، لكنه يروي الأكاذيب طوال العملية بأسرها. إنها كذبة إذا اختلقت شيئاً. لكنك تختلقها باسم الحقيقة، ثم تفعل ما بوسعك للتعبير عنها بوضوح. أنت تصنع شخصياتك، بعضها من التجارب، والبعض الآخر من الحيز الدقيق للعقل الباطن، وتحتاج إلى الشعور بالالتزام كي تتمكن من قول الحقيقة الدقيقة عنها، على الرغم من أنك أنت من يصنعها. أفترض أن السبب الأخلاقي الأساسي للقيام بذلك هو القاعدة الذهبية. لا أريد أن يكذب أحدهم علي. أريدك أن تخبرني الحقيقة، وسأحاول أن أخبرك الحقيقة أنا أيضاً.

تذكير أخير: ربما لن تعرف شخصياتك إلا بعد مضيّ أسابيع أو شهور من بدء العمل معهم. كتب فريدريك بوشنر:

أنت تتجنب إجبار شخصياتك على السير بثبات شديد على إيقاع قرع الطبول المصاحب لهدفك الفني. أنت تترك حيزاً من الحرّية الحقيقية لشخصياتك لتكون على طبيعتها. وإذا أظهرت الشخصيات الثانوية ميلاً لأن تصبح شخصيات رئيسية، فالأمر عائد لك وأنت قادر على منحهم

الفرصة على الأقل، إذ قد يستغرق الأمر عدة صفحات في عالم الرواية قبل أن تكتشف من هي الشخصيات الرئيسية بالفعل؛ تماماً كما هو الحال في العالم الحقيقي حيث يستغرق الأمر سنوات عديدة قبل أن تكتشف أن الشخص الغريب الذي تحدثت إليه صدفةً لمدة نصف ساعة في محطة القطار ربما كان ذو فائدة أكبر في توجيهك إلى حيث يكمن موطنك الحقيقي أكثر من كاهنك أو من أفضل أصدقائك أو حتى طبيبك النفسي.

إياك والتظاهر أنك تعرف عن شخصياتك أكثر مما تعرفه هي، فهذا بعيدٌ عن الصواب. ابق مستعداً للتعلم منهم. حان وقت الشاي وقد جلست كل الدمى على الطاولة. اسمع. إن الأمر بهذه البساطة.

الحبكة

الحبكة هي الحكاية الرئيسية لكتابك أو قصتك القصيرة. إن كنت تبحث عن مناقشات طويلة ورائعة حول الحبكة، فقد كتب إي إم فورستر وجون جاردنر كتباً تناقش موضوع الحبكة بوضوح وحكمة لدرجة أنها ستتركك تعوي مثل الذئب. أريد فقط إضافة بعض الأفكار هنا، كتلك التي أوزعها على طلابي عندما تظهر عليهم علامات الاستياء والارتباك على وجه الخصوص.

تنبثق الحبكة عن الشخصية. إذا ركزت على طبيعة الأشخاص في قصتك، وجلست لتكتب عن شخصيتين تعرفهما وتتعرف عليهما بشكل أفضل يوماً بعد يوم، فلا بد أن يحدث شيء ما.

وعلى العكس من ذلك، لا ينبغي أن تكون الشخصيات مثل بيادقَ للحبكة التي حلمت بها. أي حبكةٍ تفرضها على شخصياتك ستكون مجرد محاكاة صوتية: حبكة. وأقول لا تقلق بشأن الحبكة. بل عليك أن تقلق بشأن الشخصيات. دع ما يقولونه أو يفعلونه يكشف عن هويتهم، انخرط في حياتهم، واستمر في سؤال نفسك، ترى ما الذي يحدث الآن؟ إن تطوّر مسار العلاقات يخلق الحبكة. تروي فلانيري أوكونور في كتابها «الغموض والأخلاق»، كيف أهدت مجموعة من قصصها الأولى إلى السيدة العجوز التي تقطن في آخر الشارع، وأعادتهم المرأة قائلةً: «لقد انتهت قصصهم للتو لكنها أظهرت لك الكثير حول تصرف بعض البشر».

تلك هي الحبكة: ما سيفعله الناس وما يفعلونه على الرغم من كل ما حولهم يشير إليهم بألا يفعلوه، وكل ما يشير إليهم بأن عليهم الجلوس على الأريكة بهدوء وممارسة اللاماز [تقنية لاماز: المنهج الوقائي النفسي La-maze]، أو الاتصال بمعالجهم النفسي، أو تناول الطعام حتى التخمة لجعل هذا الشيء يعبر بسلام.

لذا ركز على الشخصية. ما يحدث في كتب فوكنر، على سبيل المثال، ينشأ من طبيعة شخصياته، حتى إن كانت شخوصه ليست بالضرورة من النوع الذي ترغب في قضاء الوقت معه، فإنها تستحوذ على اهتمامنا لأننا نؤمن بوجودها ونؤمن أن الأشياء التي يقومون بها حقيقية وفقاً لطباعهم. نقرأ فوكنر بسبب جمال إبداعاته الرهيبة، وجمال النصوص المكتوبة، ونقرأه لنكتشف ماهيّة الحياة من وجهة نظره. ويعبر عنها من خلال شخصياته. إنّ كل ما يمكنك أن تقدمه لنا هو التعبير عن ماهية الحياة من وجهة نظرك. لن تكون قادراً على تزويدنا بخطط تصنيع غواصة. الحياة ليست غواصة. وليس لها خطط.

اكتشف أكثر ما تهتم به كل شخصية في عالمها لأنك بذلك تكون قد اكتشف ما تبحث عنه لبناء عملك. ابحث عن طريقة للتعبير عن هذا الاكتشاف أثناء العمل، ثم اسمح لشخصياتك بالعثور عليه أو التمسك به أو الدفاع عنه أياً يكن. حينئذٍ يمكنك نقل الشخصيات من الجيد إلى السيء والعودة مرة أخرى، أو من السيء إلى الجيد، أو من المفقود إلى الموجود. لكن أولاً يجب أن يكون ثمّة دعائم على المحك وإلا لن يكون لديك عامل شدٍّ وجذب ولن ينتقل قراؤك إلى الصفحات التالية. فكر في لاعب هوكي – من الأفضل أن يوجد قرص يرميه على الجليد، أو أنه سيبدو سخيفاً جداً.

تلك هي الطريقة الناجحة بالنسبة لي: أجلس في الصباح وأعيد قراءة العمل الذي أنجزته في اليوم السابق. ثم أجمع الخيوط معاً، أحدق في الصفحة الفارغة أو في الفراغ من حولي. أتخيل شخصياتي، وأغرق في أحلام اليقظة معهم. يبدأ عرض الفيلم في رأسي، وتنبض العاطفة في صدري، أحدق فيه في حالة تشبه النشوة، إلى أن تقفز الكلمات معاً وتشكل جملة. ثم أقوم بالعمل الوضيع المتمثل في تدوينها على الورق، لأنني موظفة آلة الطباعة، وأنا أيضاً الشخص الذي تتمثل مهمته في إمساك الفانوس أثناء قيام الطفل بالحفر والتنقيب. ما الذي ينقّب عنه هذا الطفل؟ المواد الخام. التفاصيل والقرائن والصور، والابتكار، والأفكار الجديدة، وفهم بِديهي للشخصيات. واعلم عزيزي القارئ أن حاملة الفانوس لا تعرف حتى ما الذي ينقّب عنه هذا الطفل معظم الوقت - لكنها تعرف الذهب عندما تقع عينها عليه.

ستتوضع حبكة أحداثك في مكانها الصحيح، حيث تستمع إلى شخصياتك بعناية يوماً بعد يوم، وتراقبهم وهم يفعلون ويقولون الأشياء ويصطدمون ببعضهم البعض. ستشهد كيف يؤثرون على حياة بعضهم، وما يمكنهم فعله وما فعلوه، وسترى كيف يصلون إلى نهايات مختلفة. وغالباً ما تسير عملية اكتشاف القصة هذه على فترات متفاوتة. لا تقلق بشأن ذلك. استمر في محاولة دفع القصة نحو الأمام. لديك الوقت لاحقاً لتقديمها بطريقة متّسقة وسلسة. كتب جون جاردنر ذات مرة «إن الكاتب يخلق الحلم حتى يدعو القارئَ إليه، وأنّ على الحلم أن يكون مفعماً بالحياة ومستمراً.

أطلب من طلابي تدوين هذه العبارة -أن الحلم يجب أن يكون مفعماً بالحياة ومستمراً- لأنها عبارة حاسمة وبالغة الأهمية. خارج الفصل الدراسي، لا يمكنك الجلوس بجانب قرائك وشرح الأشياء الصغيرة التي فاتتك، أو استدراك التفاصيل التي من شأنها أن تجعل الحدث أكثر إثارة للاهتمام أو

قابلية للتصديق. يجب أن تعمل الأدوات بأسلوبها الخاص، ويجب أن يكون الحلم مفعماً بالحياة ومستمراً. تذكر أحلامك الليلية، وكيف تتالى المشاهد بسلاسة من مشهد إلى مشهد آخر، وكيف أنك لا تدير عينيك وتقول: «انتظر لحظة - أنا لم أتعاطى المخدرات أبداً مع روزالين كارتر، ولا أملك حتى أية خيول، ناهيك عن تلك الخيول العربية الصغيرة بحجم القطط». وغالباً ما تنتقل من مشهد إلى آخر لمجرد أن الأمر كله فوري ومقنع. عليك ببساطة أن تعرف ما سيحدث لاحقاً، وهذا بالضبط ما ترغب أن يشعر به القارئ.

قد تحتاج إلى شخص آخر للحديث عن نصوصك، ربما صديق أو رفيق، شخص يمكنه إخبارك إن كانت الروابط ظاهرةً، أو إن كنت قد انحرفت عن المسار، أو حتى أنها ليست سيئة كما تظن وأن أول مئة صفحة متماسكة جداً في الواقع. ولكن دع شخصاً آخر يلقي نظرة على عملك مهما كلّف الأمر. من الصعب أن تكون الجلاد دائماً. وربما لا تتمكن أيضاً من رؤية المشكلات، لأنك في أثناء اكتشاف شخصياتك وقصتهم، تحاول وصف شيء ما بالإحساس وليس بالبصر. لذا ابحث عن شخص يمكنه النظر بتجردٍ أكثر وبنوع من الحيادية إلى المشروع. كان لدي صديق يُدعى آل والذي غالباً ما كان يأخذ قطط الآخرين إلى الزريبة لوضع حدّ لحياتها حين تمرض، لأن أصدقاءه لا يستطيعون تحمل القيام بذلك بأنفسهم. كانت قططاً ذات هيئة مزعجة للنظر لسبب أو لآخر، مثل السقم أو سلس البول. لم تكن تعنيه القطط بشكلٍ أو بآخر. كان لديه شركة وهمية، مختصة بقتل القطط، وكان شعارها «يجب أن تدفع الهرة الثمن». دع شخص ما يقوم بالأمر ذاته مع نصوصك ويساعدك على التخلص من منعطفات الحبكة التي لن تنجح أبداً مهما حاولت وبذلت من جهد أو بغض النظر عن عدد التمريرات التي تقوم بها.

إذا طلبت من ثلاثين طالباً كتابة قصة عن زوجين قررا الطلاق لكن شيئاً غير متوقع يحدث فجأة، فسوف أحصل على ثلاثين قصة مختلفة تماماً، لأن لكل منهم تاريخ شخصي مختلف وإدراك حسي مختلف. سيكتب أحدهم قصة عيد الغطاس، حيث ترى الزوجة سرباً من الأوز البري يعبر ليلاً تحت ضوء القمر، وفجأة تقرر منح زوجها فرصة أخرى. ويكتب شخص آخر عن اللحظة التي يعتقد فيها الزوج أثناء جولته الصباحية أن زواجه يستحق الإنقاذ أولاً، فيهرع راكضاً إلى المنزل لمشاركة الأخبار الجيدة مع زوجته فتضربه عربةٌ يقودها سائق مبتدئ. وسيجعل طالب آخر من هوليوود موقعاً لأحداث القصة، لأنه كان يقرأ مؤخراً أعمال نثنائيل وست، وستكون مثل الحجر الكريم في غرابتها وسحرها. سيبدع كلّ كاتبٍ وصفاً خاصاً به للتعبير عن معنى الحب والحياة. بعض هذه الأوصاف ستكون ساخرة، وبعضها حزين، والبعض الآخر مفعمٌ بالأمل. سيكون بعضها مملاً وإيقاعه بطيء، والبعض الآخر محتدماً بالدراما.

فالدراما تعدّ أسلوباً لجذب انتباه القارئ. الصيغة الأساسية للدراما هي الإعداد والإنشاء والحسم – تماماً مثل النكتة. يطلعنا الإعداد على ماهية اللعبة. والإنشاء هو المكان الذي تضع فيه كل الحركات، أي الحركة الأمامية، حيث تحصل على خلاصة كل الحكاية. ويُجيب الحسمُ على السؤال، لماذا نحن هنا على أي حال؟ ما الذي كنت تحاول تقديمه؟ يجب أن تسير الدراما قدماً نحو الأمام والأعلى، وإلا أصبحت المقاعد التي يجلس عليها الجمهور قاسية جداً وغير مريحة. وكذلك سيصبح الجمهور نفسه في الواقع.

وفي النهاية يصبح الجمهور نافذ الصبر، خائب الأمل، وتعيساً. لابد من وجود الحركة.

عليك أن تدفع شخصياتك نحو الأمام وإن كانت تسير ببطء شديد.

تخيل حركتهم عبر بركة من الزنبق. إذا كانت كل صفحة من الزنبق مكتوبة بعناية وجمال، فسوف يرافقك القارئ في رحلتك نحو الجانب الآخر من البركة، مطالباً إياك بأقل عدد من الروابط مثل الإيقاع أو النغمة أو الحالة المزاجية.

ربما تضطر الآن إلى استخدام المؤثرات والحيل لدفع الأشياء نحو المضي قدماً ومساعدتنا على تذكر هوية كل شخصية - قدم لهذا سيجاراً، واجعل لتلك عيوناً كحولية منتفخة وصغيرة - ولكن احذر الاصطناع والتزييف فسوف ينكشف أمرك. إذا اصطنعت شيئاً ما عن قصد لجعل الحبكة تمضي قدماً - على سبيل المثال، إذا اختلقت شخصية لا تفهمها ومنحتها مشاعراً لا تشعر أنت بها فقط لكي تساعد في تطور الحبكة - فإنك لن تنجو من العقاب على الأرجح. سيفقد القارئ ثقته بك وربما يصبح مستاءً وممتعضاً. وتلك من أسوأ الأشياء التي يمكن أن يتعرض لها القارئ. يجب أن تفترض أننا، قرائك، أذكياء ويقظين، حتى وإن فقدنا أصغر قدر من مكانتنا في السنوات القليلة الماضية. لذلك سوف نكشف أمرك إن حاولت التصنع والتزييف.

إذا شعرت أنك ارتكبت هذا الخطأ، فعليك التوقف حالاً وإعادة التدقيق في شخصياتك مرة أخرى. عليك أن تتعمق في فهم هؤلاء الأشخاص. وبما أنك لا تعرفهم، فهذا يعني أنك بحاجة للتعمق في داخلك أنت، أيها الرائع، الذي يمتلك الكثير من المشاكل والطبائع - أنت وحدك القادر على معرفة ما هو حقيقي وصادق بشأن تلك الشخصيات، وبالتالي معرفة ما قد يفعلونه أو لا يفعلونه في موقف معين.

قرأت فقرة رائعة في مقابلة مع كارولين شوت، مؤلفة كتاب «عائلة بينز المصرية، مين The Beans of Egypt, Maine»، تناقش فيه مسألة إعادة الكتابة: «أشعر في كثير من الأحيان أن كتاباتي تشبه امتلاك حوالي عشرين

صندوقاً من زينة عيد الميلاد. لكن دون شجرة. فتسأل نفسك، أين أضع هذه الزينة؟ ويجيبون: حسناً، يمكنك الحصول على شجرة، ولكن سنعصب عينيك وعليك أن تقطع الشجرة بملعقة». تلك هي الطريقة التي وصلت بها إلى الحبكة مراتٍ عديدة. كنت أحصل على كل تلك المصابيح البرّاقة الرائعة، جاهزة للتعليق لكن لا يوجد ما أعلقها عليه. لكني سأبقى مع الشخصيات، أعتني بهم، وأحاول التعرف عليهم بشكل أفضل. أتأنق كل صباح وأجلس للعمل بجدّ قدر المستطاع، وهكذا، وبطريقة ما، كنت أكتشف قصتهم. لطالما شعرت كما لو أن شخصياتي تعرف من تكون، وما يحدث لها، وأين كانت وإلى أين تتجه، وما تبرع في القيام به، لكنهم محتاجون لي كي أدوّن لهم ذلك لأن خطّوطهم رديئة للغاية.

يدّعي بعض الكتّاب أنهم يعرفون ما الذروة في وقت مبكرٍ جداً قبل حتى أن يقتربوا منها. إنّ الذروة هي ذلك الحدث الكبير القريب عادةً من نهاية القصة والذي يجمع كل الألحان التي كنت تعزفها حتى الآن في مقطوعة رئيسية واحدة، وبعدها لا بدّ أن تتغير شخصية واحدة على الأقل من شخصياتك بشكل كبير. فإذا لم تتغير شخصية ما، فما الغاية من قصتك؟ تتطلب الذروة أن تقع حادثة قتل أو شفاء أو هيمنة. يمكن أن يكون قتلاً حقيقياً، أو جريمةً، أو سفكاً للروح أو لشيء فظيع داخل ذات المرء، أو ربما يكون قتلاً لحالة الموت التي تهيمن عليه وتعيد الشخص للشعور وكأنه ولد من جديد. قد يكمن الشفاء في الاتحاد أو الاسترداد أو تحرير جائزةٍ من الهشاشة. ولكن مهما حدث، يجب أن نشعر أنه كان حتمياً، وأنه على الرغم من شعورنا بالدهشة فإنه يبدو صادقاً تماماً وأن الأمور كانت لتصل إلى هذه النتيجة بلا شك، وتهتز على هذا النحو حتمًا.

إن الحصول على هذا الشعور بالحتمية يفرض أحياناً أن تكشف ذروة

قصتك عن نفسها ببطء ومع مرور الوقت. قد تعتقد أنك تدركِ فحوى هذه اللحظة - ومن المنطقي أن تأمل شيئاً ما - لكنني أوصي بعدم التركيز بشدة على ما سيكون عليه. والأفضل أن تصب تركيزك على معرفة شخصياتك وكيف يشعرون حيال بعضهم البعض، ماذا يقولون وما رائحتهم وممن يخافون. دع شخوصك تتبع لحن الموسيقى التي يسمعونها، ودعها تصحبهم معها حيث تذهب. قد تكتشف حينئذٍ، عندما تقترب بما يكفي للتمعن في الافتتاحية، كما لو كانت مشهداً خلاباً على بيضة عيد الفصح، أن شخصياتك كانت تحمل شيئاً في ذهنها طوال الوقت أكثر وضوحاً وأكثر أهمية مما كنت تريد فرضه عليها.

لذا عليك أن تأمل ولكن ليس بشدة، أن ترى الذروة تتشكل أمامك أخيراً، وعليك حينها أن تهرع مسرعاً نحوها.

أخيراً: سمعت أليس آدمز تلقي محاضرة في إحدى المرات عن القصة القصيرة، وقد أثار أحد جوانبها حماس طلاب الكتابة بين جمهورها جداً لدرجة أنني أقوم بنقلها إلى طلابي منذ ذلك الحين. (ولا أنسى أن أمنحها الفضل معظم الوقت). قالت إنها تستخدم أحياناً صيغة معينة عند كتابة قصة قصيرة، والتي تسمى ABDCE، اختصاراً لـ: Action A للحدث، و Background B للخلفيات، و Development D للتطور، و Climax C للذروة، و Ending E للنهاية. تبدأ بحدث مقنع بما يكفي لجذب انتباهنا وجعلنا نرغب في معرفة المزيد. والخلفية هي المكان الذي تسمح لنا فيه برؤية ومعرفة من هم هؤلاء الأشخاص، وكيف اجتمعوا معاً، وما الذي كان يحدث قبل بدء القصة. ثم تقوم ببناء وتطوير حالات هؤلاء الأشخاص، حتى نعرف أكثر ما يهتمون به. الحبكة - الدراما، الأحداث، التوتر والشدة - كلها ستنمو وتنبثق من تلك الخلفية. ثم

تقوم بتحريكهم إلى أن يجتمع كل شيء في الذروة، وبعد ذلك تختلف الأمور بالنسبة للشخصيات الرئيسية اختلافاً حقيقياً. وهنا تأتي النهاية: ما إحساسنا تجاه طبيعة هذه الشخصيات الآن، وعلى أي حال انتهوا، وما الذي حدث، وما الذي قصدته من ذلك؟

إن هذه الصيغة قد تكون طريقة رائعة للبدء. ومن الرائع أن تغوص في أعماق الماء أخيراً؛ ربما تناثر وتطاير الماء من حولك لبعض الوقت، لكنك غصت فيه على الأقل. ثم تبدأ في افتعال أي حركة سباحةٍ تذكرها، وتقاوم هذا الشعور بالخوف في أعماقك من هول الأمر ومن طول المسافة التي يتعين عليك أن تقطعها - لكنك ما تزال في الماء، وأنت تطفو، وأنت تتحرك.

إن من دواعي سروري أن يعبر حوارٌ جيدٌ أثناء القراءة، إذ إنه يحدث تغييراً كاملاً في وتيرة النص من حيث الوصف والعرض وكل ما له صلة بالكتابة. تبدأ الشخصيات فجأة بالتحدث، وتجد نفسك أمام مشهدٍ حيّ. ولديك كل ملذات التلصص لأن الشخصيات لا تعرف أننا نسمعها. نشعر بأننا نشاركهم خصوصيات حالاتهم الداخلية دون الحاجة إلى قضاء الكثير من الوقت في الإصغاء إلى أفكارهم. لا أريدهم أن يضعوا أفكارهم طوال الوقت على الورق فقط. إنه أمر سيء بما فيه الكفاية أن علي أن أصارع أفكاري طوال الوقت دون أن اضطر للسماح لشخص آخر بأن يرمي خلاصة تفكيره الوسواسي القهري المريب فوق رأسي أيضاً.

ومن ناحية أخرى، لا يمكن لأي شيء أن يكسر انسياب النصّ مثل الحوار الرديء. وكم يعاني طلابي المرارة حين يقرؤون قصة رائعة أمام الصف ثم يصطدمون بمقطع حواري أرجواني واستعراضي للغاية لدرجة أنه يبدو كحوارٍ من مسرحيةٍ للأطفال من تأليف الأخوات غابور. فجأة يصبح المقطع أصماً وبارداً ويفتقد إلى تناغمٍ وانسجام. أستطيع أن ألمح المفاجأة على وجوه طلابي لأن الحوار بدا مقبولاً على الورق، لكنه يبدو الآن وكأنه مترجم بشكل سيء للغاية عن اللغة الهندية. المشكلة هي أن الكاتب يدون الحوار كلمةً كلمة؛ وحين يقرأه بصوت عالٍ يجد أنه يفتقر إلى التدفق والإحساس بإيقاع الشخصية الذي يظهر في الحياة الواقعية من خلال الكلمات.

في الأدب غير الروائي، يبقى الأمل في أن يكون الشخص قد قال بالفعل الكلمات التي تنسب إليه. بينما في الأدب الروائي فإن كل شيء مقبول. إنها مسألة تتعلق بالأذن، تماماً كما أن اكتشاف التفاصيل المادية الصحيحة هو في الغالب مسألة تتعلق بالعين. أنت لا تعيد إنتاج الكلام الواقعي- بل تترجم صوت وإيقاع ما تقوله الشخصية من خلال الكلمات. أنت تضع على الورق إحساسك بكيفية حديث الشخصيات.

ثمّة مهارة حقيقية خاصة بإتقان سماع العبارات التي يقولها أناس حقيقيون (وشخصياتك) وتسجيل ما سمعته - والمهارة الأخيرة (التسجيل) أكثر إيجازاً وإثارة للاهتمام وأكثر صدقاً حتى مما قيل بالفعل، أو أنها يجب أن تكون كذلك. يشبه الحوار فيلماً مصوراً أكثر من كونه واقعاً، إذ يجب أن يكون أكثر دراماتيكية. ويحمل شعوراً أكبر بواقع الحدث.

في الأيام الخوالي، قبل عصر الأفلام، لنقل قبل همنغواي، كان الحوار في الروايات مدروساً ومزخرفاً بدرجة أكبر. تحدثت الشخصيات بطرق لا يمكن أن نتخيل الناس يتحدثون بها اليوم. ولكن في عهد همنغواي، بدأت الأمور تأخذ منحى آخر. أصبح الحوار الجيد مباشراً ومرناً. الآن، من ناحية أولى يمكن للحوار أن يحرك الأشياء بطريقة تجعلك تحبس أنفاسك.

هناك عدد من الأشياء التي تساعد عندما تجلس لكتابة حوار. بادئ ذي بدء، امنح كلماتك صوتاً- اقرأها بصوت عالٍ. إن كنت لا تستطيع أن تجبر نفسك على فعل ذلك، حاول أن تسمع حوارك. هذا شيء عليك أن تمارسه، وتتدرّب عليه مراراً وتكراراً. حينئذٍ، عندما تكون في الخارج - أي ليس خلف مكتبك - وتسمع الناس يتحدثون، ستجد نفسك تعدل حواراتهم تلقائياً، وتتلاعب بها، وترى في ذهنك كيف ستبدو على الصفحة. تعلم أن تصغي إلى أسلوب حديث الناس في الواقع، ثم تعلم شيئاً فشيئاً كيف تحول

خطاباً مدته خمس دقائق إلى جملة واحدة دون أن تفقد أي شيء من فحواه. إن كنت كاتباً، أو ترغب في أن تكون كاتباً، فتلك هي الطريقة التي ينبغي عليك أن تقضي بها أيامك - الإصغاء، والمراقبة، وتخزين الأشياء في عمق الذاكرة، وجعل العزلة تؤتي ثمارها. عليك أن تحمل معك إلى المنزل كل ما أمكنك حمله وكل ما سمعته وتحوّله إلى ذهب. (أو أن تحاول على الأقل).

ثانياً، تذكر أن عليك التمتع بالقدرة على تحديد سمات كل شخصية من خلال ما تقوله. لا بدّ أن لكل شخصية سمات مختلفة عن البقية. ولا يجوز أن تبدو جميعها شبيهة بك أنت؛ بل يجب أن يكون لكل منها كيانها. إذا تمكنت من التقاط أسلوبهم في الكلام بشكل سليم فسوف تتمكن من معرفة ما يرتدونه وما نوع السيارة التي يقودونها وربما ما الذي يدور في أذهانهم، وكيف عاشوا طفولتهم وما المشاعر التي تراودهم الآن. عليك أن تثق بنفسك كي تتمكن مْن سماع ما يقولونه هم- لا ما تقوله أنت. على الأقل أعط كل واحد منهم فرصة للتعبير؛ إذ إن ما يقولونه أحياناً وأسلوبهم في الحوار يُظهر لك من هم في نهاية المطاف وما الذي يحدث بالفعل. مهلاً - إنهما لن يتزوجا في النهاية! لقد اتضح أنها مثليّة... ولم يكن لديك علم بذلك.

ثالثاً، قد ترغب في محاولة الجمع بين شخصين أكثر ما يحلمان به في العالم هو تجنب لقاء بعضهما البعض، كالأشخاص الذين يتجنبون مدناً بأكملها فقط للتأكد من أنهم لن يصطدموا ببعضهم البعض. وثمّة أشخاص في هذا العالم يثيرون رغبة عارمة لدي للانضمام إلى برنامج حماية الشهود الحكومي، فقط لأتأكد من أنني لن أضطر للحديث معهم مرة أخرى. ربما يوجد شخص مثل هؤلاء في حياتك. اخلق شخصية تشعر نحوها إحدى شخصياتك الرئيسية على هذا النحو من النفور، واجمع الاثنين معاً في نفس المصعد. ثم دع المصعد يعلق. إنّ مثل هذا الجو المشحون للغاية هو أفضل ما يثير الأحداث

ويحركها. سيكون لديهما الكثير مما يقال، رغم أنّ كلاً منهما يخشى عدم قدرته على التحكم فيما يقوله للآخر. إلى جانب التردد خشية الانفجار غضباً. ربما يقع الانفجار وربما لا. لكن ثمة طريقة لاكتشاف ذلك. على أي حال، يمنحنا الحوار الجيد الإحساس بأننا نسترق السمع، وأن المؤلف لا يعترض طريقنا. وهكذا، فإن الحوار الجيد يشمل ما يقال وما لم يقال. وسوف يقبع (ما لم يقال) بصبرٍ خارج باب المصعد العالق، أو سيندفع حول أقدام الشخصيات داخل المصعد، مثل الجرذان. لذا دع هذه الشخصيات تحتفظ ببعض الأفكار لنفسها، ودعها في الوقت نفسه تفجّر بضع قنابل صغيرة.

إن كنت محظوظاً، فقد ينفذ صبر شخصياتك نتيجة عجزك أثناء كتابة الحوار عن مواكبة كل ما عليها أن تقوله. وعندئذ بالضبط ستدرك أنك على المسار الصحيح.

إن الحوار هو السبيل إلى إبراز الشخصية، لذا عليك العمل على إتقان منح الشخصية الصوت الصحيح. ولكن في الوقت نفسه لن ترغب في الجلوس هناك محاولاً وضع الكلمات الصحيحة في أفواههم. ولا أعتقد أن الكلمات الصحيحة موجودة للتو في رأسك أكثر مما هي عليه في رؤوس شخوص رواياتك. بل هي موجودة في مكان آخر. ما لدينا في رؤوسنا هو شظايا وأفكار وأشياء سمعناها وحفظناها، ونأخذ حقيبة القمامة الصغيرة ونرمي بها بعض الأشياء ثم يبدأ اللاوعي. لنفترض على سبيل المثال أن لديك رجلاً يسير في الشارع، وكان الجو بارداً، وكنت ترغب دوماً بارتداء معطف من الجلد، وهكذا فسوف تمنحه واحداً. ثم تتبعه عبر الشارع. وتصف ما تراه وتصغي بإمعان.

ولنفترض أن هذا الشاب التقى فتاةً. يلتقي الشاب ذو المعطف الجلدي بالفتاة الجميلة ذات الشفة الأرنبية وحقيبة غوتشي الفاخرة في الشارع، ولكن

لا يمكنه أن يقول على الفور: مرحباً، هيا لنتزوج! لا بدّ أن تحدث بعض الأشياء أولاً. ولا بدّ أن يتعرفا على بعضهما، حتى لو قليلاً فقط. ستدور حوارات بينهما، وسوف يتحدثان أمام الأصدقاء عن بعضهما البعض. احرص على تدوين كل هذا. بعد قضاء بعض الوقت معهما، سيبدآن في الظهور على طبيعتهما أكثر - لأنك بت تعرفهما جيداً- وقد تلاحظ أن من الأفضل لك التخلص من ذلك المعطف، فقد بات بلا فائدة، وأنك بحاجة إلى العودة وإعادة صياغة الحوار الأول. لكن لا تتوقف لأجل ذلك الآن. استمر في التحرك؛ دعهما يقضيان بعض الوقت معاً، دعهما يحتفيان ببعضهما لبعض الوقت. عد لاحقاً لإعادة صياغة ما كتبت.

كلما عرفت الشخصيات أفضل، سوف تتمكن من رؤية الأشياء من وجهة نظرهم أكثر. عليك أن تثق بأنك أتقنت الاستماع إلى الشخصيات، ومراقبتها، وملاحظة ما ترتديه وكيف تتحرك، للتعرف بدقة على أسلوب حديثها. إنك تريد بأي ثمنٍ تجنب تشكيل شخصياتك على هيئة شخصيات عرفت سابقاً في أعمال أدبية أخرى. يجب أن تعرف عن الناس من الناس، وليس مما تقرأ. يجب أن تؤكد قراءتك ما لاحظته في العالم الواقعي.

كلما عرفت من تكون شخصياتك، سيزداد تعاطفك معهم. لا ينبغي أن تتعاطف مع شخصية مهمة واحدة فقط في عملك. عليك أن تشعر بالتعاطف حتى مع الشخصية الشريرة؛ في الواقع عليك التعاطف مع الشخصية الشريرة على وجه الخصوص. الحياة ليست مثل صيغة أدب الخيال. فالشرير لديه قلبٌ أيضاً، كما أن البطل لديه الكثير من العيوب. ينبغي أن تنتبه لما تقوله كل شخصية، حتى تتمكن من معرفة ما يدور في صدورهم.

إننا لا نستمتع بتدمير الشر المطلق والفاسدين المشؤومين، إلا في المجلات الهزلية والأفلام الخيالية، لأنهم في تلك الحالات ينزعون الطابع الشخصي

عنهم بشكل منهجي. إنهم لا يرتكبون سوى الأعمال الوحشية والترهيب الاجتماعي، ويتلفظون بعبارات شريرة مروعة، ومن ثم نقضي عليهم كالمعتاد. ويظهر مع نهاية الكتاب الشعور بالراحة الذي يرافق تطبيق العدالة.

لا يمكنك تدوين حالة تفهمك العقلاني لشخصية البطل أو الشرير وتتوقع منا أن نشاركك إياها. من المحتمل أن تجد هذه الشخصيات ضمن مجتمع الأشخاص المقربين إلى قلبك. على سبيل المثال، لنتطرق إلى الوسائط الفنية للحظة؛ لو لم يكن لدى أنتوني هوبكنز في فيلمه صمت الحملان تفهّم عاطفي لشخصية هانيبال ليكتور، لما كانت تصرفاته وتعابيره صادقة أو مرعبة لهذه الدرجة. في أول مشهد نراه فيه، نجده ببساطة واقفاً هناك، بلا أي تعبير، واضعاً ذراعيه إلى جانبه. إنه مشهد تقشعر لها الأبدان. شعرت أنني قد أصاب بنوبة طفح جلدي من شدة الخوف والقلق. شعرت أن عنقي قد طور حياة خاصة به وذهب لينتظرني في الردهة. وكي يتمكن من إثارة هذا الشعور فينا، لابد أن هوبكنز تعاطف مع شيء ما في أعماق ليكتور، ولا بد أنه فهم طبيعة شخصيته.

ينبغي على الكاتب أن يحاول فهم كل شخصية من شخصياته بهذه الطريقة. الشيء الوحيد الذي يجب عليك فعله عندما يخبرك الإحساس بالرهبة وتدني احترام الذات بأنك لست أهلاً لهذا الأمر هو أن تقضي على هذا الإحساس عبر إنجاز القليل من العمل كل يوم. وبالطبع يمكنك تحقيق ذلك، ويمكنك اكتشاف تلك الشخصيات بداخلك وأن تتعلم سماع ما يقولونه.

لنفترض على سبيل المثال أن لديك شخصية رئيسية يمكن أن تتأذى مشاعرها إذا تحدثت إليها بحدة – على عكسك، ههههه. لنفترض أن صاحب الشخصية يشبهك أيضاً قليلاً بمعنى أنه حين يصاب بالاكتئاب أو التوتر،

فإنه يتجه إلى مطعمٍ يقدم أضلاعاً مشوية ويتناول رطلاً من اللحم الدسم المشوي. لذلك ربما يعاني أيضاً من زيادة ضئيلة في الوزن- لا يعني ذلك أنك بدين. أنا متأكدة من أن وزنك مناسب تماماً. على أي حال، لنجعله شخصاً يعمل في مكتب، شخصاً مدللاً - ما الذي قد يقوله فيسمح لنا باكتشاف ذلك؟ لنعتبر أنه يرتدي ملابس أنيقة لأننا قد نضطر إلى إذلاله خلال دقيقة. على سبيل المثال، يمكننا أن نعرف من الدقة في عقد ربطة عنقه أن زوجته هي من ربطتها له هذا الصباح. ملابسه وخاتمه وأحذيته كلها تتحدث عن أناقته، وسوف تساعدنا في معرفة من يكون، ولكن الأهم من ذلك أنه سيقول أشياء لسكرتيرته والمتصلين به وللأشخاص الذين يعمل معهم، وسيجيب عليه هؤلاء الناس بكلمات أخرى، ونريد أن نسمع حديث كلا الجانبين.

ماذا لو قال له رئيسه عبارة تبدو بريئةً لكنها أزعجته كثيراً؟ وماذا لو استجاب هذه المرة بطريقة مختلفة تماماً عن الخروج إلى مطعمٍ للشواء؟ ماذا لو بدأ في قول أشياء لا علاقة لها بما يدور في خلدك، وبدت صادقةً بشكل مثير للريبة؟ ماذا لو قال شيئاً مهيناً لرئيسه في العمل لدرجة أنه يعرض وظيفته للخطر، وبعد ذلك، وبدلاً من الانغماس قليلاً في الأكل، استجاب بقضاء ساعة الغداء بأكملها في متجر لبيع الكتب للبالغين؟ حسناً، ربما أخطأت فهمه في البداية. ربما ينتقل من كونه محامياً في «أيفي ليج» إلى بائع سجاد شبه ناجح في غضون سطرين من الحوار. قد لا يكون هذا مناسباً لك، ولكن يمكنك على الأقل الآن معرفة مع من تعمل حقاً.

أريد أن أسمع كيف يصف أحداث يومه لزوجته، وما الذي يقوله وكيف يقوله، وما الذي يهمل ذكره. وبذلك فإنك تحاول التقاط هذا من خلال محاولة العثور عليه في شخصك، هذا الشخص الذي حطّ من شأنه، الشخص الحسّاس سريع التأثر والذي تتأذى مشاعره بسهولة. إنك تستنبط

منه مسودة أولية تافهة وتستطلع الآراء حولها، تحافظ على تلك السطور التي تبدو حقيقيةً وتحذف البقية. أتمنى لو كانت هناك طريقة أسهل وأكثر مرونة واختصاراً، لكن هذه هي طبيعة معظم النصوص الجيدة: حيث تكتشف الأشياء أثناء المضي في العمل. ثم تعود وتعيد الكتابة. تذكر: لا أحد يقرأ مسوداتك الأولى.

أحتاج إلى الاستطراد قليلاً بعد لبرهة فقط: أنت تخلق تلك الشخصيات وتكتشف شيئاً فشيئاً ما تقوله وتفعله، لكن هذا كله يحدث في حيّزٍ منك لا يسعك الوصول إليه: اللاوعي. هذا المكان الذي يحدث فيه ابتكار الشخصيات. نبدأ بالشخصيات الأساسية، ويقدم لنا اللاوعي شخصياتٍ حقيقية من لحمٍ ودم ويمكن تصديقها. يتحدث صديقي كاربنتر عن اللاوعي باعتباره السرداب حيث يجلس الولد الصغير الذي يبتكر الشخصيات ويسلمها إليك عبر بوابة السرداب. وربما يقوم أيضاً بصنع الدمى الورقية. إنه ولد مسالم جداً. هو يلعب فقط.

لا يمكنك إرغام نفسك على تقبل ما يقدمه الولد الصغير، ولا يمكنك شراء مفتاح يسمح لك بالدخول إلى السرداب. عليك الاسترخاء، الانغماس في أحلام اليقظة، التخلص من النقاد، والاستمتاع بحالةٍ من التنويم المغناطيسي الذاتي ومن ثم عليك أن تتدرّب.

أعني، لا يمكنك المكوث متكاسلاً خلف مكتبك. عليك أن تحرك يدك فوق الورقة أو لوحة المفاتيح. قد تقوم بالمهمة بشكل سيء لبعض الوقت، لكنك تثابر على المحاولة. حاول أن تتذكر أنك إلى حد ما مجرد كاتب. والكاتب الجيد يُصغي.

أتخيل أحياناً أنه بدلاً من الطفل الصغير، يوجد هناك في الأسفل شخصية دكتور سوس الصبور طويل العنق، شخصية متجهمة شديدة التركيز وتحب

اللعب في الوقت نفسه. يمدّ رأسه نحو صوت الشخصيات التي تتحدث، ولكن ليس مثل مراسل المحكمة، بل مثل شخص يجلس بمفرده على طاولة مجاورة، محاولاً عدم استراق النظر لكنه يريد استيعاب كل شيء. قد ترغب في ابتكار صورة أو استعارة لهذا الجزء الآخر منك المستقلّ عن عقلك الواعي المنطقي، هذا الشخص الآخر الذي يمكنك التعاون معه. قد يساعدك هذا على التخفيف من شعورك بالوحدة.

ملاحظة أخيرة: إن قراءة الحوار المكتوب باللهجة العامية متعبةٌ للغاية. إن كنت قادر على أن تفعل ذلك ببراعة، فلا بأس. إذا قرأ كتّاب آخرون عملك وأبدوا إعجابهم باستخدامك للهجة، فاستمر. لكن تأكد أولاً من أنك تقوم بذلك بشكل متقن، لأنه من المعروف أن جهداً كبيراً يبذل لقراءة القصص القصيرة أو الروايات المكتوبة باللهجات العامية. إنها تجعل أعناقنا تبدو مضحكة. إذ، كما تعلمون، نحن شعب متوتر، ولدينا فائضٌ من المشاكل الخاصة أساساً ولا نحتاج أن تزيدها علينا. (لكن امرأة تقف ورائي في طابور السوق الأسبوع الماضي أثناء هبوب العاصفة، قالت بعد أن ضربت جبهتها: «أوه، يا إله السماء Oh, vat vader» [باللهجة المحلية]، ثم أشارت خارجاً إلى المطر. راودتني رغبة لا تقاوم بقية اليوم لكتابة رواية كاملة عن تلك المرأة باللهجة العامية).

تصميم الديكور

قد يكون من المفيد في بعض الأحيان أن تسمح لشخصياتك بالتجمّع في الأروقة من دونك، والاستعداد لأدوارها وارتجال الحوارات، بينما تنشغل أنت في إعداد خشبة المسرح. تخيل نفسك تعمل مصمم ديكور لمسرحية أو فيلم مستوحى من القصة التي تكتبها. قد يساعدك هذا في تصوّر كيف تبدو الحجرة (أو السفينة أو المكتب أو المرج) حيث تجري أحداث القصة. تريد أن تعرف ملمسها ودرجة حرارتها وألوانها. وكما يجسّد كل شخص إعلاناً حياً عن هويته، كذلك فإن كل حجرةٍ تمثل عرضاً مصغراً لقيم وشخصيات ساكنيها. تتعلق كل حجرة بالذاكرة. وتمنحنا طبقات من المعلومات حول ماضينا وحاضرنا ومن نكون، وحول مقدساتنا ونزواتنا وآمالنا وأحزاننا ومحاولاتنا لإثبات وجودنا وأننا بخير إلى حد ما. يمكنك أن ترى فيها مقدار الضوء الذي نحتاجه - وكم عدد مصابيح الإنارة والشموع والمناور السقفية - وكيف نحافظ على الأشياء مضاءة، كما يمكنك أن ترى كيف نحاول تهدئة نفوسنا. إن المزج في حجراتنا مؤثر للغاية: الفوضى والصدوع في الجدار تجسد الكآبة والانكسار في حياتنا، بينما تظهر الصور المعلقة وبعض الأشياء النادرة كبرياءنا ولحظاتنا المشرقة النادرة.

وقد وصفتها المصورة كاثرين فاجنر بقولها: هذه الغرف أطلالٌ مستقبلية.

تجلس هناك خلف مكتبك وتحاول أن ترى كيف تبدو هيئة المكان الذي ستدخله شخصياتك خلال لحظات. ربما لديهم ثروة وأنت ليس

لديك - وهذا بالطبع، أمرٌ تشعر بالمرارة حياله. قد تحتاج إلى الاتصال بأحد أصدقائك أو أقاربك الذي لديه أو كان لديه قدر كبير من المال، وتطلب منهم بلباقة قدر الإمكان مساعدتك في تصميم منزل يعيش فيه بعض النبلاء القدامى. وأقصد باللباقة، أنك ستحصل على أفضل معلومات ممكنة إذا لم تتطرق إلى ظلم الحياة وأن منزلك يصبحُ أشبه بمدينة عكا الصغيرة يوماً بعد يوم، وأنك قد تضطر لوضع حدّ لحياة الكلب لأنك لا تستطيع توفير الطعام له. ما عليك سوى أن تقول: «أنا أعمل على فصلٍ من كتابي حيث نلتقي أولاً بعائلة ذات ثروة كبيرة وسلالة عريقة، وكنت أتساءل عما إذا كان بإمكاني الاستفادة من خبرتكم بشأن نوع السجاد والبسط والإضاءة والتحف التي قد تكون لديهم. لنبدأ على سبيل المثال، بغرفة المعيشة. هل يمكنك وصف غرفة جلوس رائعة بأكبر قدر ممكن من التفصيل؟» ويمكنك عندئذٍ أن تسأل عن الروائح التي يتذكرها صديقك، في غرفة المعيشة والمطبخ، وما نوع الإنارة المستخدمة، وكيف بدت الغرف المختلفة أو ما الشعور الذي يرافق الهدوء والسكينة فيها. و يمكنك على نفس المنوال، أن تطلب من شخص نشأ في حالة عوزٍ أن يعطيك وصفاً دقيقاً لمنزله أو مطبخه أو غرف النوم أو الأريكة في الفناء الخلفي.

قبل سنوات كنت أكتب رواية عن امرأة تعمل في بستنة الحدائق وكانت في الحقيقة تحب البستنة. وأنا لا أحب أعمال البستنة. أحب حدائق الآخرين وأحب زهور الزينة. لديّ عشب صناعي ومجموعة كبيرة من الزهور البلاستيكية عالية الجودة عالقة في الأوساخ في الفناء الأمامي. هذه مشهد جميل إلى حد ما وتجلب إلى الذهن العديد من قصائد إي. إي. كامينجز [وضعت الكاتبة الاسم بحروف صغيرة e. e. cummings في إشارة إلى أسلوب كامينجز الذي استخدم في شعره أحرفاً صغيرة حتى في كتابة

الضمير الشخصي].

اعتاد الناس على إهدائي أصصاً لنباتات وأشجار، ولكن ما أصاب تلك النباتات كان مروعاً للغاية لدرجة يصعب عليّ الخوض في تفاصيله هنا. إذ انتهى بهم الأمر وكأنني رويتهم بالعامل أورانج (مبيد الأعشاب السام). كنت أخبر الناس أنني لم أنجح في العناية بالنباتات المحفوظة في الأصص، لكنهم قرروا أنني لم أقابل بعد النوع المناسب، وأنهم مستعدون للعب دور الشخص الذي يحررني ويجعل الله يعيد لي نعمة البصر المجيدة مجدداً وما إلى ذلك، فأحضروا لي بعض النباتات التدريبية الصغيرة، وحاولت جاهدةً أن أسقيها وأن أبقيها تحت أشعة الشمس أو بعيداً عنها وفقاً لما هو مذكورٌ في بطاقة التعريف الصغيرة المرفقة بها، وكنت اصحبها في جولة بسيطة حول المنزل، وفي غضون شهر تقريباً كان من السهل سماع انهيار الكلوروفيل، وهو أمر يشبه حالة الرعب في فيلم الذعر في نيدل بارك. كانت تحاول التمسك بذيول الحياة، تحدق بي بعيون كين الصغيرة، لاهثة لائمة ‌‌‌‌‌‌! لكن مهلاً، من الذي يحتاجها أصلاً؟ صدقوني، لدي ما يكفي من مشاكل للتو.

لقد حافظت بالفعل على هذا النبات الرهيب حياً طوال أشهر، يا لهذا الشيء الضخم المحفوظ في وعاء. لا أعرف حتى ما كان نوعه، كان ارتفاعه حوالي ثلاثة أقدام، قبل أن يذبل، ولونه أخضر بطريقة مزيفة نوعاً ما. سقيته وشذبت أوراقه الميتة، وانظروا كيف كافأني؟ أصبح شبيه هوارد هيوز في أيامه الأخيرة. فقد كل وزنه، وتوقف عن النمو. لقد اعتقدت أنه سيطلب قريباً قفازات مطاطية، بل علباً منها، وعلب من المناديل الورقية لتغطية طعامه بين اللقيمات. قدمت له الماء، وضوء الشمس، وأغذية نباتية باهظة الثمن – ما كان يفترض بي أن أفعل أكثر؟ هل أحضر له طبيباً نفسياً؟!

عدتُ أخيراً إلى صوابي، ووضعته خارجاً مقابل سور المنزل الجانبي

حيث لن أضطر إلى النظر إليه. ربما تعتقد أنه بدأ على الفور في الانتعاش لكن هذا لم يحدث. لقد مات.

لذلك، غنيّ عن القول إنه عندما حان الوقت لتصميم حديقة لشخصيتي الرئيسية، لم أكن لأتمكن من سبر أغوار تجربتي الخاصة في البستنة. لكنني عرفت بطريقة ما، دون أن أكون قادرة على تفسير العملية لك، أن تلك الشخصية الرئيسية كانت بستانية. أحب أن أرى الناس في الحدائق، أحب تأمل الجلوس وحدي في الحدائق، وأحب كل الاستعارات التي تمثل الحدائق.

إن الحديقة من أهم استعارتين مجازيتين عرفهما الإنسان. والآخر بالطبع هو النهر. والاستعارة أداة لغوية عظيمة، لأنها تشرح المجهول بمفردات المعلوم. لكنها لا تنجح في ذلك إلا إذا كان لها صدى في قلب الكاتب. لذلك شعرت ببعض العجز هنا، فأنا أحب الاستعارة عندما أصادفها، وأرغب في العمل معها، ورغم ذلك لا أحب بستنة الحدائق.

لم أعرف من أين أبدأ، لكنني كنت أعرف أن الحديقة لم تبدأ كاستعارة. بل بدأت باعتبارها فردوساً. ثم، كما هو الحال الآن، تتعلق الحديقة بالحياة والجمال وفناء جميع الكائنات الحية. وتتعلق أيضاً بإطعام أطفالك وتوفير الطعام للقبيلة. إنها جزء من دافع استيطاني ملحّ يمكننا تتبع مساره وصولاً إلى الحيوانات التي تخزن الطعام على الأرجح. إنها آلية استعراضٍ تنافسية، مثل الفوز بالجائزة الكبرى، هذا الجشع لأفضل أصناف الطماطم وأفضل أزهار الشاي الإنجليزي. إن الأمر يتعلق بالفوز، ومنح المجتمع رموزاً متفوقة، وإثبات أن لديك ذوقاً وقيماً رفيعة وأنك تعمل بجدّ. ويا لها من راحة ملهمة إذ إنك تعرف في كثير من الأحيان من العدو - فالعدو في الحديقة هو كل شيء: حشرات المن والطقس والوقت. وهكذا تورّط نفسك

فيها، تهتم كثيراً، وتشهد عن كثبٍ الكثير من حالات الولادة والنمو والجمال والخطر والنصر- ثم يموت كل شيء على أي حال، أليس كذلك؟ لكنك تستمر في تكرار ذلك. يا لها من استعارة عظيمة! أحب هذا كثيراً. أردت وصف حديقة في كتابي بشدة! أخيراً، خطر ببالي الاتصال بصاحب مشتلٍ للنباتات.

تواصلت مع رجل لطيف للغاية شرحت له ما كنت أفعله، وسألت إذا كان بإمكانه مساعدتي في تصميم حديقة خيالية لشخص يعيش في نورث باي ولديه فناء خلفي كبير.

قررنا أن نبدأ باستعراض كيف تبدو الحديقة في الصيف، وسوف يساعدني بعد ذلك على مدى الأشهر مع تعاقب الفصول.

«هل ترغبين ببعض أشجار الفاكهة؟» سألني.

ثم على مدار نصف ساعة التالية، صممنا حديقة مليئة بالأشجار والزهور من كل نوع. أخبرته أني تخيلت في ذهني خيمة خشبية بيضاء في مكان ما من الحديقة، وسألت عن أنواع الكروم التي يمكن أن تتوافق مع ذلك. فاقترح البازلاء الثلجية. ثم أضفنا بعض الخضار، وحزمة من الفراولة البرية، وأصبح لدي حديقتي. اعتدت على الاتصال به كل بضعة أشهر للتحقق من بعض التفاصيل. أسأله: «ماذا ستفعل شجرة التفاح؟». «هل ستحمل ثماراً، أو حتى أوراقاً؟ وماذا أفعل لأعتني بأسرّة الزهور الآن؟»

رحت أزور حدائق الناس أيضاً، وأسألهم عن هذا النبات أو ذاك وكيف يعتنون به، وكانوا يقولون أشياء مضحكة أو رائعة وكنت أسرق كلماتهم. اقتنيت كتاباً عن الحدائق كي أتمكن من دراسة الزهور والأشجار والكروم بتلك الطريقة، وصدقاً، اعتقد الأشخاص الذين قرأوا روايتي أنني أحب

البستنة. في بعض الأحيان في الواقع، كانوا يبدؤون في الحديث الاختصاصي معي، معتقدين أن بإمكاننا الاجتماع معاً كما اعتاد البستانيون أن يفعلوا، فأخبرهم أنني كنت أقتبس فقط مع الكثير من المساعدة من الناس من حولي، الأشخاص الذين يعرفون عن الحدائق أكثر مني، والأصدقاء الذين يتسترون على جهلي، تماماً كما في الحياة الواقعية.

«أنت لا تحبين البستنة؟» كانوا يسألون غير مصدقين، وأهز رأسي وأتجنب ذكر أن ما أحبه هو أزهار الزينة، لأن هذا يبدو عنيفاً ومنحطاً، مثلما قال سلفادور دالي أن حيوانه المفضل كان شرائح سمك موسى.

في السنوات اللاحقة، طلبت من جميع أنواع البشر مساعدتي في تصميم مسارح الروايات. طلبت منهم أن يصفوا كيف يبدو العالم في مدن أمريكية معينة أو قرى أفريقية، داخل سيارة معينة تحت المطر، أو في الأسفل قرب الماء حيث لا يزال المشردون يأتون إلى المدينة على متن القطار. ثم أحاول أن أتخيل موقع تصوير هذا المشهد بأكبر قدر ممكن من التفاصيل. يمكنني أحياناً رؤيته بوضوح أكبر إذا أغمضت عيني. في أوقات أخرى، أحدق بعيون نصف مغمضة مثل الهرة.

البدايات الخاطئة

تحدثت آنفاً عن الفنان الذي يحاول تجسيد فكرة ما ضمن زاوية معينة من لوحته لكنه يكتشف مراراً أنّ ما رسمه لا ينطبق على ما يرتسم في ذهنه. وتراه يعاود مرة إثر مرة طمس عمله بالطلاء الأبيض كلما اكتشف أن ما رسمه بعيد كل البعد عن الأمر المنشود، لكنه يقترب كل مرة أكثر فأكثر من اكتشافه. لقد تكرر هذا معي في الكتابة مراتٍ عدة. إذ لطالما ظننت أنني أعرف من تكون شخصية بعينها أو كيف من الأجدر أن تسير مجريات المقالة، فأجد نفسي أغامر باتباع هذا المخطط الشبحي في رأسي. وسرعان ما يتضح أنني أُجَانب الصّواب، وأنني أخطأت التقدير بحقّ الشخصية. حين يخامرني إحساس قويّ أن الشخصية تتخبط محتارة فيمن تكون؛ لذلك، أمسحها كلياً وأبدأ من جديد..

لقد اكتشفت أمراً مهماً بشأن البدايات الخاطئة عندما بدأت بمرافقة بعض أفراد كنيستي إلى دارٍ للمسنين مرة كلّ شهر لأداء بعض الشعائر الدينية. لكن، بعد زيارتي الأولى الكئيبة إلى ذاك المكان، ظننت أني أعرف من يقطن ذلك الدار وما ينوون فعله، وما ينطوي عليه أمرهم في الواقع. ولو شرعت في الكتابة عنهم حينها، لاعتقدت أنني أكتب بكل ثقة، وكم كنت مخطئة.

أتردد إلى دار المسنين منذ أربع سنوات. وأقرّ بأنني لا أتطلع إلى زيارته أبداً، لكن ثمّة أسباب لا أفهمها تدفعني للعودة كلّ مرة. ربما آملُ لا شعورياً أن يساعدني ذلك في الدخول إلى فريق الشباب يوماً ما. ومع ذلك، في اللحظة

التي أتجول بها في المكان وأشم رائحة هؤلاء المسنين مرة أخرى يقفون في الممرات كجمعٍ من السيارات المهملة على جانبي الطريق، في تلك اللحظة كنت أتوسل إلى الله أن يجنبني هذه النهاية. لكن لله حكمته، وهؤلاء الناس كانوا في مثل سنّي يوماً. وأراهن أنهم اعتادوا التوسل إلى الله لئلا ينتهي بهم الأمر على هذا الحال أيضاً.

يبدو العديد منهم متشابهين بدايةً بشكلٍ مريب، تماماً كما يتشابه العديد من المشاركين في ألعاب الأولمبياد الخاصة مع بعضهم البعض. ثم تبدأ في ملاحظة أن البعض لديه معاطف أو بطانيات من جلد الخراف، بعض المسنّات يضعن طلاء الأظافر، والبعض لديه أسنان أصلية، منهم من يعاني من تقرحات، ومنهم من يتمتع بصحة جيدة، ويبدو أن البعض كان وسيماً بشكل جليّ فيما مضى، على عكس البعض الآخر، ومنهم من يدرك أين هو، يذكر عبارات من الصلوات، في حين ينام البعض الآخر أو يحاول إنشاد التراتيل البسيطة والتصفيق بإيقاع. ولكن حتى أولئك الذين يصفقون يختلفون في أسلوب التصفيق. البعض يصفق برقّة بلا صوتٍ تقريباً. وثمة امرأة تصفق بحماسة كبيرة كما لو أنها ترقص البولكا. أما ذاك الرجل العجوز فيصفّق مرة واحدة، كما لو أنه يقتل ذبابة. والمفضلة لدي، امرأة تحمل اسمي نفسه «آن»، تصورتها أول الأمر امرأة هزيلة غامضة تفوح منها رائحة البول وبودرة الأطفال وبالكاد تحفظ شيئاً من بقايا ذاكرتها. لكنها لم تكن كذلك على الإطلاق. ما زلت لا أعرف من تكون، لكنني أعرف جيداً الآن من لا تكون.

لا يمكنها تذكر اسمي، وعندما أكرره على مسمعها كلّ شهر، تؤدي حركةً إيمائيةً وتضرب جبينها كنايةً عن النسيان. ونبتسم معاً. أظنّها تسخر مني. وعندما نرتّل «آمين»، تجلس دائماً ويديها في حضنها، راحتيها متقاربتان

معاً كما لو أن طائراً صغيراً يختبئ بينهما. ومع كل تصفيق، تبعد آن يديها قليلاً كما لو أنها ترغب حقاً في التصفيق لكنها لا تريد في الوقت نفسه أن تدع الطائر يخرج من مخبأه.

لو أنني كتبت عنها وعن باقي كبار السن بعد زياراتي الأولى للدار، لكانت الروائح والارتباك تهيمن على مجمل ما أصفه. كنت سأنقل محادثاتنا الغريبة، كحديث تلك المرأة التي كانت مقتنعة أننا ذهبنا إلى المدرسة معاً؛ والآخر الذي سأل ذات مرة عما إذا كان «سام» كلباً، ولا ريب أنني كنت سأحاول سرد إحساسي بانعدام المغزى. لكني واصلت الذهاب إلى الدار، وكافحت للعثور على معنى يثري وجودهم الكئيب إلى أنْ عثرتُ على العون أخيراً في صورة لراهبٍ من العصور الوسطى، الأخ لورانس، الذي تراءى له أننا جميعاً أشجار في فصل الشتاء لا نَهِبُ سوى النذرِ القليل، عراةٌ من الأوراق واللون والحياة، ومع ذلك يحبنا الله دون قيدٍ أو شرط. أرادت صديقتي الراهبة مارغريت التي تعمل في دار المسنين والتي شاركتني هذه الصورة، أن أدرك أنه على الرغم من أن هؤلاء المسنون لم تعدْ لهم فائدة تُذكر، فإنهم موجودون هنا ليكونوا محبوبين دون قيدٍ أو شرط، تماماً كما الأشجار في فصل الشتاء.

عندما تكتب عن شخصياتك، تتملكك رغبةٌ في معرفةِ كل شيءٍ عن أوراقها وألوانها ونموها. لكنك ترغب أيضاً في معرفة حقيقتها حينما تجرّدها من قالبها الظاهري. لذا، إن أردت التعرف على شخصياتك، عليك قضاء الوقت بينهم لفترة طويلة بما يكفي لرؤية ما وراء كل الأشياء التي لا تشبههم. يمكنك محاولة دفعهم للقيام بأمرٍ ما قد يكون مناسباً في سياق الحبكة، أو قد ترغب ربما في تصنيفهم كي تتمكن من الحفاظ على وهمِ السيطرة. وإنْ حالفك الحظّ فسوف تتسلل أذرعهم من جانبي الصندوق

الذي حبستهم فيه، وسيتعين عليك أخيراً الاعتراف بأنهم ليسوا من كنت تظنّ. إنّ الشخص المحتضر هو الأقدر على جعلنا ندركُ هذه المسألة بشكل مباشر؛ إذ غالباً ما تتهاوى السمات التي تميزه: الشَّعْرُ والشكلُ والمهارات والذكاء. ويتضح أخيراً أن المحتوى الداخلي لا ينطبق على ما كنا نعتقد أنه يصف هذا الشخص فعلاً طوال الوقت. ويسطع نوع آخر من الجمال بعيداً عن هذا السياق. على سبيل المثال، في رحلةٍ للعلاج بالتسوق قامت بها قبل وفاتها بعشرة أيام، اكتشفت صديقتي بامي أنها لم تعد قادرة على كتابة اسمها على الشيكات، فالتفتت نحوي وقالت: «ما الغاية من أن تكوني على قيد الحياة ما لم تكوني قادرةً حتى على توقيع الشيكات؟» لم يكن بوسعي سوى رفع كتفيّ وهز رأسي باستهجان. لكن اتضح أن جوهر صديقتي بامي لم يكن يتعلق بالأشياء التي يمكنها فعلها بيديها. إن ما كانت عليه لا يمت بصلةٍ إلى مسألة «الفعل» على الإطلاق.

في الذكرى السنوية الأولى لوفاتها، زُرتُ حديقةً تذكاريةً قرب عيادة العلاج بالأشعة حيث كانت تتلقى علاجها، واكتشفت أنّ شخصاً ما قد زرعَ شجرةَ طقسوس هناك تكريماً لذكراها. كان الطقسوس أكبر مني حجماً وأشعثاً وكأنه شخصية من شخصيات إدوارد كورين [كاتب ومصور لكتب الأطفال والرسوم الكاريكاتورية السياسية]. بدا لي وكأنه نهض فجأةً ليعانقني. بالقرب من الطقسوس كانت ثمة شجيرات مزهرة طويلة، ربما نوع من الخشخاش، ولكن سقطت معظم بتلات أزهارها تقريباً، لذلك رأيت في الغالب ألفاً من السيقان المتشابكة تنمو متسابقة نحو السماء. ثم أدركت أن السيقان متصلة في الواقع، وأنها تحمل بذوراً ستزهر مجدداً في الربيع القادم.

تلك هي الطريقة التي تسير وفقها الحياة الواقعية في حياتنا اليومية وكذلك في دار المسنين وحتى على فراش الموت، وهذا ما تسمح لنا الكتابة الجيدة بملاحظته في بعض الأحيان. لا يمكنك رؤية الجوهر الحقيقي إلا عندما تتخلص من الزخارف والزينة، وعندها تتضح أمام ناظريك بعض من أهم الارتباطات المذهلة.

معالجة الحبكة

يفترض الطلاب أنّ الكتّاب المرموقين يجلسون لكتابة كتبهم، وهم يعرفون إلى حدّ كبير ما سيحدث لأنهم حددوا معالم معظم الحبكة، وهذا يفسّر ظهور كتبهم بشكل جميل للغاية ولمَ حياتهم سهلة ومبهجة للغاية، واحترامهم لذاتهم كبير جداً، وحواسهم الطفولية المفعمة بالثقة والتساؤل سليمة تماماً دون تغيير. حسناً. لا أعرف أي شخص ينطبق عليه هذا الوصف على الإطلاق. كل من أعرفهم يتخبطون في الأرجاء، يتذمرون ويصارعون القنوط في سبيل إيجاد حبكة وبنية ناجحتين. نرحب بكم للانضمام الى النادي.

من ناحية أخرى، قد تجد أن لديك بدلاً من الحبكة ما يشبه الوجهة المؤقتة، أو ربما مشهداً يتراءى لك أنه الذروة. لذا فإنك تشرع في الكتابة وصولاً إلى هذا المشهد، ولكن عندما تصل إليه أو تقترب منه، تكتشف أنه لم يعد مقبولاً بسبب كل ما عرفته عن شخصياتك في طريقك إليه. ربما أثار المشهد الثقة التي دفعتك للعمل على حبكتك، لكنه لا يبدو ملائماً الآن ولذا فإنه لا يصلح للنسخة النهائية من الحكاية.

مررت بهذه العملية أثناء عملي على روايتي الثانية، حيث ساعدتني صورة معينة على الاستمرار حينما أصبح لدي إحساس قوي بالشخصيات التي كنت أكتب عنها. ومع ذلك، عندما جاء دور تلك الصورة الذروة لتقوم بدورها، تبيّن أنها غير مناسبة على الإطلاق. لذا فضّلت التأني لبضعة أيام وانتظرت أن تبدع الشخصيات سطورها وحدها وتكشف عن نواياها.

وهكذا شعرت تدريجياً أنني أعرف كيف سينتهي الكتاب، وكيف أن كل ما فيه بات مترابطاً بقوة. كنت في تلك الأثناء قد أمضيت عامين كاملين في العمل على ذاك الكتاب، وأرسله تباعاً فصلاً تلو الآخر إلى محرري في دار فايكنج.

أحب محرري الشخصيات طوال الوقت، وأحب الأسلوب والمزاج العام للنص، ولكن بعد قراءة مسودتي النهائية الثانية مباشرة، أرسل لي خطاباً يبدأ بعبارةٍ تقول: «ربما هذا أصعب خطاب اضطر لكتابته على الإطلاق». رأيت نجوم النهار تسطع هناك في مكتب البريد، كما لو أن شخصاً ضربني على رأسي. دارت الغرفة بي. تابع المحرر قائلاً إنه بينما كان يستمتع بالشخصيات وما يدور بينها من حوار، قمتُ بإيجازٍ بخلق مأدبة جميلة لكنني لم أدعو القارئ أبداً إلى الجلوس وتناول الطعام. لذلك فقد شعر القارئ بالجوع. وأن الكتاب بدا كأنه منزل دون أساساتٍ - إن افترضنا مجازاً - ولا عوارض داعمة، فراح ينهار على نفسه، ولم يكن ثمة طريقة لتدعيمه. يجب أن أضعه جانباً وأبدأ العمل على كتاب آخر من الصفر.

المسألة هي أنني قطعت شوطاً طويلاً نحو الأمام للتو. دخلت حالةً عميقة جداً من الأسى والخوف في مكتب البريد ورافقتني على مدى أسبوع أو نحو ذلك. كنت أشعر بإذلال ساحق وسيطر عليّ الهلع خشية ضياع مستقبلي. لكنني اتصلت بصديقةٍ أحبت كتاباتي وشجعتني على المضي قدماً طوال الوقت، وأخبرتني أن أمنح الكتاب فسحة صغيرة وبعض أشعة الشمس والهواء النقي. وطلبت مني ألا ألمسه أبداً لمدة شهر. وأكدت لي أن كل شيء سيكون على أحسنِ حال، على الرغم من أنها لا تعرف بالضبط ما هو الحال الحسن الذي أنتظره.

وهكذا، ذهبت إلى مقبرة الفيلة، واستأجرت غرفة في منزل قديم ضخم

يطلّ على نهر بيتالوما. كانت هادئة جداً وبسيطة. لا أحد يعرفني هناك. وبالكاد عرف البعض أين كنت. كانت المروج المطلة على نوافذي مليئة بالأبقار والعشب والتبن. لعقت جرحي لأسبوع أو اثنين وانتظرت استعادة ثقتي بنفسي. حاولت عدم اتخاذ أي قرارات كبيرة حول كيفية إنقاذ الكتاب أو سيرتي المهنية ككاتبة، لأن الشيء الوحيد الذي كنت أعرفه على وجه اليقين هو أنك إذا أردت أن تُضحك الآلهة، فأخبرها عن مخططاتك.

وأخيراً، وجدت نفسي على استعدادٍ للنظر في الكتاب مرة أخرى. قرأت في جلسة واحدة وأحببته. ووجدته رائعاً. كان عبارة عن فوضى كبيرة بلا شكّ، لكنها فوضى رائعة.

اتصلت بالمحرر وأخبرته أنني أعرف ما أفعله الآن وأنني سأثبت ذلك له. وكان سعيداً بصدق.

توجد غرفة معيشة متداعية ضخمة في ذلك المنزل الذي عشت فيه، وفي صباح أحد الأيام، أخذت النصّ المكون من ثلاثمئة صفحة ورحتُ أوزعه على الأرض، كل قسم على حدة. أضع مشهداً من صفحتين هنا، ومقطعاً من عشر صفحات هناك. وزعت تلك الصفحات وفق مسار، من البداية إلى النهاية، مثل خط أفقي من قطع الدومينو، أو مثل ممر حديقة مصنوع من البلاط. كان ثمة أقسام من المقدمة تنتمي بوضوح إلى المنتصف، ووجدت مشاهد في آخر خمسين صفحة ستكون رائعة لو وضعتها بالقرب من البداية، وانتشرت مشاهد ولحظات في جميع أنحاء النص يمكن جمعها وإعادة كتابتها لصياغة مقدمة رائعة عن شخصيتين رئيسيتين. مشيت على طول الممر ذهاباً وإياباً، أحرك كمياتٍ من الأوراق هنا وهناك، وأضع مشابك ورقية تعزل الأقسام المكتملة القائمة بذاتها وأكتب ملاحظات لنفسي حول كيفية صياغة أو تضييق أو توسيع كل قسم على النحو اللازم. لقد لاحظت الأشياء التي

تفتقد التحولات والمعلومات الحيوية التي نحتاج إلى معرفتها قبل أن يكون للحدث الواقع أي معنى - وبعد ذلك، حددت على ورقة فارغة ما اعتقدت أن من الضروري حذفه ووضعت الصفحة على الكومة في المكان المناسب. احتوت هذه الصفحة على مساحة فارغة تكفي ربما لمشاهد كاملة، بالطريقة التي يحفظ لك بها صديق عظيم حيزاً، بعد خسارةٍ ما، يمكنك من خلاله التعبير عن حزنك أو التأقلم مع الوضع الجديد. دوّنت بعض الملاحظات على أقسام مختلفة للإشارة إلى أن شيئاً ما كان على المحك في الواقع، لقد مضيت قدماً وتركت أشياء سيئة تحدث للشخصيات التي كنت أحميها. لقد وجدت أماكن يمكنني فيها الاتكاء عليهم بقوة أكبر، ودفعهم، وتحميلهم أعباء تجعل كارثتهم حتمية، كما أنني منعت وقوع الكارثة أيضاً. ومن ثم، حيث بتّ على يقين تام، جمعت كل الصفحات وفق ترتيبها الجديد وبدأت في كتابة مسودة ثالثة.

كتبت تلك المسودة مهمة قصيرة إثر مهمة قصيرة، مع الحرص على جعل كل قسم جيداً قدر الإمكان، مهما بدا صغيراً أو عرضياً. حذفت فقرات كاملة أحببتها، وتلك كانت فقرات أضعها في الكتاب لأنني أحببت النص أو الصورة أو حس الفكاهة فيها. عملت عليها لمدة ثمانية أو تسعة أشهر، وأرسلت الثلث الأول الذي أذهل محرري، ثم القسم الثاني الذي أحبه. انتهيت من القسم الثالث في الوقت الذي انفصلت فيه عن رجل كنت على علاقة معه لبعض الوقت. عشت حالة من العصف الذهني: سأرسل القسم الثالث عبر البريد، وأقترض المال للسفر إلى نيويورك، وأقضي أسبوعاً هناك، وأقوم بتحرير الكتاب مع محرري، وأبتعد في الوقت نفسه عن هذا الرجل الذي انفصلت عنه. وسأتمكن من تحصيل الثلث الأخير من المبلغ الذي يدين لي به الفايكنج وممارسة بعض العلاج بالتسوق في مدينة نيويورك.

كتبت رسالة إلى محرري أخبره أنني قادمة. ولم يرفض.

طلبت من الرجل الذي كنت على علاقة معه أن ينقل جميع أغراضه خارج المنزل. اقترضت من خالتي ألف دولار، ووعدتها أن أعيدها نهاية الشهر. ثم سافرت إلى نيويورك.

في صباحي الأول هناك، ارتديت ثوب الكاتبة الشابّة وذهبت لمقابلة محرري. حسبتُ أننا سنبدأ التحرير معاً في ذلك الصباح، وبعد ذلك يمكنه إعطائي آخر جزء من أتعابي. إذ اتضح أنني تعافيت من هذه النكسة المدمرة وأن الحقيقة والجمال انتصرا مرة أخرى. ولا شك أن الجميع كان ليصعق لو سمع أن هذا الكتاب كان على وشك أن يُرمى. لكن محرري قال: «أنا آسف». نظرت إليه باستغراب. قال: «أنا آسف جداً». «لكن الكتاب لا يزال سيئاً». لم يفهم لماذا حدثت وقائع معينة بالطريقة التي حدثت بها، أو لماذا حدثت بعض الأشياء في البداية، والأهم من ذلك، لماذا لم يتضمن الكثير من الأحداث أساساً. جلست هناك أحدق فيه كما لو كان وجهه ينصهر أمامي. قال: «أنا آسف جداً»، ولبرهة من الوقت منعتني الصدمة من البكاء. رحت ألمس جبهتي كما لو أنك تربت على رأسك للتأكد من أن شعرك على ما يرام. أعتقد أنني بدوتُ مثل بلانش دوبوا حين تعاني من حموضة مزعجة. انهمرت دموعي وقلت له يجب أن أغادر حالاً. فطلب مني أنا أخابره في اليوم التالي. فأجبته إنني سأفعل، رغم عدم يقيني من أنني سأكون على قيد الحياة حتى ذلك الوقت.

لحسن الحظ، لم أكن قد انقطعت عن شرب الكحول حينها. ذهبت إلى المنزل الذي كنت أقيم فيه مع أصدقاء العائلة القدامى، وشربت معهم عشرات الكؤوس كمجاملة اجتماعية، ثم ركبت سيارة أجرة لمقابلة بعض الأصدقاء الآخرين. تناولت معهم بضع مئات من الكؤوس، وجرعة بسيطة

من الكوكايين - في الواقع، كنت أشبه آكل النمل في لحظة ما. ثم ذهبت إلى متجر لبيع الخمور واشتريت نصف لتر من الويسكي الأيرلندي وعدت إلى المنزل حيث أقيم. تناولت بضع رشفات من مشروب بوشميلز مباشرة من الزجاجة حتى أغمي علي.

كنت مكتئبة بعض الشيء عندما استيقظت. نظرت إلى المخطوط في حقيبتي، وفكرت في كل تلك الشخصيات الجميلة والمرحة والمؤثرة التي كنت أعمل معها منذ ما يقرب من ثلاث سنوات، وفجأة شعرت بالغضب. اتصلت بالمحرر في منزله. لم يكن يخطط للذهاب إلى العمل في ذلك اليوم. كان مكتئباً قليلاً أيضاً. قلت: «أنا قادمة»، فسكت، ثم قال بتردد شديد: «حسناً» وودّ أن يسأل: «وهل ستحضرين سكاكينك معك؟» نزلت إلى الطابق السفلي وأخذت سيارة أجرة إلى شقته.

سمح لي بالدخول وطلب مني الجلوس، لكنني كنت في حالةٍ جنونية للغاية محبطةٌ وغاضبة ومنهارة ومهانة ومصدومة. ضممت مخطوطتي إلى صدري كالطفل. كانت تتضمن مقاطع ضحك الأصدقاء الذين قرأوها بصوت عالٍ أو اتصلوا بي وهم يبكون. ضم الكتاب عبارات مضحكة بشكل لا يصدق، وبعض الأشياء المهمة التي لم يكتب عنها أحد قبلاً. كنت متأكدةً من ذلك. إلى حدّ ما. بدأت أتجول في غرفة معيشته، مثل محامية تقدم قضيتها أمام هيئة المحلفين، موضحة جوانب مختلفة من الكتاب، والتي نسيت أن أدوّن بعضها أساساً من شدة رغبتي في عدم الظهور بشكل مكشوف للغاية. وضعت النقاط على كثيرٍ من الحروف، واصفةً العلاقات القائمة بين الشخصيات والتي افترضت أنها كانت واضحة. كنت أصرخ (أبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً، وأعاني من دوار وحشي بسبب المشروب، وأشعر وكأنني أحتضر) لكنني أخبرته عن الشخصيات وعن فحوى القصة. لقد

رسمت خطوط حياتهم وفكرت بصوت عالٍ كيف أمكنني حلّ المشاكل الأكبر للحبكة والموضوع، وكيف تعمدت تبسيط بعض الأشياء وتعميق أشياء أخرى. لم أكن أفكر فيما أقوله. كانت الكلمات تنهمر من فمي، وعندما انتهيت نظر إلي وقال: «شكراً لك».

جلسنا على الأريكة جنباً إلى جنب لفترة من الوقت، صامتين.

وأخيراً قال: «اسمعي. أريدك أن تكتبي هذا الكتاب الذي وصفته لي للتو. أنت لم تفرغي من كتابته بعد. اذهبي في إجازةٍ إلى مكان ما واكتبي لي معالجةً، معالجةً للحبكة. أخبريني فصلاً تلو الآخر ما قلته لي للتو في غضون نصف الساعة الماضية، وسأمنحك آخر دفعة من الأتعاب».

وهذا ما حصل. رتبت للإقامة مع بعض الأصدقاء في كامبريدج لمدة شهر، وهناك جلست كل يوم وكتبت خمسمئة إلى ألف كلمة أصف فيها ما يجري في كل فصل. ناقشت من تكون الشخصيات بوضوح، وأين عاشت وما الذي كانت بصدد فعله، ولماذا. اقتبست في بعض الأحيان من النص بشكل مباشر، مستخدمةً بعضاً من أفضل السطور لغرس الثقة في نفسي وفي المحرر، واكتشفت، مراراً وتكراراً، النقطة أ، حيث بدأ الفصل، والنقطة ب، حيث انتهى، وما الذي يجب أن يحدث لنقل شخصياتي من أ إلى ب. ثم كيف ينتقل الجزء ب من الفصل الأخير بشكل عفوي إلى النقطة أ من الفصل التالي. تقدم مسار الكتاب مثل حروف الأبجدية، ومثل حلم حي ومستمر. شغلت المعالجة أربعين صفحة. أرسلتها بالبريد من كامبريدج، وسافرت عائدة إلى المنزل.

وبالفعل نجح الأمر! أعطاني المحرر آخر دفعة من الأتعاب، والتي استخدمتها لأسدد الدين لعمتي وكسب الوقت حتى أتمكن من كتابة مسودة نهائية. كنت أعرف هذه المرة بالضبط ما أفعله. كانت الوصفة بحوزتي. صدر

الكتاب في الخريف التالي وكان أنجح رواياتي.

كلما رويت هذه الحكاية لطلابي، يطالبون برؤية المخطوط الأصلي لمعالجة الحبكة. وعندما أحضره، فإنهم يمعنون النظر فيه وكأنه حجر رشيد. وهو مطبوع على ورقٍ بات هشاً مع تقدم العمر. هناك شروح ولطخات وعلامات تركتها أكواب القهوة والمشروبات الأخرى. يبدو لي أنه وثيقة جريئة، مثل المحرك الصغير الذي تمكن من العمل صباح اليوم التالي.

كيف تعرف أنك انتهيت؟

هذا سؤال يطرحه طلابي دائماً. لا أعرف بالضبط كيف أجيب عليه. أنت وحدك من يقرر ذلك. أظن أن طلابي يعتقدون أن الكاتب المعروف عندما ينهي كتابة نص ما، يضع نقطة نهاية السطر، ويدفع كرسيه للخلف، يتثاءب ويتمدد، ثم يبتسم. لم يسبق أن عرفت شخصاً فعل هذا، ولا حتى مرة واحدة. ما يحدث في الواقع هو أنك تراجع شيئاً ما مراراً وتكراراً، وتتخلص من الأعشاب الضارة وتشذّب النص وتعيد كتابته، ويقدم لك الشخص الذي قرأ عملك اقتراحات رائعة توافق عليها في الغالب - وأخيراً يخبرك شيء ما في داخلك ببساطة أنه حان الوقت للانتقال إلى الشيء التالي. بالطبع، سيكون هناك دوماً المزيد مما يمكن القيام به، لكن عليك أن تذكر نفسك بأن الكمال هو صوت الطاغية.

سمعت أشخاصاً يتداولون مقولةً في مرحلة التعافي من الإدمان وهي أن السيطرة على جميع ما يدمن عليه المرء هو أشبه بإجبار أخطبوط على النوم. أعتقد أن هذا يصف تماماً عملية حل المشكلات المختلفة في مسودتك النهائية. تدس مجموعة من أذرع الأخطبوط بعناية تحت الأغطية - أي أنك توصلت إلى حبكة محكمة، وحللت النزاع بين الشخصيتين الرئيسيتين، وجعلت السياق العام مفهوماً تماماً- ولكن ثمة ذراعان لا يزالا يتأرجحان في الهواء. ربما لا يتطابق الحوار في نصفه الأول مع النصف الثاني، أو أن إحدى الشخصيات لا تزال تبدو سطحية أحادية البعد. لكنك تنجح أخيراً

في وضع هذين الذراعين تحت الملاءات أيضاً، وما أن توشك على إطفاء الأنوار حتى تنطلق ذراع طويلة أخرى في الهواء.

من المحتمل أن يحدث هذا أثناء جلوسك إلى مكتبك، تدلك وجهك بقسوة، وتشعر بالإرهاق وتكاد تنهار. حينئذٍ، على الرغم من أن جميع أقراص الامتصاص الموجودة على ذلك المجس الواحد تتناوب فتحاً وإغلاقاً، وأن حدقة الأخطبوط الشبيهة بالشق تنظر إليك باستهزاء وكأنه قد يمص دمك حتى الموت لمجرد أنه يشعر بالملل، وعلى الرغم من أنك تعلم أن نصوصك ليست مثالية وأنك تأمل في إنجاز المزيد، ولكن إن كنت تعلم أيضاً أنه ببساطة لم يعد هناك المزيد من البخار في قدر الضغط وأنك فعلت أقصى ما يمكنك فعله الآن - حسناً؟ أعتقد أن هذا يعني أنك انتهيت.

الجزء الثاني

إطار الكتابة في العقل

الاستطلاع

إن الكتابة فنٌّ تعلّم الإصغاء باهتمام ونقل مع ما يجري حولنا. وإذا سألتني، فإن ما يجري حولنا هو ما نحن بصدد الخوض فيه الآن، والأهم ربما هو أننا لا نصيح على بعضنا البعض. وإلا لكنا جميعاً ننبح مثل كلب البكيني: «آه! أنت غارق في القذارة! هذا خطأك، أنت فعلت هذا... ». وتنطوي الكتابة على رؤية معاناة الشخصيات، وكما قال روبرت ستون ذات مرة: العثور على المعنى في داخلها. لكن لا يمكنك فعل ذلك إن لم تكن محترماً ومهتماً. إذا نظرت إلى الشخصيات ولم تلحظ سوى الملابس الرثة أو الملابس الفاخرة، فسوف تفهمها على نحو خاطئ.

الكاتب شخص يقف جانباً، مثل الجبن في فيلم «المزارع في الوادي»، يقف وحيداً هناك لكنه يقرر تدوين بعض الملاحظات. أنت تقف خارجاً، لكن يمكنك رؤية الأشياء عن كثب من خلال منظارك. مهمتك عرضُ وجهة نظرك بوضوح، والمنطقة التي يمتد لها بصرك. مهمتك رؤية الناس كما هم حقيقةً، ولأجل ذلك عليك أن تعرف من أنتَ بأكبر قدر ممكن من الإحساس والتعاطف. ثم يمكنك التعرف على الآخرين. إنها مسألة بسيطة من حيث المفهوم، لكنها صعبة من حيث التطبيق. كتب لي عمي بِن خطاباً قبل عشرين عاماً قال فيه: «أَحياناً تصادف شخصاً، بغض النظر عن عمره أو جنسه، تعرف قطعاً أنه جزء مستقل من الكل الذي يعيش طوال الوقت في أعماقك، وحين تثار حفيظة الكل تسمع تردد صدى أصوات القبيلة، وعندها

فقط تدرك أنك تعرفت عليهم». هذا ما أتحدث عنه: عليك أن تثير حفيظة القرّاء وتقديرهم حالما يبدؤون في فهم إحدى شخصياتك، لكنك ربما لن تتمكن من تقديم شخصية يمكن تقديرها إذا لم تحقق تعاطفاً مع الذات أولاً.

من السهل نسبياً أن تنظر بحنان وتقدير إلى طفلٍ ما، خاصةً طفلك، سيما عندما يكون لطيفاً أو مضحكاً حتى لو كان يؤذي مشاعرك. ومن السهل نسبياً أن تنظر بحنان إلى سنجابٍ، على سبيل المثال، وحتى أن تراه ببعض الوضوح، وتدرك أن الحياة الحقيقية تقبع عند قدميك، أو على الأقل هناك فوق ذلك الغصن المتدلي، وتقدّر هذا الحيوان الحي الذي يمتلك أجندته الخاصة وتسمع سقسقته الحادة عالية النبرة، ولا يسعك إلا أن تقع أسير جاذبيته وظرافته. لا أريد أن أبدو من أتباع العصر الجديد «كوزميكا راما» هنا، لكن في تلك اللحظات تجد أنك أنت والسنجاب متشابهان وأنكما جزء من كلّ. أعتقد أننا كنا لنشهد هذا في كثير من الأحيان لولا تسلط عقولنا الواعية. يبدو أن العقل الواعي يمنع هذا الشعور بالوحدانية حتى نتمكن من العمل بكفاءة، والمناورة مع العالم بشكلٍ أفضل قليلاً، وحتى نسدد ما علينا من ضرائب في الوقت المحدد. ولكن من الممكن أن ينتابك هذا الشعور حين ترى - ترى حقاً - ضابط شرطة، عندما تنظر إليه مباشرةً وترى أنه شخص حيّ يتنفس مثل أي شخص آخر يعاني ومثل أيّ وغدٍ، ولا تراه بتحيزٍ وشفافية برغم كل صور العنف والفوضى والخطر التي يجسدها رجال الشرطة. أنت تقبله كنظيرٍ لك.

من الواضح أنه من الصعب جداً أن تنظر إلى نفسك بنفس القدر من عدم التحيز الرحيم. لكن التدريب المستمر يسهل الأمر. كما هو الحال مع التمارين البدنية، قد تشعر بالألم في الأيام الأولى، ولكن تتحسن بعد ذلك قليلاً كل يوم. إنني أتعلم ببطء إعادة عقلي المجنون الشبيه بآلة فليبر إلى هذا الموضع

من عدم التحيز الودي تجاه نفسي حتى أتمكن من النظر إلى العالم ورؤية كل تلك الأشياء الأخرى باحترام. حاول النظر إلى عقلك على أنه جرو ضال تحاول تدريبه على قضاء حاجته فوق الورق. لا يمكنك ركل الجرو إلى حديقة الجيران في كل مرة يقضي حاجته على أرضية المنزل. بل تستمر في إعادته إلى الصحيفة الورقية. لذلك أحاول بلطف أن أعيد ذهني إلى المشهد الصحيح هناك، وربما إلى ما يجب عليه أن يلاحظه بنوع من التبجيل. وإذا لم أتعلم القيام بذلك، أعتقد أنني سأستمر في فهم الأمور بشكل خاطئ.

أعتقد بصدق أنه لكي تكون كاتباً، عليك أن تتعلم أن تكون مبجِلاً ومهتماً. إن لم تكن كذلك، فلماذا تكتب؟ لم أنت هنا؟

لنفكر في التبجيل على أنه رهبة وحضور وانفتاح على العالم. البديل هو تسفيه الأمور والانغلاق. فكر في الأوقات التي تقرأ فيها النثر أو الشعر الذي يقدم بطريقة تمنحك شعوراً غامراً بالذهول من شدة الجمال أو البصيرة من خلال السماح لك بإلقاء نظرة خاطفة على أعماق روح شخص ما. فجأة يبدو أن كل الأشياء تتلاءم معاً أو أن لها معنى ولو لبرهة على الأقل. أعتقد أن هذا هو هدفنا ككتّاب؛ مساعدة الآخرين على الشعور بهذا الإحساس بالدهشة، إن جاز لي التعبير، ورؤية الأشياء بصورة جديدة، كتلك الأشياء التي يمكن أن تفاجئنا وأن تخترق عوالمنا الصغيرة المحدودة. عندئذٍ، سيبدو كل شيء أكثر اتساعاً. حاول أن تتجول مع طفلٍ يصرخ مندهشاً: «واو، واو! انظر إلى ذلك الكلب القذر! انظر إلى ذلك المنزل المشتعل! انظر إلى تلك السماء الحمراء!» الطفل يشير وأنت تنظر، وتفهم، وتقول: «واو! انظر إلى هذا السياج المجنون الضخم! انظر إلى هذا الطفل الصغير! انظر إلى تلك السحابة الداكنة المخيفة!» أعتقد أن هذه هي الطريقة التي يفترض بنا أن ننظر بها إلى هذا العالم – حاضرين وتغمرنا الدهشة. أعلق على الحائط فوق

مكتبي قصيدة رائعة للصوفي الفارسي، جلال الدين الرومي:

ينتقل فرح الله من صندوق عابرٍ إلى

صندوق عابر،

من خلية إلى أخرى. كما تهطل مياه الأمطار

فوق بستان أزهار.

كما تنبثق الورود من الأرض.

والآن تبدو كطبق من الأرز والسمك،

والآن كجرف مغطى بالكروم،

والآن كحصان مثقل بالأحمال.

إنه يختبئ داخل هذه الأشياء،

إلى أن يأتي يوم وتنفتح.

ثمة فرح غامر في إعارة الاهتمام. يمكنك الدخول في حالةٍ من الانفتاح الووردزورثياني على العالم [نسبة إلى الشاعر ويليام ووردزورث]، حيث ترى جوهر القداسة في كل شيء دلالةً على أن الله كامنٌ في كل خلق الكون. ولكن قد لا تكون مستعداً لرؤية العالم سراً مقدساً ولا أن ترى أنّ كل شيء ما هو إلا علامة خارجية مرئية لنعمة داخلية غير مرئية. هذا لا يعني أنك حثالة فلستينية لا قيمة لها. يمكن لأي شخص يشاء أن يفاجأ بجمال وألم العالم الطبيعي وعقل الإنسان وقلبه، ويمكن أن يحاول التقاط ماهية تلك التفاصيل والفروقات الدقيقة المهملة. إذا نظرت حولك فسوف ترى.

عندما يدهشنا ما نراه، وعندما نكتبه بواقعية وصراحة قدر الإمكان،

فإنه يمنحنا الأمل. تنظر حولك وتقول، واو، انظر إنه الطائر المحاكي نفسه. وتلك هي المرأة ذات القبعة الحمراء مرة أخرى. إن المرأة ذات القبعة الحمراء تجسّد الأمل لأنها غارقة فيه حتى آخر نفسٍ أيضاً، لكنها تضع كل يوم تلك القبعة الحمراء المجنونة وتتجول في المدينة. قد تظهر إحدى هذه الصور باهتة في الربع السفلي الأيمن من الصورة الوردية الخيالية التي التقطتها؛ لم تكن تعرف في البداية أنها كانت جزءاً من المشهد الطبيعي، بينما اتضح هنا أنها تثير شيئاً عميقاً في داخلك لدرجة أنك لا تستطيع تحديد ماهيته بدقة. يقول غاري سنايدر:

الأمواج الهادئة على سطح الماء - حيث عبر السلمون الفضي من تحتها - تختلف عن أمواج النسمات الناعسة

هذه الكلمات التي لا يتجاوز عددها العشرين، تجعل الأمواج واضحة ومشرقة ومميزة أيضاً. لدي شريط لراهبة تيبتية تغني تعويذة عن التعاطف وتكررها مراتٍ ومرات على مدى ساعة، تردد ثماني كلمات مراراً وتكراراً، لكنك تشعر أن كل سطر مختلف عن سابقه، ويحظى بكل اهتمامها وتركيزها وهي تغني. لن تشعر أبداً أنها تسترق النظر إلى ساعتها وتفكر: «يا يسوع المسيح، لم ينقض سوى خمس عشرة دقيقة فقط». بل استمرت خمس وأربعين دقيقة تغني كل شطرٍ بشكل واضح، كلمة إثر كلمة، حتى آخر كلمة.

لا تسير الأمور على هذا النحو في الغالب، ولا بهذه البساطة والنقاء والكثير من التركيز على كل مقطع لفظي من الحياة حين تغني الحياة نفسها. إن هذا النوع من الاهتمام هو الجائزة الكبرى. أن تكون منغمساً بشيء خارج نفسك هو ترياق قوي للعقل المنطقي، العقل الذي كثيراً ما لا يعرف رأسه من قدميه، ويرى الأشياء بطريقة ضيقة ونرجسية غامضة تقدم نظريات تافهة لا تمنح الأمل لأيّ كان.

وجهة النظر الأخلاقية

إذا وجدت أنك تبدأ عدداً من القصص أو المقالات التي لا تبالي أبداً في إنهائها، أو تفقد الاهتمام أو الإيمان بها مع الوقت، فمن المحتمل أنها لا تحمل في جوهرها ما يثير شغفك بشكل لا يقاوم. عليك أن تضع نفسك في هذا الجوهر مع كل ما تعتقد أنه حقيقي أو صحيح. إن المفاهيم الأخلاقية الأساسية التي تؤمن بها بشغف شديد هي الأسلوب اللغوي الذي تكتب به. ربما تبدو كمعطياتٍ أو أشياء لم يضطر أحد إلى اختلاقها، وكانت صحيحة ومتعارف عليها في جميع الثقافات وفي جميع الأوقات. إن سرد هذه الحقائق (المعطيات) هو مهمتك أنت. ولا شيء آخر تسرده لنا. ونحن في غنى عن القول أنك غير قادر على سرد تلك الحقائق عبر جملة أو مقطع لا أكثر؛ فالحقيقة لا تكتب على ملصقات السيارات. قد تجد لمحة وامضة من الفطنة في سطر أو مقتطفات ذكية، لكن الحقيقة اليومية المتعلقة باللحوم والبطاطا تتجاوز قدرتنا على التعبير عنها ببضع كلمات. نصّك الكامل هو الحقيقة، وليس تلك اللمحة الوامضة المشرقة فيها فقط. يجب أن يكون هناك نوع من المكاشفة من أجل احتواء الحقيقة، ولا بد من وجود طبقات منها. نحن نتعامل هنا مع ما لا يوصف - نحن في مكان ما بين المعروف والمجهول، نحاول أن نسيطر عليهما معاً لإلقاء نظرة عن كثب. ولهذا قد يستغرق الأمر كتاباً كاملاً.

أنا لا أقترح أنك تريد أن تكون مؤلفاً يروي قصةً من أجل تعليم أو

إيصال رسالة أخلاقية. إن كان لديك رسالة فارسل برقية، كما يقول صمويل غولدوين. لكننا نشعر باليقين الأخلاقي في بعض الأشياء، ونثق أننا على صواب حتى عندما نعرف كم مرةٍ أخطأنا، ونحتاج إلى نقل وإيصال تلك الأشياء. كنت أظن على سبيل المثال أن أزواج الأضداد كانت من المسلمات، وأن الحب عكس الكراهية، والصواب عكس الخطأ. لكن الآن أعتقد أننا في بعض الأحيان نؤيد هذه المفاهيم فقط لأن من الأسهل تبني الأحكام المطلقة بدلاً من معاناة البحث عن الواقعية. لا أعتقد أن ثمة ما هو عكس الحب. الواقع معقد بشكل لا يرحم.

عندما تبدأ الكتابة، إذا كنت تشبهني، فقد ترغب في ملء الصفحة بالطرائف والرؤى المتلألئة حتى يرى العالم مدى ذكائك وحساسيتك الفريدة. ومع مرور الوقت، وحالما تتقن موهبة ممارسة الكتابة كل يوم، فإن ما يحدث بشكل شبه طبيعي هو أن ترغب في نهاية المطاف بأن تقوم شخصياتك بتمثيل طبائع الدراما البشرية. والكثير من هذه الدراما لا ينطوي على السحر والطرائف. ومع ذلك، يفضّل التعبير عن هذه الدراما من الناحية الأخلاقية؛ إذ يبدو أن الغرض من معظم النصوص العظيمة هو الكشف عن كينونتنا في ضوء أخلاقي. لحظتي المفضلة في أحدث فيلم لجان مورو - كوميديا تحمل عنوان البيت الصيفي—تجري أحداثها في المطبخ حيث تعلنُ أن كل إنسان لديه ما يبكي عليه.

عندما يسخر منها صاحب المطبخ ويصرّ على أن تخبره ما الشيء الذي يجب أن نبكي عليه، فإنها تنفض رأسها ذي الشعر الأحمر الملتهب وتقول: «رياح العزلة تهدر عند حدود اللانهاية». كيف نتصرف كأفراد ومجتمعات مع تلك الرياح التي تهبّ خلف ظهورنا؟ هل نحن أشخاص مهذّبون يسعون إلى العيش بكرامة وتعاطف، أم أن كلّ منا يهتم بشأنه؟

في غضون استمرارنا في العيش نبدأ في اكتشاف ما يفيدنا في الحياة وما يؤذينا، وتبرع شخصياتنا في تمثيل ذلك بشكل دراماتيكي. إنها أداة أخلاقية. تمتلك كلمة «أخلاقي» العديد من القرابات السيئة: مع الأصولية، والوعّاظ المتشددون، والتزمّت. علينا تجاوز ذلك. إذا كانت معتقداتك العميقة هي الدافع وراء كتابتك، فإنها لن تحمي فقط عملك من أن يبدو مُختلقاً بل ستساعدك على اكتشاف دوافع شخصياتك. قد تجد بعض الأشخاص الطيبين حقاً خلف الستار- الأشخاص الذين - نحن قراؤك - نحبهم ونفرح بصحبتهم. نحن نحب بعض الشخصيات لأنها طيبة أو محترمة- فهي تضفي بعض الحشمة على العالم مما يجعلها قادرة على خوض المخاطر أو تقديم تضحيات من أجل شخص آخر. كما أنها تفسح لنا المجال لرؤية أن ثمة في الواقع ما يشبه البوصلة الأخلاقية التي لا تزال قيد العمل هنا، وأن بإمكاننا السفر بمساعدة هذه البوصلة إذا اخترنا ذلك.

في الرواية الجيدة، نضع عيناً على البطل أو الشخصيات الطيبة وعيناً مفتونةً على الشخصيات الشريرة وهم غالباً أكثر إثارة للاهتمام. تقود الحبكة كل تلك الشخصيات (ونحن معها) إلى الغابات المظلمة حيث نجد رغم كل الصعاب، امرأة أو رجلاً يمتلكان بوصلة لا تزال تشير إلى الشمال الصحيح. تلك معجزة بعينها، وهي مذهلة. إن شعاع الضوء هذا أو حتى مجرد بصيص الضوء الخافت، كلاهما يعرّفان الظلام ويحبطانه.

فكر في مسرحية أخلاقية من العصور الوسطى نموذجاً. نحب أن نسمع أن الخير سوف ينتصر على الشر، وأن الجائزة الهشة المتمثلة بالإنسانية والحياة سوف تنقذ. ينتصر الشر في رواية الصيغة المكررة حتى النهاية، ومن ثم يسود الخير رغم كل الصعاب ويقبل البطل الفتاة ذات النهد العارم. باتت الحياة أكثر تعقيداً مما كانت عليه في العصور الوسطى، لكنها تبقى مشابهة من نواح

أخرى كثيرة إذ لا تزال عنيفة ومرعبة ومليئة بالفوضى والطاعون والقتلة واللصوص. وبالتالي فإن الاعتراف بأننا نحمل في أعماقنا حتى الآن جزءاً خيّراً لم يُتلف ولم يُخرّب، بل يمكننا الاستفادة منه واستعادته، لهو أمرٌ مطمئن للغاية. عندما تتمكن شخصية عادية (أي شخصية لطيفةً محبة لذاتها) من إيجاد هذا المكان الذي تحافظ فيه على ما في داخلها من خير وشجاعة، فإننا نشهد شيئاً حقيقياً صادقاً نتوق إليه. هذا من بين الأمور التي تساعدنا على التواصل مع شخصياتك وكتابك. وهذا ما يجعله كتاباً نقترحه على أصدقائنا، كتاب نتذكرهُ ويرافقنا طوال الحياة.

ولكن عليك أن تؤمن بموقفك وإلا فلن تجد ما يدفع عملك نحو الأمام. إذا كنت لا تؤمن بما تقوله، فلا فائدة من قوله. قد تنهي عملك وتذهب للعب البولينج. ولكن إن كنت تهتم بشدة حيال أمرٍ ما - على سبيل المثال، إذا كنت محافظاً بالمعنى العظيم للكلمة، أو كنت شخصاً يحاول الحفاظ على المشهد الطبيعي والعالم الطبيعي - فإن هذا الإيمان سيدفعك إلى المضي قدماً أثناء كفاحك لإنجاز عملك.

أن تكون كاتباً بارعاً لا يعني أن تكتب كثيراً بل أن تهتم كثيراً. ولست مضطراً بالضرورة لأن تكون لديك فلسفة أخلاقية معقدة. لكني أعتقد أن الكاتب يحاول دائماً أن يكون جزءاً من الحل، وأن يفهم الحياة ولو قليلاً وأن ينشر ما فهمه. حتى في حالة شخص سوداوي وعقلاني مثل صموئيل بيكيت، مع أصحابه المعاتيه في صناديق القمامة أو الغارقين حتى أعناقهم في الرمال والذين تنحصر حياتهم في نبش محتويات حقائبهم والوقوف بذهول أمام كل ما يجدونه، فإنه يمنحنا نظرة ثاقبة على ما يمكن اعتباره حقيقياً ومفيداً. لقد فهم الأمر بشكل صحيح وأدرك أننا ولدنا على حافة القبر وأن هذا الكوكب يمكن أن يبدو بارداً وغير صالحٍ للسكن مثل القمر. ويتقن بيكيت جيداً

كيف يجعل هذا كله مضحكاً. يبتسم لنا ابتسامة ساخرة وخاصة، الابتسامة الأجمل على الإطلاق، وهذا يغير نظرتنا إلى الحياة. قد تبدو بعض الأشياء الصغيرة واضحة فجأةً، أشياء يمكننا التشبث بها، مما يجعلنا نشعر وكأننا جزء من الحل. (لكن ربما لدينا نفس المشكلة مع كلمة «حلّ» كما هو الحال مع كلمة «أخلاقي». إذ تبدو كلمة «حلّ» إصلاحية للغاية، وربما تجاوزنا حدود الإصلاح. ربما كل ما بوسعنا فعله هو جعل الوقت المتاح لنا هنا مليئاً بالدماثة والفكاهة).

أو انظر إلى الدالاي لاما الرابع عشر، الذي يعدّ برأيي أعقل شخص على وجه الأرض حالياً. إذ يقول ببساطة: «ديني الحقيقي هو اللطف». هذا موقف أخلاقي عظيم؛ ممارسة اللطف وفتح أبواب القلب في حضور المعاناة. ولكن لسوء الحظ هذا لا يصنع أدبا عظيماً. لا بدّ من زخرفته بعض الشيء. وإلا سيكون لديك كتاب مؤلفٌ من جملة واحدة، وسينظر إليك الوكلاء المحتملون كما لو أنك المصباح الأقل إنارة في البناء - كما يقول أهل تكساس. (الأكثر سذاجةً، بعبارة أخرى).

لذا فإن الموقف الأخلاقي ليس رسالة. الموقف الأخلاقي هو الاهتمام الشغوف الذي في داخلك. نحن جميعاً عرضة للخطر الآن، نواجه كل ما هو جديد، ولا فائدة من جمع الجمهور والمطالبة باهتمامهم ما لم يكن لديك شيئاً مهماً وبنّاءً تقوله. يقول صديقي كاربنتر أننا لم نعد بحاجة إلى شخصية «تشيكن ليتل» ليخبرنا أن السماء على وشك السقوط، لأنها بالفعل كذلك. القضية الآن هي كيف نعتني ببعضنا البعض. ونحن مهتمون بأي عبارة منك تلقي الضوء على هذا الأمر، وسوف ندفع مبلغاً كبيراً إذا استطعت أن تجعلنا نضحك عليه. وبالنسبة للبعض منا، تعتبر الكتب الجيدة والنصوص الجميلة عزاء مطلقاً، بل عزاءً أفضل حتى من وجبة طعام رائعة. لذا من الأفضل أن

تكتب عن الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة لك. فالحب والموت والجنس والبقاء مسائل مهمة جداً لمعظمنا. والبعض منا مهتم أيضاً بعبادة الله والبيئة.

وربما أكثر ما يثير اهتمامك وشغفك هو الصيام على سبيل المثال أو حقن الكابتشينو الشرجية. لا بأس بهذا، لكننا لا نريدك أن تكتب عنها؛ سوف نصدق سراً أنك ببساطة تضفي طابعاً روحانياً على هذه الهستيريا التي لديك. هناك الملايين من الناس يفعلون ذلك بالفعل في الكنائس ومهرجانات العصر الجديد عبر أصقاع الأرض.

اكتب عوضاً عن ذلك عن الحرية، والحريات التي تستحق النضال من أجلها. تبدأ حقوق الإنسان من شخصياتك وتمتد بغض النظر عن مدى فظاعتها. عليك أن تحترم السمات التي تجعلهم على طبيعتهم. إن الموقف الأخلاقي ليس شعاراً أو أمنيات صادقة. لا يأتي من الخارج أو من فوق. بل يبدأ داخل قلب الشخصية وينمو من هناك. قل الحقيقة واكتب عن الحرية وحارب من أجلها كيفما أمكنك ذلك، وسوف تكافأ بسخاء. على حد تعبير مولي إيفينز: «لا ينتصر مقاتلو الحرية دائماً، لكنهم دائماً على حق».

البروكلي

ثمة مشهد قديم لـ ميل بروكس، حول الجانب الآخر من تمثيلية «رجل يبلغ من العمر 2000 عام»، حيث يقول الطبيب النفسي لمريضه: «ينبغي أن تصغي إلى البروكلي وسوف يخبرك البروكلي كيف تأكله». وعندما أخبرت طلابي بذلك لأول مرة، نظروا إلي كما لو أن الأمور بدأت تتدهور بشكل جليّ. لكنه مفهوم مهم في الكتابة كما هو في الحياة الواقعية.

إن هذا التشبيه يعني بالطبع، أنك حين لا تعرف ماذا تفعل، ولا تعرف ما إذا كانت شخصيتك ستفعل هذا أو ذاك، فعليك أن تهدأ وتحاول سماع ذلك الصوت الصغير في داخلك. وسيخبرك بما عليك فعله. تكمن المشكلة في أن الكثير منا فقد إمكانية التواصل مع البروكلي منذ كان طفلاً. كنا نصغي إلى حدسنا صغاراً ثم أخبرَنا الكبار ما يجب أن نعتبره صحيحاً بعد أن يصححوا حدسنا أو يسخروا منه غالباً أو نُعاقب بسببه. معاذ الله أن يكون لديك آرائك أو تصوراتك الخاصة - الأفضل أن يكون لديك قمل في رأسك ولا هذا.. إذا سألت ببراءة: «لماذا تبكي أمي في الحمام؟»، يأتيك الجواب: «أمي لا تبكي، أمي تعاني من حساسية». أو إذا سألت: «لماذا لم يعد أبي إلى المنزل الليلة الماضية؟»، فقد يُخبروك بذكاء: «لقد عاد أبي إلى المنزل الليلة الماضية، لكنه غادر مرة أخرى مبكراً جداً». وتومئ برأسك صاغراً، رغم أنك تعلم أنها أكاذيب، إذ كان من المهم أن تلتزم الجانب الخيّر لدى البالغين. لم يكن هناك شخصاً آخر يعتني بك، وإذا استجوبتهم بإصرار، فمن المحتمل أن

يرسلوك إلى غرفتك دون عشاء، أو يغرزون عصاً في كاحليك ويتركونك على منحدر التل فوق محطة موبيل. وبذلك تصبح معتاداً على الشك في الصوت الداخلي الذي يخبرك بوضوح تام بما يحدث بالفعل. ومن الضروري أن تستعيد ثقتك بذلك الصوت.

أنت بحاجة إلى البروكلي كي تكتب ببراعة. وإلا ستجلس في الصباح وليس ثمة من يرشدك سوى عقلك الواعي المنطقي. وحينئذٍ، إذا كان نهارك مزعجاً، فسوف تتحطم وتحترق في غضون نصف ساعة. سوف تستسلم، وربما تنهض من خلف مكتبك، وهذا الأسوأ لأن معظمنا يعرف أن الصبر على الجلوس هناك لفترة كافية، بأي حال كنا، قد ينجم عنه ما يدهشنا في نهاية المطاف. لنفترض أن الساعة 9:15 فقط؛ وإذا عزمت على الصمود حتى النهاية، فقد تأتيك الصورة أو الموقف الذي من شأنه أن يفتح الباب أمام شخصية ما، ولن يكون عليك بعد ذلك سوى الابتعاد عن الطريق كي تتقدم الشخصية وتتحدث وقد تنطق شيئاً مهماً؛ بل قد يكون الشيء الأكثر أهمية بالنسبة له أو لها، وقد تتضح معالم حبكتك فجأة وتأخذ شكلها النهائي. وتدرك حينها كيف تنقل هذه الشخصية من الجيد إلى السيء ثم تعيدها، أو أياً يكن. لكن بدلاً من ذلك، ها أنت تقف وتعلن انتهاء عمل اليوم حاملاً في صدرك مشاعر الهزيمة والهشاشة واليأس، وستكون مواجهة الغد أصعب لأنك استسلمت اليوم بعد مضي خمس عشرة دقيقة من جلوسك للعمل. هل تذكر مشهد القط بالو حيث يتحول لي مارفن الثمل جداً من اللاوعي، إلى الصراخ، إلى بهجة الانتصار، إلى الصخب، إلى نحيب الفشل، ومن ثم يغمى عليه أخيراً؟ يقول أحد الرجال الذين يراقبونه وقد اعتراهم ذعر حقيقي: «لم أر قطّ رجلاً يمضي يومه كاملاً بهذه السرعة». لا تدع شيئاً كهذا يحصلُ لك.

يمكنك استعادة إيمانك بقدراتك وحدسك من خلال الثقة بنفسك،

ومن خلال دعم ذاتك بقوة. يجب أن تثق بنفسك، خاصة عندما تكتب المسودة الأولى، وعليك، رغم القلق والشك بقدراتك، أن تمتلك إحساساً ملموساً بسعة خيالك وذكرياتك أثناء التجول والاستسلام لأحلام اليقظة والتنزه فوق التلال والمرح واللعب في كل مكان. ثق بهم. لا تنظر إلى قدميك لترى إن كنت تؤدي الخطوات بشكل صحيح. ارقص وحسب.

لن تستعيد حدسك إلا عندما تفسح المجال له، وعندما توقف ثرثرة تفكيرك العقلاني. التفكير العقلاني لا يُنعشك. أنت تفترض أنه يعطيك الحقيقة لأن التفكير العقلاني هو العجل الذهبي الذي تعبده هذه الثقافة، لكن هذا ليس صحيحاً. العقلانية تقيّد الكثير مما هو غني ومثير ورائع.

يحتاج الحدس أحياناً إلى الإقناع اللطيف، لأن الحدس خجول بعض الشيء. لكن إذا حاولت عدم محاصرته في الزحام، فإنه ينبعث غالباً من الروح أو اللاوعي ويصبح عندئذٍ شعلة صغيرة متقطعة. والتي سرعان ما تنطفئ إذا تعرضت للإكراه الشديد والاهتمام الهوسي، أو أنها تحترق بهدوء إذا ما اهتممت بها بتركيز لطيف.

لذا حاول أن تسترخي، وتهدأ، وأن تتنفس، وتصغي. تمعن فيما يجول في رأسك، وإن دققت فسوف ترى ما تبحث عنه من تفاصيل ومسارات للقصة إن لم يكن في التو واللحظة فلاحقاً على الأرجح. إذا توقفت عن التحكم المفرط في عقلك، سينمو لديك حدس بديهي حول ماهية هذه الشخصية أو تلك.

إن إيقاف هذا التحكم صعب للغاية، لكن يمكنك فعل ذلك. إذا سحبت إحدى شخصياتك جزرة نصف مأكولة من جيبها فجأة، دعها. يمكنك أن تسأل نفسك لاحقاً إن كان هذا وارداً. درّب نفسك على سماع هذا الصوت الداخلي الصغير. إن الأقوال الشعبية تقتل حدس معظم الناس. تنتابنا لحظة

من الشعور الحقيقي أو البصيرة الصادقة، وننتهي فجأة باعتماد مقولة شعبية تحكم قبضتها على فحوى البصيرة كنوع من غسيل الدماغ. قد يكون الحدس حقيقياً وناضجاً وجديداً وغنياً بالاحتمالات، في حين أن القول الشعبي كليشيهات مكررة قديمة ومحدودة بذاتها.

اتخذ موقفاً يبيّن أن ما تفكر فيه وتشعر به ثمين وقيّم، ثم كن ساذجاً بما يكفي لتدوينه كاملاً على الورق. لكن انتبه: إذا أشار حدسك إلى أن قصتك سيئة، فتأكد من أنه حقاً حدسك وليس حدس والدتك. إذ قد تفكر فجأة: «إنني أرى هذه الشخصية في بدلة شاركسكين أرجوانية اللون»، فيصدح صوت الأم القلقة قائلاً: «لا، لا، دعه يرتدي شيئاً لائقاً». إذا أصغيت لكلام الأم القلقة، فسوف تغط في النوم قريباً وكذلك القارئ. إن حدسك يأخذك في رحلة أكثر وحشية وعفوية؛ وقد يظهر لك ما يمكن أن يقفز فجأة من وراء تلك الأشجار هناك. لن تتعرض دائماً لتلك الدهشة الصافية: «آها! بدلة شاركسكين أرجوانية!» بل ستسمع في كثير من الأحيان صوت التذمر يأتيك من تحت الأرض. قد يبدو كأنه صوت واحد من بين العديد من الأصوات المنفصلة التي تشكل معاً صوت خرير الجدول. أو قد يأتي على هيئة رمز، منحرفٍ ومستتر، يزحف متسللاً من بين الزوايا. إذا سلطت عليه الكثير من الضوء، فقد يتراجع ويتلاشى.

أعتقد أن الخطوة الرئيسية في تعلم الاعتماد على حدسك هو العثور على استعارة مقبولة تنطبق عليه. البروكلي استعارة سخيفة للغاية لدرجة أنها نجحت معي. يقول أحد الأصدقاء أن حدسه هو حيوانه، فيقول: «حيواني يفكر في ذلك»، أو «حيواني يكره ذلك». ولكن مهما يكن ما توصلت إليه فإنه يحتاج إلى افتراض وجود صوت لا تحاول التحكم فيه. إن تهت في الغابة، دع الحصان يجد الطريق إلى المنزل. يجب أن تتوقف عن الإمساك بدفة القيادة،

لأنك لن تعيق طريق أحدٍ سواك.

إن الكتابة نوعٌ من التنويم المغناطيسي للعقل يجعلك تؤمن بنفسك وتتمكن من إنجاز بعض الأعمال، ومن ثم تصحو من التنويم وتتصفح النص ببرود. ستكون هناك أخطاء كثيرة بالطبع، وعليك حذف أشياء كثيرة وإضافة أخرى. وعليك أن تعلم أنك لن تتخذ القرار الصحيح دائماً. يقول صديقي تيري: «عندما تضطر إلى اتخاذ قرار يخص عملك أو غير ذلك، ولا تعرف ماذا تفعل، افعل شيئاً ما أياً يكن، لأن أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أنك ستكون قد ارتكبت خطأً فادحاً». لذا دع الحبكة تذهب يساراً في هذا الموضع بدلاً من الاتجاه يميناً، أو دع شخصيتك تقرر العودة إلى زوجها البغيض العدواني. ربما كان ذلك هو القرار الصحيح، وربما لا. إن لم يكن كذلك، فارجع وجرب شيئاً آخر. يميل البعض منا إلى الاعتقاد بأن ما نفعله ونقوله ونقرره ونكتبه يعدّ أمراً حاسماً لهذا الكون. لكنه ليس كذلك. إن كنت لا تعرف أي الطرق تسلك، فاختر أبسطها. استمع إلى البروكلي في طبقك. ربما يعرف ما عليك فعله. ومن ثمّ، إذا عملت بحسن نية لبضع ساعات ولم تتمكن رغم ذلك من سماع صوته اليوم، فاخرج لتناول الغداء.

محطة إذاعة الهراء

أقدم لك هنا إذاعة الهراء، أو K-Fucked. والتي تعدّ ربما العقبة الأكبر التي تواجه الكاتب وتعيق الاستماع إلى صوت البروكلي. وأعدك أنني لن أتطرق إلى ذكرها مرة أخرى.

إن لم تكن حذراً، فإن محطة الهراء ستصدح في رأسك أربع وعشرين ساعة في اليوم، دون توقف، مثل ستيريو. من مكبر الصوت الأيمن في أذنك الداخلية سيأتي تيار جارف لا نهاية له من التعظيم الذاتي، سرد وافٍ يصف تفرّد المرء ومدى الانفتاح الذي يتمتع به إلى جانب الموهبة والذكاء والمعرفة والتواضع الذي يساء فهمه غالباً. وينساب من مكبر الصوت الأيسر أغاني الراب حول كره الذات، وقوائم بكل الأشياء التي لا يقوم بها المرء بشكل صائب، وجميع الأخطاء التي ارتكبها اليوم وعلى مدى حياته بأكملها، وحول الشك، والتأكيد المطلق على أن كل ما يلمسه يتحول إلى هراء، وعن فشله في بناء العلاقات، وعجزه عن الحب، وأنه بلا موهبة أو بصيرة، وغير ذلك الكثير. وقد تصدح أيضاً موسيقى الهيفي ميتال عبر سماعات الرأس أثناء محاولتك إنجاز عملك. عليك أن تجعل الأمور هادئة في رأسك حتى تتمكن من سماع شخصياتك والسماح لهم بتوجيه مسارات قصتك.

أفضل طريقة للحصول على الهدوء، بخلاف الجمع بين العلاج المكثف بعقار البروزاك واستئصال الفص الجبهي؛ أولاً الانتباه إلى أن الإذاعة تعمل. إذاعة الهراء تبدأ كل صباح عندما أجلس إلى مكتبي. لذا، أجلس لبرهةٍ ثم

أردد دعاءً صغيراً: «ساعدني أرجوك يا إلهي كي يصمت المذياع حتى أتمكن من كتابة ما أتوق إلى كتابته». تنجح هذه الطقوس أحياناً في تهدئة تلك الضوضاء. جرّبها. قد تساعد العديد من الأشياء في نجاح ذلك: عبادةٌ، على سبيل المثال، أو شموع نذرية، أو لطخات المريمية، أو التضحية بحيوانات صغيرة، خاصة الآن بعد أن أقرتها المحكمة العليا. (لقد قطعت العنوان في اليوم الذي ظهر فيه هذا الخبر في الصحف وألصقته فوق طبق الماء الخاص بهرتي). إن الطقوس إشارة جيدة لعقلك اللاواعي بأن الوقت قد حان لبدء العمل.

قد تفكر أيضاً في محاولة التنفس. هذا ليس شيئاً أتذكر القيام به كثيراً، ولا أحب عادةً التواجد بالقرب من الأشخاص الذين يتحدثون عن التنفس الواعي البطيء؛ إذ سرعان ما أشعر بالقلق من أن نقاشاً طويلاً لطيفاً حول العلاج بالعطور بات قاب قوسين أو أدنى. لكن هذا التنفس البطيء الواعي له غاية ترجى، لأنك إذا حاولت مراقبة أنفاسك لفترة من الوقت، فسوف تدخل تلقائياً في حالةٍ من الصمت النسبي.

وهكذا، تجلس للعمل في التاسعة صباحاً، وتقوم بالصلاة أو التضحية بالحيوانات الصغيرة أو أي شيء آخر، ثم تتنفس لبرهة، وتحاول التركيز على مكان وجود شخصياتك، لتكتشف حينئذٍ أن عقلك قد بدأ يهيم قليلاً.

تجد نفسك مراتٍ تتساءل عن الأداء الشنيع لكاتب تعرفه، لماذا يحقق نتائج أفضل منك، وكيف سيكون الحال لو كنت ضيفاً في برنامج ديفيد ليترمان، وما إذا كان سيسخر منك أو يضحك على كل نكاتك ويسمح لك بأن تكون أفضل صديق له، وماذا ستأكل على الغداء، وما شعورك لو احترق شعرك أو أن يقوم شخص ما - مثل الناقد أو غيره - بغرز جسم حاد في عينك. لا تقلق. أعد عقلك برفق إلى عملك.

لنفترض أن أحد شخوصك يجلس مع ابنه البالغ تحت شجرة سرو بجانب هضبة بلون فرو الأسد، ويناقش بأعلى صوت ممكن لحظات البهجة القليلة في حياته، وكل ما ستفعله هذا الصباح هو التحديق به والإصغاء إليه، وربما اكتشاف معنى بعض تلك اللحظات. بعد مضيّ دقيقة من الوقت، ترى الرجل في الفناء الخلفي الأخضر لشخص ما في وقت ليس بالبعيد، يلعب البينج بونج مع رجل هيبّي أصغر منه سناً. لا يتنافسان بل يستمتعان بتبادل الكرة ما بينهما. وتبدأ في تدوين المشهد هذا على الورق ولكن ما أن تكتب جملتين حتى ينتابك قلق عارم بشأن وقوع انهيار مالي شامل، وكيف يبدو الأمر لو اضطررت للعيش في سيارة، ثم تتصل والدتك بفرح لتخبرك أن شيئاً رائعاً حدث للتو لشخصٍ كان لئيماً معك في الصف الثامن. تضع سماعة الهاتف وقد أصبح عقلك كدماغ ضفدع أغرقه العلماء بالكافيين. قد تحتاج دقيقة أخرى لاستحضار لحظة الرجل في ذلك الفناء الخلفي العشبي. أغمض عينيك. تنفس. وابدأ من جديد.

أنا آسفة، أتمنى لو كان ثمة طريقة أكثر دقة ووضوحاً لعلاج ذلك، لكن يبدو أن هذا هو الحل الوحيد. صدقني، أنا أكره الحلول الطبيعية، أو على الأقل هي آخر الحلول التي ألجأ إليها.

أتيت إلى الفصل قبل ليلتين وأنا في حالة يرثى لها بسبب التهاب في الصدر واحتقان مزعج في الحلق من النوع الذي يشبه سرطان القصبة الهوائية. وصدف وجود طبيبين في هذا الفصل، حاول أحدهما أن يؤكد لي أنه لم يكن ورماً في القصبة الهوائية، بل تلك في الواقع موجة عدوى فيروسية تنتشر منتصف الخريف وأن العديد من الناس يعانون من أعراض مماثلة. بينما أوصى الطبيب الآخر بشرب الماء الساخن جداً. «الماء الساخن؟» قلت. «ماء ساخن؟ يجب أن أكون مستلقية في المنزل أخضع لحقنة قطنية وأتناول

شراب الكودايين للسعال، وأنت تصف لي الماء الساخن؟» وهددته بتخفيض درجاته. (هذه ليست ورشة عمل ذات درجات بالطبع، لذلك يميل طلابي إلى تحريك أعينهم ساخرين حين أهددهم). أحضر لي ذلك الطبيب في الاستراحة كوباً من الماء المغلي، كما لو كان لصنع الشاي ولكن دون كيس الشاي، وشربته. توقف حلقي وصدري عن الألم بعد حوالي عشرين ثانية.

كم أكره هذا.

إن التنفس بهدوء على أية حال يمكن أن يساعدك في تبني موقف معين يمكن فيه سماع أفكار شخصياتك، ويمكن أن يطغى صوت الأشياء التي يقولها الشخوص في شوارع قصتك فوق صوت إذاعة الهراء. ستعرف ما أعنيه عندما تكون في هذا الموقف. أنا أكبح نفسي بشدة كي لا استخدم كلمة «مواءمة» هنا. لذا دعني أخبرك قصة سريعة.

تلقيت في الصيف الماضي مكالمة من منتجة في نيويورك طلبت مني أن أسافر شرقاً بعد يومين، وأقضي ليلة في المدينة لأشارك في برنامجها الحواري التلفزيوني ثم أعود إلى المنزل. فكرت طويلاً وجدّياً بالردّ - لحوالي ثلاثين ثانية تقريباً. لقد رغبت بالذهاب بالطبع! لكن كان عليّ إجراء ترتيبات لأجل بقاء سام عند جدّيه تلك الليلة، وأن أحجز رحلة العودة في الوقت المناسب للحاق بحصة ورشة الكتابة في الليلة التالية، والرحلة الوحيدة الملائمة تتضمن محطة توقف في دالاس فورت وورث. والتوقف في دالاس - فورت وورث هو شيء لا أتوق إليه البتة صدقني. لذا شاركت كل هذه الهموم مع المنتجة وانطلقت لحضور اجتماع لجنة يعقد في الكنيسة.

كنت مشتتة الذهن. وتصدح إذاعة الهراء من مكبر الصوت الأيمن في بروفة لبرنامج حواري تلفزيوني والظهور اللاحق مع ديف وأرسينيو. ويصدح من مكبر الصوت الأيسر برنامج شهادات بشأن حوادث تحطّم

الطائرات، مع وصف لما يحدث للجسم عند الاصطدام.

وصلت إلى الكنيسة ولم تكن لجنتي قد اجتمعت بعد، لكن أربعة من كبار الكنيسة - جميعهم من النساء - ثلاث سيدات من أصل أفريقي وسيدة بيضاء، كن يحضرن اجتماعاً للصلاة. كانوا يصلون لأجل الأطفال المشردين. سألتهن: «هل يمكننا مناقشة مشاكلي الشخصية للحظة؟».

هززن رؤوسهن إيجاباً فحدثتهن عن مخاوفي من شركة الطيران وكثرة التعقيد المصاحب لهذه الرحلة شرقاً. هززن رؤوسهن ثانيةً. بدا أنهن يعتقدن بوجود واسطة بين يسوع ووكيل السفر من شأنها حلّ الأمور. تنفست الصعداء. بدأ اجتماعي في الغرفة الأخرى، فاتجهت إليه. كانت صور البرنامج الحواري تغزل في رأسي، وأفكار عن تحطم الطائرة، والمجنون المسلح في دالاس - فورت وورث. واجهت بعض الصعوبة في التركيز. انتهى الاجتماع، وفي طريقي للخروج لفت انتباهي كتاب صغير عن الصلاة. وضعته في حقيبتي على أمل أن أتمكن من الاطلاع عليه بعد العشاء ثم إعادته يوم الأحد التالي.

على طول الطريق إلى المطعم القريب، كنت أصارع القلق خشية أن أتعرض لحادث سيارة فيجدوا هذا الكتاب فوق جثتي. وسيدرك الناجون أنني انحرفت أخيراً، وأنني أصبحت من ضمن هؤلاء الأصوليين الذين يعتقدون أن العالم سينتهي غداً مباشرةً بعد الغداء. لكنني نجحت في الوصول إلى المطعم في نهاية المطاف. وأخرجت الكتاب الصغير ما أن جلست. فتحته قبل أن أخرجه تماماً من حقيبتي حتى لا يظهر الغلاف، كما لو كان غلافاً لأقبح عناوين المواد الإباحية، من قبيل «المؤخرات الجميلة الكبيرة» أو ما إلى ذلك. رحت أقرأ، ووجدت في إحدى الصفحات هذا المقطع الجميل: «سوف يتدفق تيار الخليج من خلال قشةٍ شرط أن تضع القشة بموازاة التيار

لا متقاطعةً معه».

في نهاية هذه القصة الطويلة، سافرت إلى نيويورك وسار كل شيء على ما يرام. لم أكن مضطرَّة للتوقف في دالاس فورت وورث، وقد عدت إلى المنزل في الوقت المناسب للحاق بحصتي التدريسية. لذلك أحرص على أن أخبر طلابي دائماً عن تيار الخليج وأن ما يعنيه لنا، نحن الكتاب، هو أننا بحاجة إلى مواءمة أنفسنا مع تدفق نهر القصة، ونهر اللاوعي، والذاكرة والإحساس، ونهر حياة شخصياتنا ويمكن لها أن تجري حينها من خلالنا، نحن القشة. عندما يصدح مذياع الهراء، نكون في وضع متقاطع مع تدفق النهر. ولهذا السبب نحتاج إلى الجلوس قليلاً والتنفس والاسترخاء، ثم نشمر عن سواعدنا ونبدأ من جديد.

الغيرة

إنّ السيطرة على صوت الغيرة من بين كل الأصوات التي تضج في رأسك عبر مذياع الهراء، هو الأصعب. فالغيرة هجوم مباشر على أي قدرٍ من الثقة كنت قد نجحت في حشده. ولكن إذا واصلت الكتابة، فربما يتعين عليك التعامل معها، لأن بعض النجاحات الرائعة والمذهلة ستحدث لبعض من أكثر الكتّاب فظاعة وغضباً وغير المستحقين الذين تعرفهم - وأقصد هنا أشخاصاً آخرين وليس أنت.

سيحدث هذا لأن عقلية القطيع العام لا تتأثر بالسحر الذي يحدث عندما يعمل كل من العقل والقلب والإلهام واليد والورق معاً. بل تسترشد بالبرامج الحوارية ومنتجي الأفلام والإعلانات التلفزيونية. ورغم ذلك، أراك ترغب في أن يركض قطيع الوعل نحوك مراتٍ كثيرة. معظمنا يرغب بهذا سراً. لكن القطيع قد يفضل حشو نفسه بالأشنات ثم يتمايل متبختراً خلف بعض الكتاب التافهين حقاً عوضاً عن ذلك. سيحظى هؤلاء الكتّاب بمكانةٍ ضمن قائمة أفضل الكتب مبيعاً، ومبيعات الأفلام، ومبالغ طائلة، وصور لامعة كبيرة لطيفة على أغلفة المجلات المحلية حيث يقوم محررو الصور بإزالة الأنياب الطويلة جداً والتجاعيد والقرون. والكاتب الذي يعجبك أكثر من أي شخص في العالم سيقدم لهم تقييمات غنية بالإطراء والمديح تنشر في صحيفة التايمز أو تعليقاً مبالغاً به على ظهر غلاف الطبعة الورقية. سيبتاعون بيوتاً، بيوتاً كبيرة أو بيوتاً أخرى تبدو في الواقع جميلة

أو أجمل حتى من البيوت الأولى. وسترغب في رمي نفسك أسفل الدرج الخلفي، خاصة إذا كان هذا الشخص صديقاً.

سوف تشعر بانزعاج تعجز عن وصفه الكلمات. وتعيش أياماً مريرة تبغض فيها الجميع وتفقد إيمانك بكل شيء. إن كنت تعرف الكاتبة التي حظيت بكل ذلك الاحتفاء، فسوف تقول لك حتماً أن دورك حتماً هو التالي، وهو ما تقوله العروس دوماً في كل حفل زفاف، في حين أنكِ تكبرين وتزدادين هرماً. يمكن لهذا أن يعيث خراباً في تقديرك لذاتك لتجد أنك تأمل حدوث أشياء سيئة صغيرة لهذه الصديقة، كأن ينفجر رأسها - على سبيل المثال. أو أن يستيقظ صديقك ذات صباح مع ألم في البروستات، لأنه بغض النظر عن مدى ثراء الشخص ونجاحه، إذا استيقظت مضطراً إلى الاتصال بطبيبه وطلبِ تدليك الأصابع، فسيكون يومه هذا متعباً. ستحاصرك هذه الأوهام كلها لأنك تشعر، مرة أخرى، كالطفل أمام واجهة متجر الحلوى، وتعتقد أن هذا الصديق، هذا الصديق الذي تكرهه الآن، قد حاز على كل الحلوى. وتظنّ أن النجاح يجلب لهذه الصديقة متعةً وصفاءً وأماناً لا حدود له وأن أيامها أكثر يسراً. ستعيش صديقتك حتى تبلغ مئة وعشرين عاماً، ولن تموت أبداً - الأشخاص الذين يموتون هم الأشخاص الطيبون، مثلك. ولكن هذا غير صحيح. لن يضمن المال لهؤلاء الكتاب الوفرة من أي شيء، باستثناء أن لديهم الآن الكثير من المشاكل باهظة الثمن. لقد ازداد الضغط على حياتهم في الواقع على عكس ما تظن.

تظن أن حالهم حسن ورائع. أن أعاني من شدة الضغط؛ تلك هي المشاكل التي أريدها.

أترغب بذلك حقاً؟

نعم. أرغب بشدة.

لكننا نجد أن بعض الأشخاص الأكثر وحدةً وبؤساً وعصبية ودناءة الذين عرفناهم يوماً أصبحوا الأكثر نجاحاً في العالم.

صحيح - لكن الأمر سيكون مختلفاً بالنسبة لي. لن أنخدع بالقصاصات الصحفية التي تتحدث عني. لن أذكر إنجازاتي طوال الوقت. لن أقول أشياء مثل «يا فتى، هل تعتقد أنها ستمطر بغزارة اليوم؟ أتذكر ذلك اليوم - أعتقد أنه كان في العام الذي حصلت فيه على غوغنهايم - لقد أمطرت بشدة فعلاً». لن تفعل ذلك أبداً، على عكس الأشخاص الآخرين الذين تعرفهم جيداً.

كم هذا لطيف. كل هذا سيحدث لشخص آخر على أي حال. كن على ثقة من ذلك. الغيرة من المخاطر المهنية التي ترافق عملك ككاتب، وأكثرها مذلّةً. وأنا، ليونا هيلمسلي الغيرة [سيدة أعمال أمريكية لامعة لقّبت بملكة الخسّة]، توصلتُ إلى اعتقادٍ بأن الأشياء الوحيدة التي تساعد في تخفيفها أو تغييرها هي

(أ) التقدم في السن، (ب) التحدث عنها حتى تزول الحمى، (ج) استخدامها كمادة للكتابة. ولاحقاً سيتمكن شخص ما في مكانٍ ما من جعلك تنفجر ضاحكاً منها، وعندئذ ستعود إلى رشدك آمناً.

لقد صارعت نوبة غيرة مريعة للغاية العام الماضي، حينما حققت صديقة مقربة (أو بالأحرى كانت مقربة) نجاحاً منقطع النظير. بدا الأمر وكأنها كانت تحظى كل بضعة أيام بالمزيد من الأخبار السارة حول مدى نجاح كتابها، حتى بدا أنها ستفوز بالجائزة الكبرى مدى الحياة. كان الأمر أشبه بدوامة تدور بي دون توقف. أنا أفضل منها ككاتبة. يعمل الكثير من أصدقائي الكتّاب بشكل جيد جداً، بل جيد للغاية، ولا أشعر بالغيرة منهم. لا أعرف سبب ذلك، لكنه صحيح. ولكن عندما نجحت هي بالذات كنت أصغي إليها عبر الهاتف وهي تناقش آخر نجاحاتها، وأتضرع إلى الله كي

أتمكن من إنهاء المكالمة قبل أن أبدأ بالنباح. كان التعاسة تفيض مني حرفياً، مثلما يفيض مستنقع.

أؤمن بشدة أن العيش كما لو كنا نحتضر يمكن أن يحررنا. إذ نتعلم من المحتضرين أن نولي اهتماماً أكبر لما حولنا وأن نسامح وألا نقلق حيال الأشياء الصغيرة التافهة. لذلك في كل مرة تتصل فيها هذه الصديقة، كنت أحاول أن أسامح كلانا. تعرفت خلال ذلك الصيف على سيدة من الجنوب وكانت دائماً تهتف: «أليس هذا رائعاً؟» - لكنها كان تلفظ كلمة رائع (great) وكأنها تقول لامع (bright). لذلك عندما كانت صديقتي تتصل لتطلعني على آخر أخبارها السعيدة، والتي تستعرضها بتواضع دائماً كما تستعرض ملكة جمال أمريكا التي ولدت مسيحيةً من جديد، كنت أجمع بين اللفظين وأقول: «أليس هذا «gright»، أليس كذلك؟ [ليصبح القصد مروعاً بدلاً من رائعاً] أليس هذا «gright؟»

وكانت تجيب: «أنت داعمة للغاية. على عكس بعض أصدقائي الذين يواجهون مشكلة مع نجاحي».

فأقول: «كيف لي ألا أكون داعمَة؟ إن الأمر مروع (gright) للغاية».

وكم وددت أن أسألها: «هل يمكنني الحصول على أسماء وأرقام بعض أصدقائك؟»

كنت أغلق الهاتف في بعض الأحيان وأنفجر في البكاء.

ولكن قررت لاحقاً أن أطلب المساعدة من بعض الأشخاص.

ذكرني أحدهم بما كتبه جان ريس ذات مرة، وهو أن جميعنا نحن الكتّاب نشبه أنهاراً صغيرةً تصبّ في بحيرة واحدة، وأن ما يعدّ جيداً لفردٍ واحد لا بدّ أنه جيد للجميع، وأننا جميعاً نتشارك نجاح وتألق بعضنا البعض. قلت

لنفسي: «أنتِ شخص حانقٌ جداً جداً».

تقول معالجتي النفسية إن الغيرة عاطفة ثانوية تولد من رحم الشعور بالإقصاء والحرمان، وأنني إذا نجحت في القضاء على تلك المشاعر القديمة، فمن المحتمل أن أقضي على الغيرة. حاولت أن أجعلها تصف لي دواء بروزاك، لكنها قالت إن تلك الكاتبة الأخرى وجدت في حياتي لمساعدتي على الشفاء من ماضيّ التعيس. قالت إن هذه الكاتبة ساعدت في إثارة الشعور الذي هددني طوال العمر بأن العائلات الأخرى كانت أكثر سعادة من عائلاتنا، وأن العائلات الأخرى لديها دليل المستخدم الذي تسير وفق توجيهاته. وأكدت مرة أخرى أن مشكلتي تكمن في مقارنة دواخلي العميقة مع المظاهر الخارجية التي يبديها الآخرون. وطلبت مني أن أمضي قدماً وأن أدرك كنه مشاعري. وقد فعلت. وكانت مقرفة.

كانت صديقتي الكاتبة الذي شعرت بالغيرة منها، تتصل بي وتقول كحسناء جنوبية: «لا أعرف لماذا يمنحني الله الكثير من المال هذا العام». وكنت أقوم بحركتي الوقائية على الفور، وأقول: «أليس هذا مروعاً gright؟» لم أشعر قط بأنني فاشلة إلى هذه الدرجة في حياتي.

اتصلت بكاتب حكيم للغاية أعرفه كان يعمل في منظمة مدمني الكحول المجهولين Alcoholics Anonymous لسنوات، ويقضي نصف وقته في مساعدة الآخرين على استعادة رشدهم. سألته ما الذي ينصح به الوافد الجديد الذي يعاني من مخاض الجنون أو من الغيرة بمعنى آخر.

فأجاب: «إنني أصغي وحسب». «إذ إن جميعهم يروون لي تلك القصص الطويلة المعقدة ذات الأهمية الذاتية. فأردد حينها شيئاً من بين ثلاثة: «آها» أو «هممم» أو «إنه أمر مؤسفٌ للغاية».» فضحكتُ. ثم رحت أخبره عن تلك الصديقة الفظيعة التي كان تحقق نجاحاً باهراً. ظلّ صامتاً لبرهة. ثم

قال: «آها».

تحدثت لاحقاً إلى صديقي القسّ الكاثوليكي المثلي الذي يعاني من زيادة ضئيلة في الوزن. سألته: «هل تشعر بالغيرة؟»

قال: «عندما أرى رجلاً في مثل عمري يتمتع بجسد رائع، أشعر بأنني متناقض، أتمنى من جهةٍ لو كنت نحيلاً مثله وأرغب في احتضانه في الوقت نفسه، هل هذه غيرة أم تقدير؟»

كان من الصعب أن تجد شخصاً يقول أي شيء من شأنه أن يجعل الغيرة تختفي أو تتحول إلى شيء آخر. شعرت كأنني الأخت الشريرة غير الشقيقة في قصة خيالية. أخبرت صديقة أخرى، فقرأت لي بعض السطور من نصٍّ لشعب لاكوتا سيوكس: «أحياناً أشفق على نفسي. وطوال الوقت كانت تحملني الرياح العاتية عبر السماء». قلت هذا جميل جداً. وأنا مريضة عقلياً جداً.

لكن هذه السطور كانت الخطوة الأولى نحو بداية الحل. لقد أحدثت أول صدعٍ صغيرٍ في جدار سجني. كنت أنتظر نوعاً من الحلول حيث يهبط الله إليك ويلمسك بعصاه السحرية وفجأة تصبح سليماً من كل علّة، يصلح أعطالك كما لو كنت فرناً معطلاً. ليت الأمور تجري على هذا النحو. لكنني رحت أشعر بتحسن ضئيل بمقدار أنجستروم واحد يوماً بعد يوم.

جاء جزء آخر من الحل عندما ظهرت قصيدة لكلايف جيمس، بعنوان «بِيعَ كتاب عدوّي بسعرٍ مخفّض»، في أحد أيام الأحد في صفحة مراجعات الكتب في صحيفة نيويورك تايمز. تبدأ القصيدة بعبارة: «بِيع كتاب عدوي بسعرٍ مخفّض، وأنا مسرور». لقد ساعدتني أكثر مما يمكن أن تعبّر عنه الكلمات. أوه، يا لها من راحة مباركة أن أجد شخصاً غيوراً وحاقداً مثلي وأن

يجعل هذه المشاعر فكاهةً مضحكة. اتصلت بكل من طلبت نصيحته وقرأت القصيدة لهم. هلل الجميع شاكرين.

ظهر جزء آخر من الحل عندما قالت صديقتي جودي أن المشكلة كانت في محاولتي كبح جماح الغيرة والتنافسية، في حين أن الأمر الرئيسي هو عدم السماح للغيرة بتغذية كراهية الذات. وقالت إن محاولتي الشعور بالسعادة لأجل تلك الكاتبة كانت ضرباً من الجنون. لا أستطيع ان اقول لكم كم ساعدني هذا. لقد نشأت في بيئة تروج لهذه التنافسية، وهذا النهم، وهذا الخيال المتمثل في الحاجة إلى ربح مئات الآلاف من الدولارات سنوياً، ومن ثم، في لمح البصر، ينتابنا الخجل من أي مشاعر لهفةٍ أو حسد أو خوف من أن يكون ذلك دائماً من نصيب شخص آخر. كنت أفعل فقط ما كنت مهيأة أساساً للقيام به.

وهكذا بدأت في استعادة روح الدعابة لدي. رحت أقول لنفسي إن كنت تريدين أن تعرفي كيف تشعر الآلهة حيال المال، انظري إلى من تهبه إياه. لقد شجعني هذا إلى ما لا نهاية، على الرغم من أن أصدقائي المقربين لديهم الكثير من المال.

قلت لنفسي أنه عبر التاريخ عندما يحقق الناس نجاحاً كبيراً وسريعاً جداً، فإن مأساة يونانية على وشك الحدوث لهم. أنا، التي لم أبلي بلاءً حسناً بسرعة كبيرة والذي لم يكن في الواقع أمراً جيداً مع مرور الوقت، كنت في الواقع في موضعٍ أحسد عليه. لم أكن لأصبح البطلة المغرورة في دراما غطرسة قبيحة. وهذا ما لا ينبغي الاستهانة به. أعصابي تالفة أساساً؛ وآخر ما أحتاجه هو انقضاض الرعد والصرخات الصامتة مع الصنوج والأنياب والرياح العاتية التي تثير الحرائق في أصقاع غابات الأرض؛ أعني، من يحتاج لكل هذا؟

ثم بدأت أكتب عن غيرتي. كان علي أن أمعن النظر في بعض الزوايا المظلمة الباردة، وأرى ما يكمن هناك، وأسلط القليل من الضوء على الأشياء المشتركة بيننا جميعاً. في بعض الأحيان تكون هذه الأشياء البشرية جوفاء ومثيرة للشفقة - كالغيرة على وجه الخصوص - ولكن من الأفضل أن تشعر بها وأن تتحدث عنها وتخوض فيها بدلاً من قضاء حياتك تعاني من سمومها في صمت.

وأخيراً شعرت أنني أحرز بعض التقدم، بعد كل تلك الأسابيع من السباحة العاطفية في القناة الإنجليزية، باردة وخائفة. ثم شاهدت فيلماً وثائقياً على شاشة التلفزيون عن زوجين مصابين بالإيدز. حينئذٍ شعرت أن كل أجزاء الحل اجتمعت معاً أخيراً.

عرض الفيلم الكثير من اللقطات لأجساد متضررة للغاية، تلك الأجساد التي عادة ما نشعر بالتقزز حين نراها. كان لأحد الزوجين ظهر هزيل أرجواني بالكامل نتيجة انتشار ورم كابوسي Kaposi. ولكن بمجرد أن يتعرف المشاهد على روح الرجل من الداخل، يصبح بإمكانه رؤية جمال ذلك المريض الراقد تحت أكوام الأغطية التي صنعها الأصدقاء. يمكنك أن تشهد الصبر المذهل للأشخاص الذين يعانون من كل ذلك الرعب بهدوء وقناعة، ينظرون إلى الهوة مباشرة ويدركون أن هذا كل ما لديهم، هذا المرض، أو ربما حتى هذه الغيرة. لذلك عليك أن تتقبله قدر ما تستطيع. وهذا الجسد المنهك أو النفس المتألمة يمكن ويجب أن يعتنى بها بأقصى قدر ممكن من الرقة والحنان.

كلما كتبت عن ذلك أكثر، وكلما فكرت في الفيلم، تفاقم غضبي من عدد المرات التي تحدثت فيها تلك الصديقة الكاتبة عن ثروتها، ففي ذلك الصيف لم نملك أنا وسام أي شيء تقريباً، وكانت تعرف ذلك جيداً. رحت

أكتب عن طفولتي، وعن عدد المرات التي كنت أتوق فيها إلى اقتناء ما تملكه الفتيات الأخريات وما تبدو عليه العائلات الأخرى. علقت بجوار مكتبي لوحة كتب عليها عبارة هيلل: «أصحو. أمشي. أسقط. في غضون كل ذلك، أواصل الرقص». وطريقتي في الرقص هي الكتابة. لقد كتبت عن محاولة إيلاء اهتمام أكبر للعالم، وعن التعامل مع الأمور بجدية أقل، والتحرك ببطء أكبر، والخروج إلى الهواء الطلق أكثر. وفي نهاية المطاف، أصبح ما أكتبه أكثر مرحاً وشق التعاطف طريقه إلى قلبي وأيضاً إلى قلب صديقتي الكاتبة. وفي تلك المرحلة أخبرتها، بأكبر قدر من اللطف، أنني بحاجة إلى إجازة من صداقتنا. فالحياة قصيرة جداً. لقد شعرت أخيراً أنني وغيرتي جميلان بشكل غريب، مثل أولئك الرجال في فيلم الإيدز، نقوم برقصة تغيير الذات، نرقص معاً مثل طائرٍ عجوزٍ طويل الساقين.

الجزء الثالث

المساعدة على طول الطريق

بطاقات الفهرسة

أغلبُ الظنّ أن هنري جيمس قال جملته الشهيرة: « الكاتب شخص لا يضيع عليه شيء»، بينما كان يبحث عن نظارته، وكانت فوق رأسه. لدينا الكثير لنتذكره هذه الأيام. لذلك نصنع كل هذه القوائم على أمل أن تذكرنا بكل الأشياء المهمة التي يجب فعلها أو شراءها أو إرسالها بالبريد، وجميع المكالمات المهمة التي يجب إجراءها، وكل الأفكار التي لدينا للقصص القصيرة أو المقالات. ولكن بحلول الوقت الذي تنجح فيه في إنجاز بنود أي قائمة، تكون متأخراً للتو عن إنجاز قائمة أخرى. ما زلت أؤمن بوضع القوائم وأؤمن بتدوين الملاحظات، وأؤمن ببطاقات الفهرسة للقيام بكلا الأمرين.

تجد لدي بطاقات فهرسة وأقلام موزعة في جميع أنحاء المنزل؛ بجوار السرير، وفي الحمام، وفي المطبخ، وبجانب الهواتف، وحتى في حجرة القفازات في سيارتي. وأحملها معي في جيبي الخلفي عندما آخذ كلبي في نزهة على الأقدام. في الواقع، أحملها مطويةً بالطول، إن كان يهمك أن تعرف، حتى لا أبدو بدينةً لا سمح الله. قد ترغب في فعل الشيء نفسه. أنا لا أعرفك ولكنني أثق في أنك تحمل من الهموم ما يغنيك عن التفكير فيها إذا كنت تبدو بدينًا أم لا. لذلك عندما أغادر المنزل دون حقيبتي - حيث توجد دفاتر ملاحظات فعلية، ناهيك عن بطاقات الفهرسة - أقوم بطي بطاقة فهرسة بالطول من النصف، وألصقها في جيبي الخلفي مع قلم، ثم أخرج وأنا مطمئنة أنه إذا

خطرت لي فكرة أو رأيت شيئاً جميلاً أو غريباً أو لأي سبب يستحق التذكر، فسوف أكون قادرةً على تدوين بضع كلمات تذكرني به. وفي بعض الأحيان، إذا سمعت أو فكرت في سطر دقيق يناسب الحوار أو المقطع الانتقالي، فإنني أكتبه حرفياً. ثم أعيد البطاقة إلى جيبي. ربما أسير على طول بحيرة راكدة، أو بجوار بحيرة فينيكس، أو في الخط السريع في متجر سيفوي، وفجأة أسمع عبارة رائعةً تجعلني أرغب في الابتسام أو طرقعة أصابعي - كما لو أنها خطرت لي للتو - فأخرج بطاقة الفهرسة من جيبي وأدون العبارة سريعاً.

لدي بطاقة فهرسة بجانبي الآن كتبت عليها «بامي، ديمي مور». هذه الكلمات تلخّص فيلماً كاملاً بالنسبة لي، ويوماً بعينه من أيام العام الماضي، قبل ستة أشهر من وفاة بامي.

كنا نجلس خارجاً في حديقتها. كانت السماء زرقاء صافية وقد أزهر كل شيء حولنا، وارتدت بامي قبعة قطنية بلون الخزامى. شعرت ببعض التحسن ذلك اليوم، إلا أنها كانت تحتضر. (أكد أخصائي الأورام لوالدي ذات مرة أنه: «رجل لم يتجاوز عمره خمسة وخمسين عاماً ويتمتع بصحة جيدة للغاية باستثناء إصابته بسرطان الدماغ».) جلسنا باسترخاء على أرائك مريحة، نرتدي قمصاناً وسراويل قصيرة ونتناول قطع شوكولا الهالوين الصغيرة. كان سام يسحب ريبيكا ابنة بامي البالغة من العمر عامين حول الحديقة في عربة صغيرة حمراء اللون.

قالت بامي: «أشعر أنني مكتئبة قليلًا». وقبل أيامٍ ليست بالبعيدة قالت إن كل ما كان عليها فعله حتى تصاب باكتئاب شديد هو التفكير في ريبيكا، وكل ما كان عليها فعله لتشعر بسعادة شديدة كان التفكير في ريبيكا أيضاً. قالت: «أنا في الحقيقة مكتئبة للغاية».

«لا أدري ما السبب».

«ما الجانب المشرق هنا؟ لا يبدو أنني أذكره اليوم».

«الجانب المشرق هو أنك لن تضطرين إلى رؤية المزيد من الصور العارية لديمي مور أثناء حملها».

نظرت إلي للحظة بإعجاب حقيقي. قالت: «يا إلهي، هذا كثير – لم أفكر في ذلك حتى». وعادت لمرحها مجدداً بقية ذلك اليوم، سعيدة لكونها مع الأطفال ومعي.

لقد كان مشهداً نادراً لدرجة أنك تعتقد أنني سأتذكره إلى الأبد. كنت أعتقد أنه إذا كان ثمة شيء مهم بما فيه الكفاية، فسوف أتذكره حتى أصل إلى المنزل حيث يمكنني ببساطة تدوينه في دفتر ملاحظاتي كأي فرد طبيعي في المجتمع.

لكن هذا ما لا أفعله.

كنت أعود إلى المنزل، وأتذكر أنني قد فكرت أو سمعت الصورة أو الخطوط المثالية لنقل شخصياتي من الحفلة في المنزل القديم على التل إلى يومهم الأول في الوظيفة الجديدة، أو إلى مسرح طفولتهم، أو أي مكان بدا أنهم يعتقدون أنه من المفترض أن يكونوا فيه لاحقاً. كنت أقف هناك أحاول رؤيته، بالطريقة التي تحاول أن تتذكر بها حلماً، حيث تحدق به وتراه واقفاً على طرف لسانك النفسي ولكن لا يمكنك استعادته. اختفت الصورة. ولعلّ من أسوأ المشاعر التي يمكن أن أفكر بها، أن تكون قد مررت بلحظة رائعة أو فكرة أو رؤية أو عبارة، وتعرف أنك مررت بها، لكنك ضيعتها. لذلك، ها أنا الآن أستخدم بطاقات الفهرسة.

من بين الأشياء التي تحدث عندما تمنح لنفسك الأذن بالشروع في الكتابة هو أن تبدأ في التفكير ككاتب. تبدأ في رؤية كل شيء كمادة للكتابة. ستجلس

في بعض الأحيان أو تمشي وتتمحور أفكارك حول جانب واحد من عملك، أو فكرة واحدة عن مشهد صغير، أو لوحة عامة عن إحدى الشخصيات التي تعمل معها، أو أنك ستشعر بحصارٍ ويأس تام وتتساءل لماذا لا تدخل المطبخ وتحضّر كأساً لطيفاً من الشراب الدافئ مباشرة من طبق القط.

وفجأة ودون سابق إنذار تنبثق فكرة أو صورة من العدم. سوف يطفو بعضها في رأسك مثل سمكة ذهبية لطيفة برتقالية وبراقة وخفيفة الوزن، وسوف تتبعها مثل الطفل الذي ينظر إلى حوض سمك كان يعتقد أنه خالٍ من الأسماك. وسرعان ما تنبثق الأفكار الأخرى من الظل مثل بو رادلي ويجعلونك تلتقط أنفاسك أو ترجع خطوة إلى الوراء. غالباً ما تكون هذه الأفكار المفاجئة غنية جداً وواضحة جداً لدرجة أنك تشعر بأنها لا تمحى من الذاكرة. ورغم ذلك أرجو منك أن تدونها في كل الأحوال.

لدي عدد من الأصدقاء الكتاب الذين لا يدونون أي ملاحظات، ويقولون إن الأمر يشبه عدم تدوين الملاحظات في الفصل بل الاكتفاء بالإصغاء عوضاً عن ذلك. أعتقد أنه في حال كنت تمتلك عقلاً قادراً على الاحتفاظ بالأفكار المهمة والإبداعية - أي إن كان عقلك لا يزال قيد العمل - فأنت محظوظ جداً ولا يجب أن تتفاجأ إذا رفض بقيتنا التواجد بالقرب منك. لدي في الواقع صديق كاتب (وأعتقد أنني سأتخلص من صداقته قريباً على الأرجح) قال لي مؤخراً إنك إذا لم تتذكر الأمر حال وصولك إلى المنزل، فمن المحتمل أنه لم يكن بهذه الأهمية. وشعرت أنني رجعت إلى سنّ ثماني سنوات من جديد ولدي شيء مهم لأقوله لكنه قفز هارباً فجأة إلى جحر الأرنب الكامن في ذهني، في حين يقف شخص بالغ بجواري ويقول بغرور: «حسناً! لا بد أنه لم يكن مهماً لهذه الدرجة إذاً».

لذلك عليك أن تقرر ما تشعر به حيال ذلك. ربما تتمتع بذاكرة جيدة تماماً

ويمكنك أن تتذكر بعد ثلاث ساعات ما توصلت إليه أثناء المشي على الجبل أو الانتظار عند طبيب الأسنان. ولكن قد لا تتمتع بتلك الذاكرة أيضاً. عليك بتدوين الملاحظات إن شعرت به أمراً طبيعياً يساعدك على التذكر.

وهذا لا يعتبر غشّاً. ولا يفشي أي سرّ عن شخصيتك. إن عانى عقلك من قلة التنظيم بعض الشيء، فهذا يعني غالباً أنك فقدت السيطرة نوعاً ما. ربما يعود السبب إلى كل تلك الأدوية التي تناولتها عندما كنت أصغر سناً، وكل تلك الماريجوانا غير المسببة للاعتياد التي دخنتها يومياً لمدة عشرين عاماً. أو ربما لأنك أنجبت أطفالاً. عندما يخرج الطفل من جسدكِ، فإنه يصل وخُمس دماغك معلّقٌ بإحكام بيده الصغيرة، مثل الأطفال الذين يولدون وهم يمسكون باللولب. لذا، ولعدد غير محدود من الأسباب، من العدل أن تسمح لنفسك بتدوين الملاحظات.

إن حياة بطاقات فهرستي ليست ممنهجة ولا منظمة. يصر الطلاب العدوانيون المشاكسون على سؤالي عما أفعله بكل بطاقات الفهرسة التي أجمعها. وكل ما يمكنني قوله هو أنني أحضرها ثم أدون الملاحظات عليها، وأنّ كتابة شيء ما عليها يمنحني فرصة عادلة للتمكن لاحقاً من حفظها في ذاكرتي. إن كنت أعمل على كتاب أو مقال، ودوّنت بعض الملاحظات على بطاقات الفهرسة، فإنني أحتفظ بها مع ذلك النص، وأرفقها بمشبك ورقي مع صفحة من المسودة غير المنقحة حيث يمكن لتلك الفكرة أو الصورة أن تنشط الذاكرة حيال بعض الأشياء. أو أقوم بتكديسها على مكتبي مع صفحات الفصل أو المقالة التي أعمل عليها، حتى أتمكن من إلقاء نظرة عليها لاحقاً. عندما أعلق أو أفقد تركيزي أو تبدأ طبول الغابة تقرع في رأسي معلنة استسلامي ولا أعرف ما أفعله وأن البئر قد جف، عندئذٍ سأبحث في بطاقاتي المفهرسة. وأحاول معرفة ما إذا كان ثمة ملاحظة قصيرة في أي

منها تدفعني لمواصلة الكتابة مرة أخرى وتمنحني إحساساً بسيطاً بالثقة، كما تساعدني في اختيار كلمة لعينة تلو الأخرى، وتلك بصراحة أهم سبب للكتابة في نهاية المطاف.

توجد بطاقات فهرسة على مكتبي تحمل ملاحظات عن الأشياء التي فكرت فيها أو رأيتها أو تذكرتها أو سمعتها خلال الأسبوع الماضي أو نحو ذلك. لدي بطاقات فهرسة من قبل عامين تقريباً. ولدي بطاقة فهرسة منذ ست أو سبع سنوات كتبتها عندما كنت أسير على طول بحيرة راكدة بين سوساليتو ووادي ميل. كان راكبو الدراجات يمرون بي على كلا الجانبين، ولم يلفت هذا انتباهي كثيراً إلى أن مرت فجأة امرأة يفوح منها عطر الليمون. وفي جزء من الثانية عدت إلى ومضةٍ من ومضات الذاكرة الشمية البروستية تلك، قبل خمسة وعشرين عاماً أو نحو ذلك، في مطبخ إحدى عماتي وبصحبة العديد من أطفالها وأبناء عمومتي في يوم صيفي حار. كنت الأكبر سناً، في الثامنة أو نحو ذلك، وكان عمي وعمتي قد انفصلا للتو. كانت حزينة وقلقة، وأعتقد أنها حاولت تهدئة نفسها وترميم كبرياءها المجروح، فمارست أسلوب العلاج بالتسوق: ذهبت إلى المتجر وأنفقت بضع دولارات على أداةٍ غريبة لتحضير عصير الليمون.

وغني عن القول بالطبع أن كل ما تحتاجه لتحضير عصير الليمون هو إبريق وعصارة ليمون ومكعبات ثلج وماء وحبات ليمون وسكر. هذا كل ما في الأمر. أوه، وملعقة طويلة بالطبع. لكن عمتي كانت مكتئبة قليلاً، وبدا أن صنع عصير الليمون أمر ممتع لعله يرطب حياتها قليلاً، ويملأ روحها الجافة بعصير الليمون اللطيف المنعش والرائع. تتألف الأداة من إبريق زجاجي، وعصارة ليمون يمكن وضعها في الأعلى ولها خزان لجمع العصير. ما فعلته هو ملء الإبريق بالماء ومكعبات الثلج والسكر، ثم وضع العصارة

مع الخزان المعلق في الأعلى، وعصرت حفنة من حبات الليمون، ثم سكبت عصير الليمون من الخزان المعلق في الإبريق. وأخيراً، تمسك ملعقتك الطويلة وتحرك. يبقى لب الليمون والبذور في قمة العصارة. كان الأمر برمته فعالاً للغاية، ولكن إذا فكرت فيه بإمعان ستجد أنه غبي تماماً أيضاً.

وهكذا احتشدنا هناك حول عمتي في المطبخ، أنا وأبناء عمومتي الخمسة نقف قرب الحوض نراقبها وهي تصنع لنا عصير الليمون بفخر. وضعت الماء البارد في الإبريق وأضافت مكعبات ثلج والكثير من السكر، ثم وضعت غطاء العصارة في الأعلى وعصرت دزينة من ثمار الليمون، ثم أحضرت الأكواب من الخزانة. مهلاً! كنا نحن الأكبر سناً على وشك البكاء فهي لم تسكب عصير الليمون. مهلاً! ثمة خطأ ما هنا! لكنها أحضرت أكواب الهلام، وأكواباً بلاستيكية، وزوجين من أكواب الألمنيوم اللامعة، وسكبت سبع حصص. كنا هناك، ستة من العيال أصحاب الحزام الأسود القلقين، غير قادرين على التنفس، يعترينا توق شديد إلى أن يكون كل شيء على ما يرام وألا تشعر عمتي بالحزن بعد الآن. لقد رفعت كأسها لنا وكأنها تقترح نخباً، فأخذنا جميعاً رشفات من عصير الليمون المثلج، وكانت يدا خالتي مصبوغتان بلون الليمون جراء تقطيع وعصر كل تلك الثمرات. نظرنا إليها جميعاً بلا حول ولا قوة ونحن نشرب الماء المحلى، ثم ابتسمنا ورفعنا أكوابنا كما لو كنا نقوم بتناول المشروبات الغازية، ودفعناها إليها طلباً للمزيد.

لقد تذكرت تماماً، هناك قرب البحيرة الراكدة، المشمع التالف على أرضية مطبخ عمتي ذو اللون البيج الرمادي المرقط باللون الأسود وكيف تلاشى اللون الأسود بالقرب من الحوض، وكيف ظهر الخشب العفن في أكثر الأماكن تلفاً. وكيف وقف كل أبناء العمومة، وبعضهم صغار جداً حتى أنهم اعتقدوا أن الماء المحلى المثلج كان جيداً مثل الحصول عليه، تحلقوا حول

الحوض مع الأطفال الأكبر سناً والتفوا حول عمتي. وكم شعرت بالألفة معهم حينها. وكم كنت جزءاً من ذلك الألم الذي يدور هناك. إنه يمسني في الصميم، بؤس المشمع التالف، وألم عمتي واعتزازها بآلة صنع عصير الليمون، وكل الطرق التي نحاول بها مواساة أنفسنا، ورغبتها في تحضير أفضل عصير ليمون لنا، ورغبتنا نحن بأن تصبح بحال أفضل، والحماس الذي شربنا فيه العصير وأمسكنا أكوابنا طلباً للمزيد، كما لو كنا نرفع أكوابنا في مهرجان أكتوبر. ولم أذكر أياً من هذا خلال خمسة وعشرين عاماً.

ربما لن أستخدمه في أي مكان. كل ما دونته على بطاقة الفهرسة كان: «الشيء الذي يصنع الليمونادة». لكنها مثل مشهد مقتطف من فيلم، مقتطف صغير عن عائلة تتألم، حيث يشيخ الرجل وهو يسعى للبقاء على قيد الحياة، واحدة من تلك اللحظات النادرة عندما تنزف قلوب الناس بفعل خيبة الأمل والحب، ولبضع دقائق، ورغم كل الصعاب، يصبح كل شيء نوعاً ما أسوأ أو أفضل.

في بعض الأحيان، وأثناء قيادة سيارتي، تتشكل في ذهني كل الكلمات المفاجئة وتنجح في حل بعض المشكلات الفنية. ربما كنت أحاول طوال الصباح أن أظهر أن الوقت يمضي مع شخصياتي، دون اللجوء إلى تقنيات الأفلام القديمة حيث تتطاير أوراق التقويم عبر النافذة أو تدور عقارب الساعة بسرعة. هذه التقنيات لا تترجم بشكل جيد عبر الكلمة المكتوبة. إنه شعور رائع عندما تقرأ شيئاً كتبه شخص آخر، وقد نجح الكاتب في إظهار التقدم بالعمر بالتفصيل الصحيح تماماً حتى تدرك أن القصة تنتعش مرة أخرى في وقت لاحق. قد تتغير الفصول أحياناً، أو يلتحق الأطفال بالمدرسة، أو تطول اللحى، أو تشيب الحيوانات الأليفة. لكن تعجز في كتاباتك في بعض الأحيان عن العثور على طريقة لتمرير الوقت بشكل غير

مرئي، ولن يساعدك الجلوس إلى مكتبك والتحديق بمرارة في كلماتك، محاولاً إجبار الحدث على الوقوع. بل على النقيض من ذلك، إنه يظهر فجأة عندما تتصارع مع الكلب أو تدفع فاتورة الكهرباء.

ترفع نظرك وتعرف أن شيئاً ما قادم إليك ويبدو مهماً حقاً، إلا أنك عاجز عن فك رموزه تماماً. يبدو الأمر أشبه بمشاهدة شخص ما على جهاز التنفس الصناعي يصحو شيئاً فشيئاً، مثل سمكة محاصرة، وتبقى مع الشخص، وأحياناً يرمش مستيقظاً. وهكذا، إذا تركت مساحة مفتوحة، فقد تتمكن من التقاط الصورة. ثم، دونّها أرجوك.

لدي هنا بطاقة فهرسة مكتوب عليها، «بعد ست سنوات، استمرت ذكرى مكعبات السمك النيئة تطاردها»، والتي اعتقدت أنها قد تشكل خطاً انتقالياً رائعاً. لكنني لم أجد مكاناً لذلك حتى الآن. يمكنكم استخدامها اذا استطعتم إيجاد مكان له.

وفي النهاية، رميت الكثير من بطاقات الفهرسة، إما لأنني أستخدم ما عليها في فقرة في مكان ما أو لأنه اتضح أن الفكرة لم تكن مثيرة للاهتمام. معظم بطاقات الفهرسة التي أكتب عليها في منتصف الليل تكون غير مترابطة، مثل عالم رياضيات عبقري فوق العادة يفكر في مسائل البرتقال أو الحقيقة بعد تعاطي جرعة من الـ إل إس دي [نوع من المهلوسات القوية]. ويحتوي بعضها على اقتباسات رائعة أشاركها مع طلابي، رغم أنني أنسى غالباً للأسف أن أكتب اسم من اقتبست عنه. مثل هذا الاقتباس، على سبيل المثال: «إن ما بات وراءنا وما ينتظرنا مستقبلاً يعد أمراً صغيراً مقارنة مع ما يكمن في داخلنا». أنا على يقين الآن أن رالف والدو إيمرسون قال هذا، ولكن لحسن حظي، سيشير بعض النقاد إلى أن جورجيت موسباشر هي صاحبة الاقتباس. (من الذي قال: الناقد هو من يأتي إلى ساحة المعركة بعد

انتهاء المعركة ويطلق النار على الجرحى»؟ لقد كتبته على بطاقة فهرسة في مكان ما....) وعاشت معي بطاقات أخرى بشكلٍ أو بآخر ضمن أكوام صغيرة. ربما سيتعين على ابني التصرف بها يوماً ما بعد موتي. إنها تكافئ بالنسبة لي كل تلك القطط التي تمتلكها خالات بوفييه غريبات الأطوار. لكن بطاقاتي لا تصدر عنها رائحة نتنة ولا تنسل بين الأقدام ولا تقضي حاجتها على الأرضيات، وأعتقد أن على سام أن يدرك أن عليه التخلص منها عاجلاً أم آجلاً. فمعظمها لن تحمل طيها أي معنى مجدٍ بالنسبة له. تحمل الكثير منها كلمة ربما أو اثنتين من شأنها أن تذكرني بمشاهد وإمبراطوريات كاملة، لكن سام سيتعين عليه الوقوف أمامها وحك رأسه.

سيجد بعضها مؤرخاً في أوائل التسعينيات، وسوف تتضمن قصصاً كاملة عنه وكيف سَلبَ عقلي، وكيف جعلني أهز رأسي دهشةً وسعادةً. مثل هذه التي تحمل تاريخ 9-17-93:

رافقت بيل وأدير إلى سيارتهما بعد العشاء ومعي سام. كانت ليلة هادئة باردة وسماؤها تزينها النجوم. تنفس بيل نسيم الليل بعمقٍ حاملاً سام بين ذراعيه. «أليست الرائحة رائعة يا سام؟». استنشق سام الهواء بعمق أيضاً كما لو كان يشم رائحة وجبة شهية، نظر إلى السماء وقال: «رائحتها مثل القمر».

لن تضيع هذه الذاكرة الآن. لا أدري إن كنت سأستخدمها في كتاباتي، وربما فعلت ذلك للتو في الواقع، لكنني على يقين أنها لن تضيع.

ولن أنسى كذلك تفاصيل الصباح الباكر الذي قضاه كلانا مؤخراً في غرفة الطوارئ، حيث عانى سام من نوبة الربو الأولى. كنا خائفين وحزينين على حد سواء ولا نفهم تماماً ما الذي يحدث. لكن سام كان موصولاً بجهاز

الرذاذ وثمة قناع على فمه وأنفه، وكنت جالسّة إلى جواره على السرير أتمنى لو خطر في بالي إحضار إحدى ألعابه معي حين غادرنا المنزل. بحثت داخل حقيبتي فوجدت علبة ألوان صغيرة حصلت عليها من إحدى المطاعم واثنتين من بطاقات الفهرسة المستخدمة. سجلت على إحداها قائمة تسوق، وتحتوي الأخرى وصفاً موجزاً للسماء.

رسمت عملاقاً رهيباً على الجانب الفارغ من كل بطاقة. راقبني سام بخوف وهو يستنشق الهواء بصعوبة من قناعه. ثم أحدثت ثقوباً في اليد اليمنى لكل عملاق، وأدخلت خافضات اللسان عبر الثقوب. ثم مثلت مشهد مبارزة بالسيوف بين العملاقين. اتسعت عينا سام وابتسم. بعد فترة طويلة تمكّنَ من التنفس بحرية مرة أخرى، وبات بإمكاننا العودة إلى المنزل حسب إرشادات الطبيب. ولكن قبل أن نفعل ذلك، فككت الاشتباك بين العمالقة، ووضعت البطاقة التي تضم قائمة التسوق في جيبي الخلفي، وكتبت هذه القصة على ظهر الأخرى.

التواصل لاستجرار الأفكار

يوجد الكثير من الأشخاص حولك ممن يرغبون بمشاركتك معلومات لا تقدر بثمن، وكل ما عليك فعله هو رفع سماعة الهاتف. إنهم يحبون أن تفعل ذلك، تماماً كما تحب أن يسأل الناس عما إذا كان بإمكانهم استشارتك بشأن شيء صدف أنك تعرف عنه الكثير - أو، كما في حالتي، لديك عدد من الآراء الملتهبة حياله. لنفترض أنك تعرف الكثير عن ربط عقدة الحبل أو طيور البطريق أو الجبن، ويطلب منك الشخص المناسب أن تخبره كل ما تعرفه. يا لها من تجربة رائعة واستثنائية. ما يحدث في الحياة الواقعية عادةً هو أن يوجه لك الناس أسئلة لا يمكنك تذكر إجابتها، مثل لم جئت إلى المطبخ؟ أو ما الذي حدث في الرابع من يوليو عام 1776، وتحاول أن تتذكر: «يا إلهي، أنا أعرف الجواب؛ إنه على طرف لساني، لنرى - حسناً، مهلاً! الدستور؟ لا، مهلاً، اللعنة، كنت أعرف الجواب.. » عندما تعرف حقاً القليل عن شيء ما، فمن الممتع أن يُطرح عليك الكثير من الأسئلة حوله.

وهذا من بين الأسباب الرائعة التي تستدعي التواصل مع الناس. السبب الآخر هو أنك إذا أجريت مكالمة هاتفية أثناء جلوسك أمام حاسوبك، فيمكنك اعتبارها جزءاً من عملك لذلك اليوم. وليست تهرباً من العمل. إن مهنة الكاتب تتيح لك قضاء الكثير من الوقت بمفردك - ونتيجة لذلك، سيبدأ عقلك في الاعوجاج. إن كنت تعمل ضمن حيّزٍ صغير، سيبدأ عقلك في التنفس والتقلص مثل الديكورات في فيلم دكتور كاليجاري. قد تبدأ

في إظهار علامات الشيزوفرينيا- كما لو كنت تحدق في الكلمة شيزوفرينيا طويلاً لدرجة أنها ستبدو مكتوبة بشكل خاطئ ولن تتمكن من العثور عليها في القاموس وتظنّ أنك اختلقتها، وتلاحظ بعد حين ظهور قرحة صغيرة في الفم كتلك القروح الصغيرة التي لا تستطيع منع لسانك من ملامستها، وتبدو كأنها جرح بحجم كرة زجاجية، ولكن عندما تنظر إليها في المرآة، تكتشف أنها مجرد بقعة بيضاء بحجم رأس الدبوس تقريباً. ومع ذلك، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنك - لأنك تقضي الكثير من الوقت وحيداً- هو اقتناعك بأنك مصاب بسرطان الفم بالضبط مثل سيغموند العجوز الطيب، وتدرك على الفور أن الأطباء سيضطرون إلى استئصال نصف فكك في محاولة لإنقاذ رأسك البائس المصاب بالوسواس القهري قبل أن يفتك به السرطان، وهكذا، سوف تضطر إلى التجول مرتدياً قناعاً على كامل وجهك، ولن يرغب أحد في تقبيلك مرة أخرى، بغض النظر عن أن هذا لم يحدث أساساً من قبل.

لا أعتقد أن ثمة خطأ جسيم في طريقة التفكير هذه، إلا أنها ليست مجديةً إلى هذا الحد في النهاية. لذلك قد تحاول أيضاً التصرف بشكل من الأشكال. ومن الأفضل أن يتضمن هذا إجراء اتصال مع إنسان آخر. من بين الأشياء التي أعرفها على وجه اليقين حول تربية الأطفال أنّ الولد يحتاج كل يوم إلى بعض قواعد الانضباط - لذلك من المفيد أن تضع لنفسك حداً أدنى من العمل لا يقلّ عن ثلاثمئة كلمة يومياً. ولكن الولد يحتاج كل يوم أيضاً إلى استراحة. لذا لنعتبر أن الاتصال الهاتفي يمنحك تلك الاستراحة.

في الواقع توجد أوقات لا يمكنك فيها المضي قدماً في عملك حتى تكتشف شيئاً ما عن المكان الذي نشأت فيه حيث كان لا يزال مدينة تعبرها السكك الحديدية، أو أن تعرف كيف تبدو المراحل المبكرة من داء الحلأ

المنطقي، أو ما التجارب التي ستمر بها شخصيتك فعلياً خلال الأسبوع الأول من مدرسة التجميل. لذا اكتشف من لديه هذه المعلومات واتصل به على الفور. من الأفضل أن تفكر في شخص بارع وبليغ، حتى تتمكن من سرقة كل ما لديه من مواد. ومن المثير للاهتمام أيضاً أن تتحدث على الهاتف مع شخص حريص نوعاً ما. لكن هذه الصفات ليست ضرورية بشكل قاطع، لأنك ربما تبحث فقط عن معلومة واحدة لا أكثر، أو حتى كلمة واحدة فقط، ولا تحتاج إلى الكثير من المعلومات المرجعية أو الفكاهة لتحصل عليها. ويتضح أيضاً أنه في غضون البحث عن هذه المعلومات الصغيرة، ستجد بانتظارك شيء آخر لم يكن أبداً في حسبانك.

على سبيل المثال، عندما كنت أكتب روايتي الثانية، وصلت إلى الجزء الذي يحضر فيه الرجل موعده الأول مع المرأة وقد أحضر معه زجاجة شمبانيا. يزيل غطاء عنق الزجاجة. فنلاحظ جمال يديه الطويلتين والعريضتين مع أقمار بيضاء على أظافره المربعة الكبيرة، إنهما جميلتان للغاية لدرجة أنهما يسمحان بأن تغض النظر عن حقيقة أنه يرتدي قميصاً أصفر من البوليستر. ولحسن حظه أيضاً أنه أحضر معه زجاجة شمبانيا أنيقة؛ فالمرأة تحب أن تشرب. لذا قام الرجل بتقشير ورق الألمنيوم، ثم راح يفك ويزيل ذلك السلك الذي يغطي عادة جميع سدادات الشمبانيا.

لطالما أطلقت على هذا الشيء السلكي - تلك الخوذة الصغيرة - اسم الشيء السلكي، وكذلك يشير إليه كل من عرفتهم: «عزيزي، هلّا أزلت هذا الشيء السلكي عن زجاجة الشمبانيا؟ لقد زينت أظافري للتو. أوه، انظر، إن سكيبي تلعب بهذا الشيء السلكي الصغير؛ آمل ألا تجرح شفتها الصغيرة به..»

لكن لا بدّ أن يكون له اسم ما، أليس كذلك؟ أعني، لا يعقل أن تصل

صناديق منها إلى مصانع النبيذ ويقال: لقد وصل 500 قطعة من تلك الأشياء السلكية! لا بدّ أن يكون لها اسم. لذلك اتصلت بمصنع كريستيان براذرز الذي تقع مزارع كرومه بالقرب من النهر الروسي. وكان الخطّ مشغولاً. لقد اتصلت بالفعل. لذا، مكثت جالسةً أحدق في الفراغ. لقد عبر فيلم في ذهني عن المرات العديدة التي مررت فيها بمزارع العنب تلك وتذكرت كيف أن كرم العنب، هو أكثر مكان مثير للإعجاب ومثير للأحاسيس على وجه الأرض وخاصةً في أوائل الخريف: الإحساس بالخصوبة والوفرة؛ وامتلاء عناقيد العنب المعلقة تنبعث منها رائحة خريفية قديمة وتختبئ شبه محمية من أشعة الشمس بأوراقها. العنب جميل بشكل لا يصدق ولا يسعك إلا أن تشعر بالافتتان حياله. إن لم تكن كذلك، فلا بد أن ثمة من دخل إلى عقلك وعاث فيه فساداً، ولن ترى حينها إلا مقدار الربح الذي حققه شخص ما أو أنه بعد مضي شهر آخر ستسقط هذه الثمار على الأرض ويأكلها العفن. وعليك أن تتعافى من اعتلال عقلك حتى تتمكن من الرؤية مرة أخرى، لتبصر أن العنب يبدو كأنه يتوهج تقريباً، مع لمسة غبار خفيف تشبه بقايا البودرة، وكأنها ندف ثلجٍ خفيف رائع للغاية، أو كأنها مغطاة بحبيبات السكر التي تصنعها بنفسها.

كتبت كل هذا، ثم اتصلت بمصنع النبيذ مرة أخرى. كان الخط لا يزال مشغولاً. ما أن أعدت سماعة الهاتف حتى اتصلت إحدى صديقاتي مباشرة وأرادت أن تصف آخر نكباتها العاطفية، لكنني قلت: «لا، لا، حدثيني عن العنب». قرأت لها ما كتبته للتو، فقالت: «نعم، إنها حقاً بهذا الجمال.

إنها تتوهج تقريباً؛ وكأن أمنا الطبيعة أرادت في أن تكون الحيوانات مفتونة ومسحورة بجمال تلك الثمار كي ترغب في أكلها وتطرح بذورها مع فضلاتها في مكان آخر ليكون هناك المزيد والمزيد منها». دوّنت كلامها على

بطاقة فهرسة أيضاً، وشعرت بسعادة غامرة حيال تلك البطاقة على الرغم من أنني لم أتمكن من استخدامها حتى الآن!

وصلت أخيراً إلى موظفة استقبال مصنع النبيذ وأخبرتها عما أحتاجه. فقالت أنها هي أيضاً لطالما أطلقت عليه اسم الشيء السلكي، لذا حولتني إلى راهب يبلغ من العمر ألفي عام. أو على الأقل هكذا بدا لي صوته ضعيفاً، حاداً، لاهثاً، كأنه صوت نوح بعد المشي السريع.

وكان سعيداً جداً لأنني اتصلت به. لقد قال ذلك بالفعل، وبدا صادقاً في قوله. لقد اعتقدت سراً منذ ذلك الحين أنه بقي على قيد الحياة بطريقة ما وبما يكفي لأتمكن من إجراء مكالمتي الهاتفية هذه، وأنه بعد أن أجاب على سؤالي، أغلق الهاتف وابتسم ثم انتقل إلى رحمة الله.

وعندما أخبرته عما أبحث، أجاب: «آه، «تقصدين الغطاء السلكي».

يا له من يوم حافل! أصبح لدي وصف لمزارع الكروم التي يمكن أن تكون مكاناً مثالياً لمشهد في مكان ما بين السطور. لقد فكرت في مدى براعة الطبيعة الأم في إنجاز أعمالها، وتمكنت من كتابة أن شخصيتي تمكّنَ من فكّ «الغطاء السلكي» ونزعه قبل أن تفرقع سدادة الفلين.

لن تصدق عدد الأشخاص الذين جاءوا إليّ في السنوات العشر التي انقضت منذ صدور هذا الكتاب وقالوا إنهم أحبوا معرفة الكلمة التي لطالما كانوا يشيرون إليها باسم الشيء السلكي. حسناً، في الحقيقة أستطيع أن أخبرك عددهم بصراحة: لقد كانوا ثلاثة. لكنهم ثلاثة أشخاص بدوا سعداء حقاً باكتشاف شيء كانوا يتساءلون عنه دوماً. حسناً. بصراحة؛ كانا شخصين حقيقيين ووالدتي. ليس أن والدتي ليست شخصاً حقيقياً، ولكن عندما أعرض عليها نسخة من كتابي الأخير، فإنها تصمت وتفكر بذرف

بعض الدموع ويمكنك أن تقول أن ما تشعر به هو «أوه، عزيزتي، هل صنعتِ ذلك بنفسك؟» كما لو كانت بصمةً ليدي في الطين - والتي أفترض أنها كذلك من نواح كثيرة.

مجموعات الكتابة

إن فعل الكتابة يتطلب الكثير من الجلوس والعمل كل يوم، كما أنه كثيراً ما يحملنا على اتباع عادةٍ تتمثل في ملاحظة كل التفاصيل التي تجري حولنا والنظر إلى كل شيء على أنه مادة أولية مفيدة للكتابة. وربما تلك عادة مريحة للغاية، مثل قضم أظافرك. إذ بدلاً من أن تكون خائفاً طوال الوقت، فإنك تقف جانباً وتراقب ما يحدث وتفكر فيه بأسلوب إبداعي خلّاق. وبدلاً من الشعور بالذعر من أولئك المنحطين في مترو الأنفاق، ستشغل نفسك بملاحظة تفاصيل ملابسهم وطريقة مشيهم وكلامهم. قد لا تصل أبداً إلى النقطة التي تفكّر فيها قائلاً: «آها - هكذا يبدو المسدس من هذه الناحية إذاً». لكنك تأخذ كل ما تستطيع كما يفعل الطفل دون ذلك الضباب الجوي الذي تفرضه الرؤية المسبقة للكبار.

وطوال الوقت الذي تكتب فيه وتحرر وتراجع وتجرب بدايات جديدة ونهايات جديدة تصل في النهاية إلى مرحلةٍ ما تحتاج فيها إلى بعض المعلومات المرجعية. وتحتاج أن يقرأ النص أشخاص آخرون. تريد أن تعرف رأيهم بما كتبت. نحن حيوانات اجتماعية، نحاول التواصل مع الآخرين من أبناء جنسنا، وأنت حتى الآن كنت وحيداً تقبع في جحرٍ وتحاول إنجاز عملك. ليس لديك أي فكرة عما إذا كان الأمر ينجح مع غيرك. لن تقضي شهراً في رسم لوحة زيتية من أجل تحنيطها. بل يمكنك تعليقها حيث يمكن للناس رؤيتها. لذا فإن فكرة حضور صفّ أو مؤتمر عن الكتابة قد تتبادر إلى ذهنك.

لا يعرف الكتّاب المبتدئون حقاً ما يمكن توقعه عند التسجيل في ورشة أو صفّ عن الكتابة الإبداعية. البعض يريد أن يتعلم الكتابة أو أن يتعلم الكتابة بشكل أفضل. آخرون كتبوا الكثير لفترة طويلة ويريدون الآن بعض الآراء. هذه أهداف واقعية. يرى صنف بعينه من الأشخاص أن صفوف الكتابة وورش العمل تشبه المعسكر، ويلتحق بها لأجل التسكع مع كل هؤلاء الآخرين، ربما مع كاتب يحترمه، أو للحصول على آراء وتشجيع وسماع كيف يروي الأشخاص الآخرون قصصهم. يريد بعض الناس مشاركة خيبات أملهم ورسائل الرفض والركود مع أشخاص آخرين. ويحب الكثيرون العمل على كتابة الآخرين لأنها تساعدهم على معرفة ما يحبونه هم أنفسهم في الكلمة المكتوبة، وكذلك ما لا يحبونه. ويريد آخرون الحصول على تعليقات أشخاص ليسوا أصدقاء أو محررين تماماً لكنهم واقعيون وصادقون ومفيدون.

كما أن الكثيرين يحضرون ورشتي أو صفوفي سراً على أمل أن أكون قد قرأت ما قدموه وذهلت تماماً. سآخذهم جانباً بعد الفصل وأخبرهم أن كل ما تحتاجه القصة هو إضافة بعض التفسيرات في النهاية، وربما اختصار مشهد كامي مع البط بعض الشيء، وترسلها بعد ذلك إلى وكيل أعمالي أو صحيفة النيويوركر، أو ربما نرسلها مباشرة إلى سوني ميهتا [سوني ميهتا رئيس سابق لمجموعة «نوف دوبلداي» للنشر]. سوف نرسلها عبر الفاكس إلى سوني؛ فهو يفضل هذه الطريقة.

لكنني أخبرهم أن هذا لن يحدث على الأرجح.

نلاحظ في كثير من الأحيان خلال مؤتمرات الكتابة، يؤخذ بعض الأشخاص جانباً من قبل كتّاب رائعين أحبوا قصتهم وساعدوهم بطريقة ملهمة للغاية. وهذا ما أفعله في بعض الأحيان خلال ورش الكتابة التي

أديرها؛ آخذ شخصاً جانباً وأقول له: «أنت بارع جداً؛ أعمل على هذا ستة أشهر أخرى ثم اتصل بي، وسأتولى الأمر من هناك». ولكن هذا أمر نادر الحدوث. فغالباً ما أفعله هو الاستماع والتشجيع وإخبار الناس ما تعنيه الكتابة بشكل يومي بالنسبة لي وما الذي يساعدني فعلاً أو لا يساعدني. وأطلعهم على كل التفاصيل التي تعجبني في أعمالهم - إلى أي مدى نجحوا على سبيل المثال في ترسيخ الأجواء واستخدام اللغة - وأشير أيضاً إلى المكان الذي اشتبكت فيه أفكار الكاتب نفسه مع منهجيته الخاصة. يمكن تشبيهي أنا والطلاب الآخرون بالطبيب الذي تأخذ عملك إليه لإجراء فحص عام. يمكننا أن نوفر لك مكاناً للظهور وقليلاً من الضغط الطوعي الذي نأمل أن يساعدك في إنهاء القصص والمقاطع. يمكننا أن نمنحك بعض التقدير، لأننا نعرف ما يتطلبه الأمر من جهد.

لكن احذر من احتمال أن تشعر وكأنك وضعت رأسك في فم الأسد. عادةً ما تكون صفوف الكتابة الإبداعية وورش العمل المستمرة ألطف من المؤتمرات، ولكن في كل هذه المواقف قد تجد نفسك جالساً حول طاولة مع عدد من الكتاب الآخرين الذين يشعرون بأنهم مضطرون أخلاقياً وجمالياً لتمزيق قصتك إلى أشلاء. سيقولون في أحسن الأحوال إن القصة ستنجح أكثر إذا أعدت كتابتها بصيغة الماضي، ما لم تكن أساساً في زمن الماضي، وفي تلك الحالة سيقترحون صيغة الحاضر، أو أن تحاول الكتابة بضمير المتكلم وإن كانت بصيغة المتكلم فالأفضل أن تكتبها بصيغة الغائب.. في أسوأ الأحوال، سيقترحون أنه ليس لديك موهبة ملموسة على الإطلاق ولا يجب أن تزعج نفسك بكتابة أي شيء مرة أخرى، ولا حتى اسمك.

لقد شاركت بالتدريب في العديد من مؤتمرات الكتابة وفي كل مرةٍ كان الطلاب يأتون إلي والدمع في عيونهم لأن الكاتب الشهير الذي قيّم عملهم

في ذلك اليوم حطّ من شأنه كثيراً. كما درّبت أيضاً في مؤتمرات حيث انهار الطلاب بسبب قسوة تعليقات المشاركين الآخرين، وبدا الوضع كما لو كنا نحضرُ مؤتمراً لكتابة رواية «سيد الذباب». ففي الصيف الماضي، على سبيل المثال، كنت في جلسة تدريبية تصاحب مؤتمراً ضخماً ومرموقاً عندما خرجت الأمور تماماً عن السيطرة. جلست مع عشرين طالباً في ذلك اليوم واستمعت إلى أحدهم يقرأ بضع صفحات من عمله. لم يكن قد امتهن الكتابة منذ فترة طويلة. فكان أسلوبه تجريبياً واستخدم اللهجة المحلية السيئة كثيراً، ولم يكن النص بارعاً جداً. حصل الطلاب الآخرين مسبقاً على نسخة من قصته من أجل تقييمها، وعندما انتهى، قدموا له تعليقاتهم. ذكروا أشياء أعجبتهم، وأشياء اعتقدوا أنه قام بها بشكل جيد، ولحظات نجح في رصدها هنا وهناك. قالوا إن اللهجة العامية أساءت للنص ولكن كان هناك قدر كبير من الحب والعاطفة في القصة التي تمكنت من تحريك مشاعرهم. اعتقدت أن ما قالوه كان صحيحاً، وإن بدا ربما مبالغ به إلى حد ما. لذلك عمدت إلى ذكر بعض الأشياء المشجعة أيضاً، وأشرت إلى بعض المقاطع التي لم تكن صحيحة، وأوصيت بطرق لتنشيط وتيرة النص، واقترحت بلطف أن القصة يلزمها المزيد من العمل. طرح المؤلف بعض الأسئلة المحددة وقدمت له بعض الاقتراحات الجيدة. وفجأة، رفعت يدها شابة من بين الحاضرين والتي كانت صامتة طوال الوقت.

«هل أنا مجنونة؟» سألت وكأنها تتوسل. «هل فقدت رشدي؟ هل أنا الشخص الوحيد هنا الذي يعتقد أن القصة ليست جيدة على الإطلاق؟ هل يعتقد أي منكم أنها تضمنت شخصية واحدة منطقية على الأقل، أو حتى صورة واحدة ذات معنى... » ومضت تسترسل أكثر وأكثر، بينما نحدق بقيتنا بها مذهولين كالمنومين مغناطيسياً. كان الكثير مما قالته صحيحاً.

نظرت إلي عندما انتهت، وكانت منفعلة بشدة وتتوسل جوابي. نظرت إليها. حاولت أن أعرف كيف أتصرف. خيّم الصمت.

سألت: «هل عليه أن يستسلم؟».

قالت: «أعتقد أن الناس يتسامحون معه. لن يتحسن أداؤه إذا لم يصارحه الناس بالحقيقة»،

«لكن ما تعتقدين أنه الحقيقة هو رأيك أنت فقط».

تأمل كاتب القصة السقف لبرهة وكأنه سمع صوت بعوضة تقترب. حدق بي بقية الطلاب بنوع من الترقب الغريب. كان جزء مني يفهم جيداً ما شعرت به الفتاة. لقد تطلب الأمر منها الكثير من الشجاعة لتتمكن من نطقه. وأراد جزء آخر مني انتزاع ساق الطاولة والتلويح بها في وجهها متوعدةً. كنت أعلم أنها كاتبة أفضل منه بكثير، لأن الجميع كانوا كذلك. حاولت أن أضبط أنفاسي وأن أذكّر نفسي بما يحتاجه الكتاب الذين لم تنشر أعمالهم بعد ولماذا يحضرون هذه المؤتمرات المعنية بالكتابة. إنهم بحاجة إلى الاهتمام. إنهم بحاجة إلى شخص يتجاوب مع عملهم بأمانة قدر الإمكان لكن دون تعسف أو انتقاص. لذلك ركزت في تعليقاتي على حقيقة أن المؤلف جرّب شيئاً صعباً للغاية، وقبل بخوض هذه المخاطرة. أخبرته أن أفضل ما يمكن فعله هو خوض المغامرة وارتكاب الأخطاء، وأنه عندما يطعن في السن، أو يحتضر، من شبه المؤكد أنه لن يقول: «يا إلهي! أنا سعيد للغاية لأنني لم أجازفّ! أنا سعيد للغاية لأنني واصلت العمل بحذر دون خوض المخاطر». طلبت منه المضي قدماً، وكتابة قصته مجدداً، ثم مباشرة العمل على نص آخر.

وأخبرت الشابة، أمام الفصل، أن ما قالته يتطلب شجاعة كبيرة. وقد

بحثت عني لاحقاً وسألتني إن كنت أعتقد أنها شريرة. أخبرتها أنني أجدها صادقة جداً، وأن هذا أمر يستحق الثناء تماماً، لكن ليس علينا دائماً أن نضرب بسيف الحقيقة. يمكنك الاكتفاءِ بالتلميح أيضاً.

بعد مضيّ فترة على انتهاء المؤتمر، وجدت قصيدة لبيل هولم، أردت إرسالها إلى الشاب. لكن عنوانه لم يكن بمتناول يدي. القصيدة بعنوان «أغسطس في واترتون، ألبرتا»:

فوق رأسي، تبذلُ الرياح قصارى جهدها

لتعصف بأوراقِ

شجرة الحور قبل شهرٍ من موعدها.

لا فائدة من الرياح. كل ما تنجحين في فعله

هو تأليف الموسيقى، ضجيج

الفشل الذي يزداد جمالاً.



أعلم أن بعض مؤتمرات وبرامج الكتابة تكون قاتلةً وتنافسية، وقد لا تحتاج أو لا تكون مستعداً لأقسى نقد يمكن أن يوجّه لعملك. ولكن إذا كنت بحاجة إلى ردود فعلٍ وتشجيع وضغط إيجابي ورفقة كتاب آخرين، فربما عليك التفكير في الالتحاق بمجموعة كتابة.

كان لدي طلاب التقوا في إحدى صفوفي وبدأوا بعد ذلك في التجمع في مجموعات من ثلاثة أو أربعة يوم الخميس كل ثلاثة أسابيع، أو الأحد الأخير من كل شهر، أو في أي وقت يناسب الجميع، وهم على هذا الحال

منذ سنوات الآن. واجتماعهم يشترط عليهم إنهاء قدر معين من العمل. أيضاً، من المخاطر المهنية للكتابة أنك تعاني مراتٍ من أيام سيئة. لا تشعر فيها بالوحدة فحسب، بل تشعر أيضاً أن الجميع في حفلة. لكن إذا تحدثت إلى كتّاب آخرين، فسوف تتذكر أن هذا الشعور جزء من العملية، وأنه أمر لا مفر منه.

يميل الكتاب إلى الشعور بجنون العظمة عند الحديث عن أعمالهم لأنه لا أحد، بما في ذلك نحن، يفهم حقاً كيف ينجح الأمر. ومن المفيد جداً وجود شخص يمكنك الاتصال به عندما تحتاج إلى حديث حماسي، أو شخص تعلمت أن تثق به، أو شخص صادق وكريم ولا يجلب لك النحس. عندما تشعر بالإحباط، لا تتحمل أي شيء ولا حتى المزاح من أي شخص حتى أنك قد تشعر بأنك تعبر مرحلة فلكية تستمر على مدار السنوات السبع القادمة.

ولن تكون على استعداد لتقبل أي نصائح عندما يكون مزاجك سيئاً. كل ما تحتاجه هو القليل من التعاطف والاطمئنان. عليك أن تشعر مجدداً أن الآخرين يثقون بك. وهذا ما يمكن لأعضاء مجموعة الكتابة تقديمه لك بالضبط.

فكيف تؤسس مجموعة كتابة؟ تتمثل إحدى الطرق في الانضمام إلى صف دراسي للكتابة الإبداعية وأن تسأل الأشخاص الذين تحب عملهم كثيراً وربما لديك بعض العلاقات معهم إذا كانوا يريدون الاجتماع مرة واحدة كل شهر لسماع ودعم عمل بعضهم البعض، وبعض القيل والقال أيضاً، والتحدث عن الكتابة بشكل عام. قد يرفضون. ثم يمكنك الاتصال بـ جاك كيفوركيان ومعرفة ما إذا كان بإمكانه حجز مكان لك. أو يمكنك الاستمرار في المحاولة حتى تعثر على شخصين أو ثلاثة لديهم فضول لمعرفة

معنى الانضمام إلى مجموعة.

عمد بعض طلابي إلى نشر إعلانات على اللوحات الإعلانية وفي الصحف الصغيرة للإعلان عن تشكيل مجموعة كتابة للكتّاب المبتدئين أو للكتاب الذين يحاولون نشر رواياتهم. انتهى الأمر بالعديد منهم، إن لم يكن معظمهم، إلى تأسيس مجموعات عمل تجلب لهم قدراً كبيراً من المتعة والدعم. يزعم أصدقائي في حركة العصر الجديد أنهم تمكنوا من بدء مجموعات بمجرد «أن نشروا رغبتهم إلى الكون». في الواقع، أنا أحب هذا النوع من الكلام وأتخيل دائماً أنّ الكون يمكنه سماع النداء والدعوات، ويقلب بحماسةٍ أوراق مفكرته الصغيرة، حيث إن جميع هؤلاء الأصدقاء انتهى بهم المطاف في مجموعات كتابة مزدهرة. إذن من يدري؟

التقى أربعة أشخاص، ثلاث نساء ورجل واحد، في أحد فصولي وها هم الآن يلتقون كمجموعة منذ أربع سنوات. أراهم معاً في المكتبات أو المقاهي، يجلسون على الطاولات مع الشراب أو القهوة ويتفقدون أعمال بعضهم البعض، يتبادلون النقد والتشجيع، ويطرحون الأسئلة، ويكتشفون إلى أين تمضي بهم السبل بعد ذلك. إنهم في الواقع لا يصححون مسودات بعضهم البعض، وهو أمر سنتحدث عنه في الفصل التالي، بل يصغون بإمعان ويتعاونون على المضي فيه قدماً.

يحضرون في بعض الأحيان إلى أحد صفوفي، مثل كبار اللاعبين الذين يحضرون تدريبات كرة السلة للاعبين الصغار. وقد تحدثوا مرةً أمام الطلاب الجدد بكل حماسٍ عن مدى روعة أن يكونوا جزءاً من مجموعة كتابة، وعن مدى اهتمامهم ببعضهم الآخر، وكيف يساعدهم ذلك في إنجاز عملهم. لقد تحولوا من كونهم أربعة أشخاص متوترين، مغرورون بعض الشيء، ومنعزلين أرادوا الكتابة إلى إحدى تلك العائلات الصغيرة الغريبة التي

نصطنعها من كل فرد حولنا إلى أشخاص لطيفين للغاية مع بعضهم البعض. يبدون جميعاً أقل سلاسة ولطفاً مما كانوا عليه عندما كانوا في صفي، لأن تبادل المساعدة فيما بينهم جعل قلوبهم تكبر. والقلب الكبير ثقيل وحساس؛ لا يحمي نفسه ولا يختبئ. بل يبرز، مثل يافوخ الطفل الوليد، حيث يمكنك رؤية الروح تنبض من خلاله. يمكنك أن ترى هذا النبض في داخلهم الآن.

كان الأربعة كتّاباً بارعين، لكن تمكن واحد منهم فقط من النشر، وكان هذا مقالاً واحداً فقط. ولكن أتعلمون؟ كل واحد من بينهم يعشق الآخر. وما زالوا يتطلعون إلى اجتماعاتهم بعد مضيّ كل هذه السنوات. لقد باتوا كتاباً أفضل وأشخاصاً أفضل بسبب عملهم مع بعضهم البعض. ولو كان أحدهم على الأقل بحال جيدة وقادر على المساعدة، فغالباً ما يكون ثمة شخص آخر على وشك الاستسلام والتسرب من المجموعة. لكنهم تمكنوا حتى الآن من دعم بعضهم والتمسك بالمجموعة. على سبيل المثال، اتصلت بي الأسبوع الماضي عضوة من المجموعة، تلك التي نشرت المقال، وأخبرتني أنها على وشك الاستسلام لأنها لم تبع أي شيء آخر في الأشهر التي انقضت منذ نشر مقالتها. قالت بصوت شبيه بصوت إيوري [شخصية الحمار من كتاب الدب ويني] إنها تعتقد أن بإمكانها العودة لمعاقرة الشراب مرة أخرى بأمان الآن بعد أن أقلعت عنه لمدة سبع سنوات، ورأت أن بإمكاني أن أفعل ذلك أنا أيضاً، لأنني أقلعت عنه مثلها أيضاً لمدة سبع سنوات. كانت خطتها تنطوي على أن تأتي لاصطحابي أنا وسام، ثم نتجول في المكان حتى نجد باراً لراكبي الدراجات النارية وفيه رعاية للأطفال.

أجبتها ببعض عبارات التعاطف وذكّرتها بأنها كانت عالقة على النحو من قبل. همست لها بعبارة «مهام قصير». المسودات الأولى التافهة. راحت تبكي. سألتها إن كان ثمة أي شخص في مجموعة الكتابة يمكنه مدّ يد العون

لها. قالت لا. لم تستطع الاتصال بهم، كانت تعلم أنهم جميعاً على ما يرام، وأنهم قضوا أسبوعاً رائعاً، وربما التقوا كل بضعة أيام دون إخبارها وتبادلوا النكت الساخرة المفضلة لديهم عنها ضاحكين.

طلبت منها أن تجلس وتكتب عما تشعر به، إذ ربما يتضح أن كل ما تعانيه من الوحدة وجنون الارتياب قد يشكّل مادة رائعة للكتابة. فأكدت أنها لا تعاني من جنون الارتياب. بل كانت قلقة فقط من أن جميع أصدقائها اجتمعوا في مجموعتهم صغيرة وتحدثوا عنها بوقاحة.

وفي ذلك اللحظة تلقت مكالمة على الخط الآخر. اتضح أن شخصاً من مجموعة الكتابة كان مكتئباً للغاية، وسألتني إن كان بإمكانها معاودة الاتصال بي لاحقاً. لم تتصل ثانية في ذلك اليوم. وحين اتصلت بها خشية أن تكون جالسة في سيارتها داخل المرآب وقد نسيت محركها يدور ويصدح صوت ليزلي غور من جهاز الاستريو. لكن اتضح أن الشخص الذي اتصل بها كان في حالٍ بائسٍ حقاً ومكتئب جداً، وهو كاتب رائع وجميل ومضحك تعرض لإيذاء شديد عندما كان طفلاً. إنها تؤمن به بشدة، لذلك منحته حديثاً مشجعاً ومؤثراً، وبعد إنهاء المكالمة معه مباشرة عادت للعمل على كتابها، وكانت في الواقع تعمل بانهماك منذ ذلك الحين حتى اتصلت بها أنا وقاطعتها.

الاستعانة بشخص ما لقراءة المسودات

نشرت صحيفة النيويوركر فيما مضى رسماً كاريكاتورياً لرجلين جالسين على الأريكة في حفل كوكتيل مزدحم، يتبادلان حديثاً هادئاً. لأحد الرجلين لحية ويشبه الكاتب. ويبدو الآخر كشخصٍ عادي. يقول شبيه الكاتب للآخر: «لم نتفق بعد. أنا أطلب أجراً من ستة أرقام، وهم يرفضون قراءة المخطوطة».

في الواقع كنت مخطئةً من قبل، لكنني أراهن على أن هذا الرجل لم يعرض عمله أبداً على كتّاب آخرين قبل محاولة إقناع شخص ما بشرائه. أراهن أنه يعتقد أنه فوق ذلك. كلما ألقيت محاضرة في مؤتمر للكتابة وحدث أن ذكرت فوائد العثور على شخص ما لقراءة المسودات، يقصدني كاتب عريق واحد على الأقل ليقول إنه لن يعرض عمله ولو بعد مليون عام على شخص آخر قبل أن ينجزه. وإنها فكرة سيئة، يجب أن أمتنع عن إخبار طلابي بأنها مفيدة لهم. فأكتفي بابتسامة تشبه ابتسامة الغيشا [المغنية والراقصة اليابانية] أصدر بعض الهمهمات علامة التفهم. ثم استمر في إخبار الناس بضرورة وجود شخص لا يمانع قراءة مسوداتهم وإضافة بعض الاقتراحات المفيدة. قد لا يكون لدى الشخص المنشود إجابة لما هو مفقود أو مزعج بشأن القطعة، لكن الكتابة غالباً ما تدور حول ارتكاب الأخطاء والشعور بالضياع. يوجد ربما عدد من الطرق لسرد قصتك بشكل صحيح، وقد يتمكن شخص آخر من إخبارك ما إن كنت قد نجحت في اتباع إحدى هذه الطرق أم لا.

أنا لا أقترح أن تجلس مع كاتب آخر في حجرة ضيقة في مكان ما وتكتبان معاً، كما لو كنتما تقومان بإعداد منشورات عن البطاطا جنباً إلى جنب في مؤسسة ما، ومن ثم تثنيان على عمل بعضكما البعض بإعجاب كما حين تفغر فاهك إعجاباً بطفلك حين يكتب اسمه لأول مرة. إنني أقترح أنه قد يكون ثمة شخص ما في العالم - ربما زوجة أو صديق مقرب - يقرأ مسوداتك النهائية ويعطيك نقداً صادقاً، ويخبرك بما ينفع وما لا ينفع، ويقترح بعض الأفكار حول الأشياء التي يفضل حذفها أو الأشياء التي تحتاج إلى توضيحها، والطرق التي تجعل مقالتك أكثر ترابطاً.

ذكر دونالد بارثيلمي في أول قصة أقرأها له على الإطلاق قبل عشرين عاماً، أن الحقيقةَ تفاحٌة يصعب الإمساك بها ويصعب رميها أيضاً. أدرك جيداً كم هو شعور مؤلم حين تعمل على شيء لفترة لا يستهان بها، وتشعر أنك أنجزته أخيراً، فتعطي قصتك لشخص تأمل أن يثبت صحة شعورك، لكنه يخبرك أنها لا تزال بحاجة إلى المزيد من العمل. عليك، في هذه المرحلة، أن تشكك في تقييمك لشخصية هذا الصديق، وإذا لم يكن زوجاً أو صديقاً مدى الحياة، فقرر ما إذا كنت تريده في حياتك أم لا. لكنك في الغالب لن تفعل هذا كرد فعل أول. وفي غضون فترة وجيزة، قد يبدو لك وجود أمثاله في حياتك معجزة صغيرة، وتلاحظ أن ذوقه يعجبك (إذ برغم كل شيء، هذا الشخص يحبك ويحب عملك)، كما أنه لا يتردد في إخبارك الحقيقة ويساعدك على البقاء على الصراط المستقيم، أو يرشدك إليه إذا خرجت عنه.

إنني أحرص دوماً على عرض عملي على واحد من شخصين قبل إرسال نسخة إلى المحرر أو الوكيل. فأنا أشعر بمزيد من الأمان والترابط على هذا النحو، وقد اطّلعا على الكثير من أعمالي الجيدة. إنهما كالقابلة؛ ففي داخلي

الكثير من القصص والأفكار والرؤى والذكريات والحبكات ولا يمكنها أن تخرج من رحم قلمي إلا لهما. يمكنني أن أفعل ذلك بمفردي من الناحية النظرية، لكن الأمر بالتأكيد أسهل بوجود من يساعدك. لديّ صديقات أنجبن أطفالهن بالولادة الطبيعية - لا عقاقير، ولا حقن في النخاع الشوكي، ولا أي شيء - ويعتقدن سراً أن لديهن تجربة ولادة أكثر صدقاً مقارنة مع الأخريات، لكنني أعتقد أن التخدير القطني من أهم الابتكارات التي توصل إليها الغرب، ولا يقلّ أهمية عن اكتشاف العالم «سالك» للقاح شلل الأطفال وعن بوفيهات السلطة في محلات السوبر ماركت. إنه شيء فريد. غير إن ما يصلح لي قد لا يصلح لك. وتعليقات الشخص المقرب مني تمنحني الثقة، أو على الأقل تمنحني الوقت لتحسين الوضع. تخيل أنك تستعد لحفلة ويوجد شخص في منزلك يمكنه أن يتفحص مظهرك ويؤكد لك أنك تبدو رائعاً أو، على العكس من ذلك، يلفت انتباهك إلى أنك تبدو في الواقع بديناً بعض الشيء أكثر من المعتاد في هذا الثوب أو البدلة مثلاً أو أن اللون الأحمر يجعلك تبدو وكأنك تعاني من الجرب القارمي. ستشعر بداية ببعض خيبة الأمل بالطبع، لكن سرعان ما تشعر بالامتنان لأنك لا تزال في أمان منزلك ولديكَ وقت لتغيير ما ترتديه.

واحدٌ أفضل الكتاب الذين أعرفهم لديه زوجة تقرأ كل ما يكتبه وتخبره بصدق إن أحبت النص أو لم تحبه، ولماذا تجده مقبولاً هنا وغير مقبول هناك. إنها تقريباً كالشريك المكافئ في هذه العملية. وأعرف كاتبين آخرين يساعدان بعضهما البعض. كما أسلفت قبل قليل، لدي شخصان يقرآن أعمالي. أحدهما كاتب أيضاً، وهو من أعز أصدقائي وربما الشخص الأكثر عصبية واعتلالاً عقلياً على وجه المجرة. والآخر أمين مكتبة يقرأ كتابين أو ثلاثة في الأسبوع لكنه لم يكتب كلمة واحدة. ما أفعله هو العمل على نص ما حتى أشعر بأنه

جاهز تماماً، ثم أرسله إلى أحد هذين الصديقين اللذين وافقا سلفاً على قراءته.

وغالباً ما أرسل لهما عملي عبر خدمة البريد السريع فيديرال إكسبريس، لأنني لا أطيق انتظار تسليمه عبر البريد العادي. وأقضي اليوم التالي بأكمله في انتظار سماع الأخبار والمشي والتهام الطعام بنهم والصراع مع جنون الارتياب ومعاملة نفسي بقسوة إذا لم يصلني الرد من صديقيّ بحلول الظهيرة. بطبيعة الحال أفترض أنهما يجدان النص تافهاً ولكن ليس لديهما الشجاعة لإخباري. ثم سأفكر في كل الأشياء التي أكرهها لدى كليهما، وإلى أي مدى أكرههما في الواقع، ولا عجب أن أياً منهما ليس لديه الكثير من الأصدقاء. وحينئذٍ يرن الهاتف ويقولان عادةً شيئاً ما من قبيل: «أعتقد أنه سيكون رائعاً، أظن أنه عمل جيد حقاً. لكن ربما أيضاً توجد بعض المشاكل».

وعند هذه المرحلة، أكون عادة قد أصبحت منفتحة لتقبل الاقتراحات، لأنني مرتاحة جداً لاعتقادهما أنه سيكون رائعاً. وأسأل بمرح أين يعتقدان أن ثمة مجال للتحسين. وهنا قد تصبح الأمور محفوفة بالمخاطر بعض الشيء. لربما يشيران إلى أن النصف الأول بأكمله بطيء، ولم يتمكنا من الانسجام معه، ولكن في الصفحة السادسة أو الثامنة والثلاثين، صارت الأمور مثيرةً أخيراً، ومن ثم لم يتمكنا من التوقف عن قراءته. لقد تسابقا طوال الوقت المتبقي - باستثناء أنهما ربما واجها بعض المشاكل مع النهاية، ويتساءلان عما إذا كنت أفهم حقاً دوافع إحدى الشخصيات وما إذا كنت أرغب في قضاء خمس دقائق لا أكثر في إعادة التفكير بشأن هذه الشخصية.

إن ردي الأول إذا كان لديهما الكثير من الاقتراحات لن يكون لتعبير عن مدى ارتياحي العميق لأن لدي شخصاً في حياتي صادق معي ويساعدني في إنجاز أفضل عمل يمكنني القيام به. لا، إن أول ما يخطر في ذهني هو:

«حسناً. أنا آسفة، لا يمكن أن تستمر صداقتنا بعد الآن، لأن لديك الكثير من المشاكل. وشخصيتك سيئة. وطباعك أسوأ».

أحياناً تعلق الكلمات في فمي لأنني أشعر بخيبة أمل كبيرة، كما لو أنهما قالا إن سام قبيح وممل ومدلل ويجب أن أدعه يرحل. من الصعب جداً تقبل النقد. ولكن بعد حين أياً كان الصديق الذي يهاجم عملي بوحشية، فإنه يقترح أن نتناوله معاً صفحة تلو الأخرى، وسطراً بسطر، وبصوت عالٍ، لكنني سأجيب غالباً بأن هذا لن يكون ضرورياً، وأن كل شيء على ما يرام. لكن هذين الصديقين عادة ما يتمكنا من إقناعي بمناقشة النص عبر الهاتف، وإذا ما تشبثت برأيي، فسيجدان عدداً من المواضع التي يمكن أن تكون فيها الأفكار أقوى أو أكثر مرحاً أو أكثر واقعية، أو ربما أكثر إثارة للاهتمام وأقل إثارة للملل. قد تكون لديهما أفكار حول كيفية إصلاح مواضع الخلل تلك؛ لذا، أتنفس الصعداء بارتياح في نهاية النقاش وأشعر بقدر كبير من الامتنان لهما.

عندما يمنحك شخص موثوق هذا النوع من التعليقات، ينتابك هذا الإحساس الحقيقي الملموس بتأثير عملك على الناس، وقد تعرف الآن كيف تتعامل مع مسودتك النهائية. إذا كنت تستعد لإرسال عملك إلى وكيل محتمل لأول مرة، فأنت لا تريد المخاطرة بخسارة تلك الفرصة عبر إرسال نص غير جاهز.

عليك إعداد مقالتك أو كتابك بشكل صحيح ودقيق قدر ما تستطيع. يستدعي الأمر في بعض الأحيان ضبط وتيرة النص لا أكثر، أو ربما تحتاج إلى إعادة النظر بإحدى الشخصيات كلياً. يحبّ صديقك في بعض الأحيان الإحساس الذي تعطيه الكتابة والنص الخام، ومع ذلك يشعر أن ما يزال على بعد مليون ميل من الاكتمال. قد يكون هذا مخيباً للآمال جداً لكن من

الأفضل أن يخبرك زوجك أو زوجتك أو الصديق عن هذا من أن يخبرك إياه وكيل أو محرر.

سمعت ماريان ويليامسون تقول مرة أنه عندما تطلب من الله أن يدخل حياتك، تعتقد أنه سيحضر إلى منزلك الخارق وينظر في الأرجاء فيجد أنك تحتاج فقط إلى أرضية جديدة أو أثاث أفضل وأن كل شيء يحتاج فقط إلى بعض التنظيف - وهكذا تمضي الأشهر الستة الأولى تفكر في مدى روعة الحياة الآن بوجود الله في بيتك. ثم تنظر في أحد الأيام من النافذة وترى أن ثمة كرة تحطيم حديدية في الخارج. ويتضح أن الله يعتقد في الواقع أن مؤسستك منهارة بأكملها وعليك البدء مجدداً من الصفر. هذا بالضبط ما يمكن أن يكون عليه الحال عند إعطاء رواية لشخص آخر ليقرأها. يمكن لهذا الشخص أن يحبها رغم ما يجده فيها من فوضى عارمة وأنها تتطلب قدراً كبيراً من العمل، وحتى إلى أسس جديدة.

ويسأل طلابي: «إذن، كيف أجد أحد هؤلاء الشركاء؟». بنفس الطريقة التي تجد بها عدداً من الأشخاص لتشكيل مجموعة كتابة. الاختلاف الوحيد هو أنك في هذه الحالة تبحث عن شريك واحد بدلاً من عدة شركاء. لذلك، إذا كنت في صف تدريبي، انظر حولك واعرف ما إذا كان ثمة من يعجبك عمله ويبدو أنه في نفس مستواك تقريباً. وعليك أن تسأله أو تسألها إن كان يرغب بتناول فنجان قهوة معك لمعرفة إمكانية العمل مع بعضكما البعض. إنه الأمر أشبه بطلب موعد، لذلك قد تقع أثناء قيامك بذلك تحت تأثير أبشع ذكرياتك في الصفين السابع والثامن. إذا رفض الشخص طلبك، فمن الجيد الانتظار حتى تدخل سيارتك قبل أن تنهار تماماً. ثم يمكنك تمزيق ملابسك وتعوي عواء الذئب وتطلق صرختك البدائية. عليك بالطبع أن تتأكد من أن الشخص لم يتبعك إلى سيارتك. لكن، لا عليك إن رآك منهاراً، لأنك لست

مضطراً بعد الآن للتصرف بلطف مع هذا الشخص. هذا الشخص أحمق. تضاعف جلسات العلاج لبضعة أسابيع حتى تعود إلى طبيعتك، ثم تسأل شخصاً آخر؛ شخص أفضل وتحبه أكثر.

إن كنت على يقين من أن شخصاً ذكياً ومتحضراً يحب عملك، يمكنك أن تسأله إن كان يرغب في إلقاء نظرة على فصل من روايتك أو من آخر قصة قصيرة كتبتها. فإذا كان هذا الشخص كاتباً أيضاً، اسأله إن كان يريد منك إلقاء نظرة على مسودته. إذا رفض كلا العرضين، فتظاهر بأنك ودود، حتى لا يفكر فيك بأقل مما يفكر به للتو. ويمكنك بعدها الانتقال للعيش في منتزه للمقطورات بالقرب من منزل معالجك النفسي حتى تتعافى بما يكفي لتسأل شخصاً آخر.

السؤال الثاني الذي يسأله طلابي عن شريك الكتابة هو: ماذا لو وافق شخص ما على قراءة أعمالك، ووافقت على فعل الشيء نفسه له، على سبيل المثال، واتضح أنه يقول أشياء سلبية تماماً وهدامة عن عملك وإن كانت بألطف عبارات ممكنة؟ تلقى نفسك محطّماً ومخدوعاً. لقد بادرت بهذه الشراكة الجريئة للغاية، وكشفت لشخص ما قلبك وروحك، وهو لا يعتقد أن عملك جيد على الإطلاق. يقول كم هو آسف لأن هذا ما يشعر به. حسناً، دعني أخبرك الحقيقة- لا أعتقد أنه آسفٌ أبداً. أعتقد أن هَدمَ عملك منحه متعةً حقيقية، بل متعة لن يحظى بمثلها أبداً، ولذة تكاد تكون جنسية بطبيعتها. أعتقد أن عليك التخلص من هذا الشخص فوراً حتى لو كنت متزوجاً منه. لا يجوز لأحد أن يتحدث معك هكذا. إذا كتبت نصاً طويلاً وكان أول نص تكتبه، وتتساءل عما إذا كان قابلاً للنشر، ولم يكن كذلك بأي شكلٍ من الأشكال، يجب أن يتمكن شخص ما من إخبارك هذا بطريقة لطيفة متواضعة حتى يشجعك - ربما ليس لمتابعة النشر، بل لمتابعة الكتابة.

ربما يقترح عليك هذا الشخص الحصول على رأي ثان. ولكن إذا كان مزعجاً أو عنيداً، فتخلص منه. هل تؤيد شخصاً يتحدث على هذا النحو مع أطفالك؟ كأن يخبرهم مثلاً أنهم ليسوا موهوبين جداً في الرسم ولن يكونوا كذلك يوماً؟ أو أن الشعر الذي يكتبونه ليس مشوقاً؟ بالطبع لا. عليك أن تزور هذا الشخص حاملاً معك قاذف اللهب. لماذا إذاً لا تفعل الأمر نفسه حين يقول أحدهم لك أنت شيئاً من هذا القبيل؟ لماذا تضيع وقتك الثمين مع هذه الحثالة؟

أخشى أن يشرب يسوع نفسه حتى يفقد وعيه عندما يسمعني أتحدث هكذا. لكن قبل حوالي شهر من وفاة صديقتي بامي، قالت شيئاً ربما غيّرني إلى الأبد.

ذهبنا معنا للتسوق وشراء فستان أرتديه تلك الليلة لارتياد ملهى ليلي مع الرجل الذي كنت بصحبته في ذلك الوقت. كانت بامي على كرسي متحرك، ترتدي شعراً مستعاراً على طراز الملكة الأم وفي عينيها نظرة بطل فيلم «السائق البسيط». جرّبت ارتداء فستان قصير بلون اللافندر على خلاف طراز ملابسي المعتاد. فأنا أميل إلى ارتداء ملابس واسعة وفضفاضة. واعتاد الناس القول بأن ملابسي تشبه جون غودمان. على أي حال، كان الفستان مناسباً تماماً، وخرجت من غرفة القياس كي تعطيني رأيها. وقفت هناك أشعر بالخجل الشديد والسرور. ثم سألتها: «هل تعتقدين أنه يجعل الوركين يبدوان أكبر من اللازم؟» فأجابت ببطء: «آني؟ أنا لا أعتقد حقاً أن لديك هذا النوع من الوقت».

ولا أعتقد أن لديكَ هذا النوع من الوقت أيضاً. لا أعتقد أن لديك وقتاً تضيعه في عدم الكتابة لأنك تخشى ألا تكون جيداً بما فيه الكفاية، ولا أعتقد أن لديك وقتاً تضيعه مع شخص لا يرد عليك بلطف واحترام. لا تريد أن

تقضي وقتك مع أشخاص يجعلونك تحبس أنفاسك. لا يمكنك أن تملأ الصفحات عندما تحبس أنفاسك. والكتابة تتعلق بالامتلاء، الامتلاء عندما تكون فارغاً، والسماح للصور والأفكار والروائح بالتدفق مثل الماء - تماماً مثلما تتعلق الكتابة أيضاً بالتعامل مع الفراغ. يدمر الفراغ عدداً كبيراً من الكتّاب الذين لا يحظون بمساعدة صديق أو زوج.

يوجد في صفي دائماً مبتدئ أو اثنين ممن هم بحاجة إلى أشخاص يقرؤون مسوداتهم ويرتقون إلى مستوى الحدث باحترام وتشجيع. يحاول المبتدئون دائماً حصر حياتهم كلها في عشر صفحات، ودائماً ما يكتبون بشكل صارخ عن أنفسهم، حتى لو جعلوا بطلة أعمالهم فرس سباقٍ مع أم مدمنة على الكحول وتنوح كثيراً. لكن المبتدئين يتعلمون أصول اللعبة ويلزمهم التشجيع للحفاظ على حركة أيديهم فوق الصفحات.

إذا نظرت حولك، أعتقد أنك ستجد الشخص الذي تحتاجه. نجح كل كاتب عرفته تقريباً في لقاء شخص يمكن أن يكون صديقاً وناقداً في الآن معاً. وستعرف متى يكون هذا الشخص مناسباً لك ومتى تكون أنتَ مناسباً لذلك الشخص. لا يختلف الأمر عن إيجاد رفيق، حيث تبدأ في الشعور رويداً رويداً بأنك وجدت الشيء الذي كان ينتظر هناك طوال الوقت.

الخطابات

عندما لا يكون بوسعك فعل شيء آخر وتشعر أنك محاصرٌ فعلاً ويقتلك اليأس ونبذ الذات والملل لكن لا يمكنك إهمال عملك لفترة من الوقت والانتظار، فمن المرجح أن تحاول سرد جزء من تاريخ حياتك - جزء من تاريخ حياتك الشخصية - على شكل خطاب. إن الطابع غير الرسمي للخطاب قد يحررك من استبداد السعي إلى الكمال.

يمكنك توجيه الرسالة إلى أطفالك إن كان لديك أطفالاً، أو إلى ابنة أخ أو ابن أخ أو صديق. اكتب اسم ذلك الشخص أعلى الصفحة، ثم وضح في السطر الأول أنك ستخبرهم جزءاً من قصتك، وتودعه معهم، لأن هذا الجزء من حياتك يعني الكثير بالنسبة لك.

إن من أفضل المقالات التي خرجت من صفوفي كتبها أشخاص أرادوا إخبار أولادهم عن طفولتهم، أو عن طفولة أطفالهم، وكيف عاشوا السنوات قبل ولادة هؤلاء الأطفال، ثم عن ذلك المنزل الأول الذي عاشت فيه الأسرة أسفل التل بالقرب من الكنيسة البيضاء الصغيرة، أو عن تلك السنوات التي قضوها في فرق السلام، في تلك القرية الأفريقية الرائعة الصغيرة، أو كيف كان العمل على متن سفينة لصيد الحيتان في الأربعينات. كتب رجل في أحد صفوفي، ترعرع وسط أسرة من المعمدانيين الذين يغسلون الأقدام، كتب رسالة من مئتي صفحة إلى أطفاله حول أيام طفولته في الجنوب، وكيف هرب، وعن سنواته التي قضاها في صيد الحيتان في ألاسكا، حيث عرف

الله وآمن به وكيف التقى بوالدتهم في الميناء. كتبت امرأة في صف درّبته قبل سنوات عديدة رسالة طويلة بطول الرواية إلى ابنتها عن حياتها التي عاشتها في العمل ممرضة صينية أمريكية تعيش في ساو باولو؛ وتضمنت الرسالة كل ما أمكنها أن تتذكره بعد أن رأته وعاشته وفكرت به. قرأت جزءاً منه أمام الصف. لقد كان خطاباً جميلاً وحميماً، مضحكاً في مواضع وحزيناً في مواضع أخرى. حتى انهمرت دموع الحاضرين. ثم استخدمت خطابها كمعالجة لحبكة رواية كتبتها.

طلب مني محرر مجلة مؤخراً أن أكتب مقالاً عن كوني من مشجعي فريق جاينتس طوال حياتي، وهو ما كنت عليه بالفعل، لكن القلق بشأن النشر جعل ذهني فارغاً فجأة. كل ما استطعت تذكره في البداية هو الدخول إلى مطبخ المنزل الصغير بلون القهوة حيث نشأت لأجد والدتي وأخي الأكبر منكبين فوق المذياع يستمعان إلى تعليق عن لعبة لفريق جاينتس بتركيز كبير لدرجة أنها ربما كانت بأهمية أول تقارير إخبارية ترد من بيرل هاربر. كم تمنيت أن أخبر سام عن قصص إعجابي بهذا الفريق، لأنني لم أرغب في أن يضيع هذا الجانب من حياتي، لكن عندما بدأت، كانت تلك الصورة هي كل ما أتذكره حقاً. لذلك رحت أتحدث إلى المعجبين الآخرين حول ما يتذكرونه، وبدأ كل شيء يعود إلى ذاكرتي: المساحة المعلقة الضخمة ذات اللون الأخضر الساطع لملعب كانديلستيك بارك، وكيف كان الذهاب إلى هناك أشبه بالدخول إلى عالم أوز. أو أشبه باكتشاف جرينلاند! تذكرت القلق من أن الأمر يتطلب عشرين لاعباً بالتأكيد لتغطية كل تلك المساحة، ومع ذلك لم يكن هناك سوى ثلاثة لاعبين.

«عزيزي سام»، كتبت في رأس الصفحة، «أريد أن أخبرك عن عشقي لفريق سان فرانسيسكو جاينتس عندما كنت طفلةً صغيرَة». بدلاً من

تخيل المحرر وهو ينظر بعين الشك من فوق كتفي بينها أكتب، تخيلت سام جالساً ليقرأ هذا يوماً ما، كم سيكون سعيداً لأنني كتبت هذا. حدثته عن ذكرياتي مع الطين المحمرّ الغريب على مسارات القاعدة، وطلقات تدريبات الضرب، والشعور بأنك جزء من الجماهير الطيّبة، وجزء من الشعور الجماعي، وجزء من ضربات القلب الجماعية. اتصلت بالأصدقاء وقارنت الملاحظات حول الشعور بأن تكون جزءاً من صراع كبير، حيث يفوز الناس ويخسرون وينتصرون ويُذلون، وتلك المرة لم يحدث الأمر لك أنت. ثم أخبرت سام عن هذا على الورق. تحدثت إلى الأشخاص الذين تذكروا شعورهم عند مشاهدة ركلة خوان مارشال العالية المستحيلة، وويلي ماكوفي، أفضل ضارب رآه الكثيرون منا على الإطلاق، وجايلورد بيري مع كراته الصغيرة المحتالة المبللة بلعابه، كان يبدو لئيماً مزمجراً ومتعرقاً لدرجة أنه بدا كما لو أنه خرج مباشرة من بلاد الطين الأحمر في جورجيا. ثم تذكرت المرة الأولى التي رأيت فيها ويلي مايس في مركز الملعب، وكان الأمر أشبه برؤية يسوع هناك. كنت في الخامسة من عمري. ذكر شخص ما في إحدى مكالماتي الهاتفية تيتو فوينتيس، وتذكرت كل شيء، كم أحببته وشعرت أننا قد نتزوج يوماً ما، وكم أحببت أن أصرخ باسمه مع اسم أي شخص آخر، «تيبيي تو، تيبيي-تو»، وكم جعلني هذا أشعر بأنني إحدى شخصيات فيلم «قصة الحيّ الغربي».

شيئاً فشيئاً، وعبر إخبار سام بكل هذه التفاصيل، تمكنت من رؤية أهم نقطة في لعبة البيسبول، وهي أنها يمكن أن تعيد لنا أنفسنا. نحن حيوانات جماعية، نوع قطيعي للغاية، نوع تواصلي، لكن الثقافة والعمر وكل الخوف الذي يملأ أيامنا وضع الجميع تقريباً في صناديق صغيرة، كل واحد منا على حدة. لكن يمكن للعبة البيسبول، إذا أحببناها، أن تعيد لنا مكانتنا بين

الحشود. إنها ترممنا.

وهكذا، كتبت كل هذا في رسالتي إلى سام، ونسجت الذاكرة والتفاصيل والحقائق والمشاعر نفسها شيئاً فشيئاً معاً. مثل لقطة الكاميرا الفورية، ظهرت الرسالة، ومنها المقالة، واضحَة ومشرقَّة، مليئَة بالروائح والأصوات، ومليئَة بالأمل، لأن لعبة البيسبول تنبض بالأمل مثل الحياة، وإلا لما كانت موجودة، وكانت مليئة بي ليقرأها سام وأطفاله في يوم من الأيام.

حبسة الكاتب

يعاني الكاتب بعض التجارب المحبطة كتلك الحالة القاحلة المقلقة المعروفة باسم حبسة الكاتب، حيث تجلس محدقاً في صفحتك الفارغة مثل جثة، وتشعر عقلك وقد تحجّر، وأن موهبتك تهرب من ساقك إلى جوربك. أو تنظر إلى الملاحظات التي كتبتها مؤخراً على صفحاتٍ صفراء أو بطاقات فهرسة، وتبدو لك وكأنها شيء دوّنه ريتشارد سبيك [قاتل جماعي] في الليلة السابقة. ويتضح في الوقت نفسه أن أقرب صديق لك في الكتابة يعيش قمة لحظات نجاحه وينشر القصص وسيناريوهات الأفلام وكتب الأطفال وحتى رواياتٍ مثل مصنع مجنون لحاملات الأواني، يرمون حاملات الأواني من النوافذ لأنه ببساطة لا توجد مساحة كافية في الداخل لمثل هذا الإنتاج المجيد.

سوف تصاب بحبسة الكاتب بلا شك. سوف تقرأ القليل الذي كتبته مؤخراً وترى بوضوح تام أنه مجرد كلام فارغ. قد تتوقف مرحلة الهوس المثمر بسعادةٍ وتدرك فجأة أيضاً أنك وايل إي كايوتي [شخصية كرتونية] تركض خارج الجرف وعلى بعد ثانية من الاضطرار إلى النظر إلى أسفل. أو أنك لم تتمكن من كتابة أي شيء على الإطلاق لفترة من الزمن. سوف يصيبك خوفٌ من عدم الكتابة مجدداً وحينها لن تشعر فقط بالضياع وعدم القدرة على العثور على القليل من فتات الخبز الذي يكشف المسار الذي كنت عليه، بل ستعاني أيضاً من أدنى مستويات طاقتك وإيمانك. قد تشعر كما لو أن كتابة

رواية تشبه محاولة تسوية جبل ماكينلي بحفارة طبيب الأسنان. تبدو الأشياء قانطة، أو على الأقل كئيبة، وأنت لست واسع الخيال أو منظماً بما يكفي لتشق طريقك نحو رؤية أفضل، ناهيك عن بعض الاستنتاجات المثيرة للاهتمام: فأنت تعرف من أين أتت كل فكرة واقتباس وصورة؛ جميعها قديمة. أنت على دراية بما تقوله حتى أن كلماتك تبدو مألوفة ومبتذلة تماماً. يشبه الكتّاب المكانس الكهربائية، بوسعهم شفط كل ما يمكنهم رؤيته وسماعه وقراءته والتفكير فيه والشعور به والتعبير عنه، وكل ما يمكن لأي شخص آخر أن يسمعه ويراه ويفكر ويشعر به. نحن مقلدون، نحن ببغاوات – نحن كتّاب. ومعرفة مصدر كل ما لدينا يحرمه من سحره لأن النص يبدو عادياً ومبتذلاً حينئذٍ ولم يكن عليك اكتشافه لأنه كان موجوداً أساساً هناك ويراه الجميع. قد تشعر أنك تحاول اعتبار وجبةٍ جاهزة طبخاً منزلياً.

لقد مررنا جميعاً بهذا الشعور، ويبدو الأمر وكأنه نهاية العالم. إنه أشبه بطائر قرقف صغير يصاب بقنبلة هيدروجينية. لكن إليك ما في الأمر. لم أعد أفكر في الحالة على أنها حبسة. أعتقد أننا ننظر إلى المشكلة من الزاوية الخاطئة. إذا حبستك زوجتك خارج المنزل، فلن تواجه مشكلة في بابك.

توحي الكلمة حبسة بأنك مصاب بالإمساك أو عالق، في حين أنك في الحقيقة فارغ. كما قلت في الفصل الأخير، يمكن لهذا الفراغ أن يدمر بعض الكتّاب، كما يفعل العار والإحباط اللذان يصاحبانه. تشعر أن آلهة الكتابة أعطتك الكثير من الأيام الجيدة، وربما بعضها كانت كافية لكتابة كتاب جيد ثم جزء من كتاب آخر. لكنك الآن تمر ببضعة أيام أو أسابيع من الفراغ، كما لو أن آلهة الكتابة تقول فجأة: «يكفي! لا تزعجيني. لقد أعطيتك أقصى ما بوسعي! أرجوك. لديّ ما يكفي من مشاكلي الخاصة».

تكمن المشكلة في القبول، وهو شيء تعلمنا ألا نفعله. اقد تعلمنا تحسين

الأوضاع غير المريحة، وتغيير الأشياء، وتخفيف المشاعر المزعجة. لكن إذا قبلت الحقيقة التي أعطيت لك - وهي أنك لست في فترة إبداعية منتجة - فأنت تحرر نفسك لتبدأ بالامتلاء مجدداً. أشجع طلابي في مثل هذه الأوقات على كتابة صفحة واحدة من أي شيء، وثلاثمئة كلمة عن الذكريات أو الأحلام أو تدفق الوعي وعن مدى كرههم للكتابة - فقط لأجل المتعة، ولأجل ألا تتصلب أصابعهم بسبب التوقف عن العمل، وفقط لأنهم وعدوا بمحاولة كتابة ثلاثمئة كلمة كل يوم. لذلك دع الأمور تسير على هذا النحو في الأيام والأسابيع السيئة.

أذكر نفسي كل يوم تقريباً بشيء أخبرتني به طبيبةٌ قبل ستة أشهر من وفاة صديقتي بامي. كانت هذه الطبيبة تعطيني دائماً إجابات مباشرة. عندما اتصلت في تلك الليلة بالذات، كنت آمل أن تتمكن من إعطائي ملاحظة إيجابية عن بعض التطورات المحزنة. لم تستطع، لكنها قالت شيئاً غيّر حياتي. قالت: «راقبيها جيداً الآن، لأنها تعلمك كيف تعيشين». أذكر نفسي بهذا عندما أفشل في إنجاز أي عمل: أن أعيش كما لو كنت أموت، لأن الحقيقة هي أننا جميعاً في محطة انتظارٍ لهذه الحافلة. يمنحنا العيش كما لو كنا نحتضر فرصة لتجربة بعض الوجود الحقيقي. الوقت ممتلئ جداً لدى الأشخاص الذين يحتضرون بطريقة واعية، تماماً كما هي حياة الأطفال ممتلئة. يقضون ساعات طويلة على مدارها. لذا، بدلاً من التحديق ببؤس إلى شاشة الكمبيوتر في محاولة لشق طريقي نحو تحقيق إنجاز عبقري، أقول لنفسي: «حسناً، هممم، لنرى. سأموت غداً. فماذا علي أن أفعل اليوم؟» حينئذٍ يمكنني أن أقرر قراءة والاس ستيفنز طوال الصباح أو الذهاب إلى الشاطئ أو مجرد المشاركة في شؤون الحياة العادية. إن أي من تلك النشاطات ستطلق عملية إعادة تعبئتي احتياطياً بالملاحظات والنكهات والأفكار والرؤى والذكريات. قد

أرغب في الكتابة في آخر يوم لي على الأرض، لكنني أيضاً سأكون على دراية بالخيارات الأخرى التي قد تبدو أقل إلحاحاً. أود أن أبقي ما أفعله بسيطاً أياً يكن. وأود أن أكون حاضرة الذهن.

في البداية، عندما تشرع من جديد في العمل، سيظهر مليون سبب يدفعك لعدم الكتابة والاستسلام. ومن هنا تكمن الأهمية القصوى للالتزام بإنهاء المقاطع والقصص وأن تسير فيها حتى النهاية. ستلاحقك الأصوات المحبطة - سيقولون: «هذا كله هراء»، وربما هم على حق. ما تفعله قد يكون مجرد تدريب. ولكن تلك هي الطريقة التي تجعلك تشعر بتحسن، ولا فائدة من التدريب إذا لم تنجز ما بدأته.

لقد مررت بأزمة ثقة حقيقية عند بلوغي ثلثي الطريق خلال روايتي الأخيرة. والسبب هو أنني تلقيت سبعة وعشرين تقييماً سيئاً على التوالي عن روايتي السابقة، جعلتني أفقد ثقتي تماماً بمهاراتي وبمتعة النشر. لكن خلال أزمة الثقة هذه، التزمت بشخصيات الرواية الجديدة، بدلاً من الكتاب نفسه. لذلك كنت أقضي بعض الوقت على مكتبي كل يوم، فقط لأكتب ذكريات عائلتي وشبابي. ذهبت للتنزه والكثير من عروض السينما الصباحية، وقرأت. قضيت أكبر قدر من الوقت في الهواء الطلق بينما كنت أنتظر أن تفتح ذاتي اللاواعية باباً وتومئ لي.

وقد فعلت أخيراً. لم أكن أمضي لحظات جميلة في سينما هولمارك عندما شددت كتفيّ مع ابتسامة كبيرة، ونفضت الغبار عن يدي القديمتين وعدت إلى العمل. خلا عن ذلك، كان الأمر أشبه بالإصابة بالزحار الأميبي. كنت جالسّة هناك أفكر في عملي، ثم في اللحظة التالية هرعت إلى مكتبي بإلحاح لم أكن أعتقد حينها أنه ممكن.

إنه شعور يساعدك على الاستقالة من منصب المتحكم في مصيرك. إن كل

تلك الطاقة التي نبذلها للحفاظ على سير الأمور في سياقها الصحيح ليست ما يجعل الأمور تسير في سياقها الصحيح. نحن حشرات نكافح للعيش قرب النهر، على مرأى من عيون سمك السلمون المرقط في الأسفل. مع وضع هذه الحقيقة في الاعتبار، يقوم أشخاص مثلي بتكوين كل هذه القواعد لنحظى بوهم الشعور بأننا مسؤولون. أحتاج أن أقول لنفسي، لسنا بحاجة لها عزيزتي. استمتعي فقط بما لديك. كوني لطيفةً مع الآخرين، اختاري بقعة من الأعشاب النهرية، وتأملي جمال أرجل الحشرات التي تملكينها الآن.

كل القصص الجيدة تنتظر أن تُروى بطريقة جديدة وبرية. يقول مارك توين إن آدم كان الرجل الوحيد الذي إن قال شيئاً جيداً، كان يعلم أن أحداً لم يسبقه إليه من قبل. والحياة تشبه مركز إعادة التدوير، حيث يعاد تدوير كل الاهتمامات والدراما للبشرية مراراً وتكراراً عبر الكون. ولكن ما عليك أن تقدمه هو رهافة إحساسك، وربما حس الفكاهة الذي تملكه أو العواطف الداخلية أو المعنى. يمكننا جميعاً أن نغني الأغنية نفسها، وسنجد لها أربع مليارات أداء مختلف. سيغنيها بعض الناس بشكل عفوي مع الكثير من الانفعالات العاطفية، بينما يتدرب الآخرون بتركيز شديد كي يتمكنوا من غنائها على مسرح مانهاتن. في كلتا الحالتين، كل ما نحتاجه من أجل سرد قصصنا بطريقة معقولة ومثيرة موجود للتو داخل كل واحد منا. كل ما تحتاجه موجود في عقلك وذكرياتك بكل ما تحمله حواسك وكل ما شهدته وفكرت فيه واستوعبته. هناك في اللاوعي، حيث يستمر فعل الخلق الحقيقي، ذلك الطفل الصغير أو مخلوق دكتور سوس القابع في السرداب يرتّب الأشياء ويُحيكها معاً. عندما يكون هذا الكائن جاهزاً لتسليم الأشياء إليك وإعطائك فقرة أو حركة مفاجئة تقوم بها إحدى الشخصيات ومن شأنها تغيير مسار روايتك بالكامل، فسوف تمنح كامل ثقتك لهذا الكائن.

وبالتالي في أثناء انغماسه في أعمال الحياكة، بوسعك أنت استنشاق بعض الهواء النقي. أنجز مهمة كتابة ثلاثمئة كلمة، ثم اخرج في نزهة على الأقدام. وإلا سترغب في الجلوس وتحاول المساعدة، وهذا لا يُفيد إلا في عرقلة الطريق. لا يمكن للوعي أن يعمل عندما تضيق الخناق عليه وتراقبه عن كثب. ستجلس هناك وتكرر السؤال بلا كلل أو ملل: «ألم تنتهي بعد، ألم تنتهي بعد؟» لكنه يحاول أن يقول لك بلطف: «اخرس واغرب عن وجهي».

الجزء الرابع

النشر - وأسباب أخرى للكتابة

كتابة هدية

إنّ النشر لن يغير حياتك أو يحل مشكلاتك. ولن يزيدك النشر ثقة بنفسك ولن يزيدك جمالاً، وعلى الأرجح لن يجعلك أكثر ثراءً. سيكون هناك الكثير من الإثارة والتحضيرات الطويلة جداً حتى يوم النشر، ثم سرعان ما تنتهي الاحتفالات بلمح البصر. سنتحدث عن كل هذا بإسهاب بعد قليل. في هذه الأثناء، دعونا نناقش بعض الأسباب الأخرى التي تدفعنا للكتابة والتي قد تفاجئ الكاتب عموماً والكاتب الذي لم يتخل عن حلم النشر على وجه الخصوص. توجد مساحات شاسعة تزخر بإمكانية الفوز بجوائز غنية يمكن لها أن تغير بالفعل حياتك وإحساسك بذاتك وشعورك بالوفرة. (فجأة، بت لا أذكر إن كان مسموحاً لنا استخدام كلمة «وفرة» في كاليفورنيا بعد الآن. علي أن اعود إليك بشأن هذا لاحقاً).

لقد كتبت مرتين حتى الآن كتباً بدأت كهدية لأشخاصٍ أحببتهم وكانوا على موعدٍ مع الموت. أخبرتكم القليل عن تشخيص إصابة والدي بسرطان الدماغ، كيف أصبح لدي فجأة قصة حزينة أرويها. لقد كانت قصة غنية بالدراما والفكاهة، عن أب وأبنائه الثلاثة يعيشون في مدينة صغيرة مليئة بالهبيين المسنين والمتطرفين أصحاب الصناديق الائتمانية، والفنانين، وجماعة العصر الجديد، والناس العاديين، أياً كان معنى ذلك. وفجأة دون سابق إنذار، سُحب البساط فجأة من تحت أقدام عائلتي، عندما بدا أن الأب يعاني من مرض عضال وكان في الواقع يمضي مسرعاً نحو حتفه.

لذلك رحت أكتب عن حياتنا الجديدة. لقد سجلت اللحظات التي حاول أخوتي فيها مساعدة والدنا، ومساعدة بعضنا البعض، ومحاولاتنا للحفاظ على روح الدعابة بيننا، وإيجاد معنى لكل ذلك، وأن نقول ما يدور في أذهاننا حقاً. كان ثمة الكثير من الأوصاف لسكان المدينة والمناظر الطبيعية التي كتبت عنها وما زلت أحبها ويمكنني استخدامها. لكن أفضل النصوص كانت عما كان يمر به والدي وإخوتي في ذلك الوقت، وفي تلك اللحظة. كتبت الأشياء المضحكة التي قالوها، اللحظات المشوبة بالعاطفة، والفكاهة السوداء، وغرابة كل ما يجري أمامي. ثم بدأت في صياغة تلك المواد في قصص قائمة بذاتها. عرضتها على والدي الذي اعتقد أنه من الرائع أن يتحول كل هذا الألم والخوف والخسارة إلى قصة حب وصراع للبقاء. كان يعيد إليّ صفحاتي ويرفع قبضته محيياً تحية القوة السوداء ويبتسم.

كان هذا كافياً لدفعي على الاستمرار. بمعنى آخر، كنت أرسل له رسالة حبّ. لم يحصل أبداً على نسخته من القصة المكتوبة، لكن المعجزة هي أنني أنهيت نسختي بينما كان دماغه لا يزال حيّاً. كان مقدراً له أن يقرأ القصة كاملةً. وعرفَ أنه وقصته سوف يظهران إلى الوجود بعد فترة طويلة من خلعه بدلة الحياة والرحيل بعيداً.

والدافع آخر لكتابة الرواية الأولى هو أنني وجدت نفسي يائسًة من الكتب التي تتحدث عن السرطان بطريقة من شأنها أن تضيء التجربة وتجعلني أضحك. لكن لم يكن عددها كبيراً. في الواقع، لفت انتباهي كتاب واحد فقط، وهو كتاب فيوليت وينجارتن إيعازات الموت، وهي يوميات عن علاجها الكيميائي، والتي اقتبست منها مقتطفات لكتابي: «هل الحياة أقصر من أن تؤخذ على محمل الجدّ، أم أن الحياة أقصر من أن نقلق بشأنها؟» قرأت الكتاب مراراً وتكراراً، قرأته بصوت عالٍ لإخوتي عبر الهاتف، ثم ذهبت إلى

المكتبة وقلت: «هل لديك كتب أخرى مضحكة عن السرطان؟» ونظروا إلي وكأنهم يقولون: « نعم بالطبع توجد هناك بالقرب من كتب الكوميديا حول السِّنْسِنَة المشقوقة [عيب خلقي]». وتبين أنها غير متوفرة لديهم. إن نشر كتاب عن تجربتنا، يُظهر محاولة العائلة الحفاظ على مرحها في مواجهة هذه العملية الساحقة، بدا وكأنه هدية مرحب بها من قبل أشخاص آخرين لديهم أقارب مرضى. وهذا كل ما سعيت لفعله؛ أن أروي قصة عائلتنا، لأنه في ظل وجود قدر ضخم من دعم الأصدقاء تمكنا من بسط أجواء الضحك والمرح التي غلفت كل مشاعر الخوف والخسارة. لقد ساعدت والدي على تمضية أفضل شهور ممكنة قبل وفاته وأفضل موت ممكن. أستطيع أن أقول في الواقع أنها كانت رائعةً. قاسية ومحبطة في كل لحظة، لكنها رائعة.

لم يعجب الجميع بكتابي، بالطبع. ونشرت بعض التقييمات الفظيعة. وكانت المفضلة لديّ من بينها ما نشرته إحدى الصحف في سانتا باربرا، والتي ذكرت أن حس الفكاهة الأسود لدينا جعلنا نبدو كعائلة آدامز من جماعة العصر الجديد. كتب محرري ملاحظةً مرفقة بالمقال: «هذا تقييمك في صحيفة سانتا باربرا، حيث لا يموت الناس أبداً».

بعد مضي خمسة عشر عاماً، شخصت إصابة صديقتي بامي بسرطان الثدي. كنت أحتفظ بدفتر يوميات عن ابني، وكانت بامي تساعدني في تربيته، لذا فقد ظهرت بالفعل في معظم ما كتبته في ذلك الدفتر. واتضح فجأة أنها لن تبقى معنا. لذلك رحت أنسخ النصوص التي وردت في دفتر اليومية وأرسلتها إلى وكيل أعمالي. كان سام يكبر شيئاً فشيئاً ويزداد سقم بامي سوءاً شيئاً فشيئاً. كنت أكتب بأسرع ما يمكن، محاولةً أنهاء الكتاب في الوقت المناسب كي تتمكن من قراءته. ولقد نجحت. أعطيتها نسخة مكتملة قبل أربعة أشهر من وفاتها. كانت رسالة حب أخرى موجهة في معظمها لها

ولسام ولابنتها ريبيكا. عرفت بامي أن ثمة شيء ما سيخلق على الورق بعد رحيلها، شيء يجسد، بطريقة ما، جزءاً من خلودها.

وللمرة الثانية كان جزء مني يؤمن أن يومياتي يمكن أن تكون هدية للآخرين، وللأمهات العازبات. وعندما ولد سام لم أتمكن من العثور على أي كتب عن الأمهات العازبات من النوع المضحك والمقزز وبالتالي الصادق. وجدت بعض الكتب الرائعة عن تربية الأطفال، لكن لم يضحكني أي منها، ولم يذكر فيها أي شيء عن الجانب المظلم من الحكاية، كحكاية الختم السابع مع حمالات الصدر المبللة بالحليب. كانت جميعها كتباً لطيفة جداً وعقلانية وتقترح أنك بالتأكيد إذا فعلت هذا أو ذاك، فإن الحبيب الصغير المصاب بمغص دائم سيكون سعيداً وسوف يهدأ ويسيطر على نفسه. وهذا ببساطة لم يكن صحيحاً البتة. إن إنجاب طفل يشبه الحصول فجأة على أسوأ رفيقة سكن في العالم، مثل إقامة جانيس جوبلين معك وهي تعاني من صداع الكحول وتصاحبها أعراض متلازمة ما قبل الدورة الشهرية. أوصت جميع كتب تربية الأطفال المتاحة بأشياء مثل الضجيج الأبيض لتهدئة عويل العلماء الصغار. لذلك كنت أجلس بجانب سام وأشاهد معه شريط فيديو لـ سييرا كلوب عن الأنهار في الليل وعن الصراصير والبوم والضفادع، وكان ينظر بقلق للحظة، وكأنه يقول: «هل فقدت عقلك؟ لماذا لا تشغلين لي شريطاً عن عراك أسماك القرش؟» وبعد ذلك يشرع في البكاء حقاً.

كنت سأشعر بارتياح شديد لو وجدت كتاباً كتبته أم أخرى تعترف فيه بأنها أرادت أحياناً أن تمسك بطفلها من كاحليه وتؤرجحه فوق رأسها مثل لعبة بولو. لذا فقدت تحمست وشرعت في كتابة واحد بنفسي، كهدية، أو كنوع من خارطة الطريق للأمهات الأخريات.

كنت سأشعر بالارتياح أيضاً، لو أنه بعد مرض بامي عندما كان عمر

سام ثمانية أشهر، وجدت كتاباً يتحدث عن فقدان أفضل صديق لك وأن يكون صادقاً لكنه مضحك أيضاً. لذلك انتهى بي المطاف بمحاولة كتابة هذا أيضاً كي أنسج هاتين القصتين معاً عن سام وبامي، لكليهما ولأي شخصٍ يعرف شخصاً مثل أي منهما.

وبعد مضي سنتين، وبعد بضعة أشهر من وفاة بامي، ولد لصديقين مقربين لنا طفل يعاني من مشاكل صحية كثيرة لدرجة أنه توفي قبل أن يكمل خمسة أشهر من عمره. بدأت أتساءل عما إذا كنت أقوم نوعاً ما بدور الحمّال. قضيت أنا وسام الكثير من الوقت مع الوالدين وابنهما الصغير. لقد توليا الأمر بشكل رائع وعلّماني الكثير، وعلمني ابنهما الكثير لدرجة أنني أردت أن يعرفه الآخرون أيضاً. أردت أن أكتب عن الأمر كهدية للوالدين، حتى تستمر ذكرى هذا الطفل في العيش معنا. لذلك طوال تلك الأشهر التي كان فيها برايس على قيد الحياة، عمدت إلى تدوين الملاحظات على بطاقات الفهرسة، دون أي فكرة عما إذا كنت سأكتب قصة عنه بالفعل. راقبت كل ما يحدث بداخلي: كيف اعتقدت تلقائياً أن الانغلاق آمن، لكن البقاء منفتحاً ومحباً أكثر أماناً في الواقع، لأننا عندئذٍ نصبح متصلين بكل تلك الحياة وذلك الحب. وراقبت سام يرعى برايس ودونت بعضاً من هذا على بطاقات الفهرسة. شعرت بالخجل والعار لأن الكثير مما كتبته مؤخراً يتعلق بالمعاناة والموت، لكنني سمحت لنفسي بتدوين الملاحظات على أي حال.

رحل برايس في مايو. بعد شهرٍ أو نحو ذلك، أتيحت لي الفرصة لكتابة مقال مدته ثلاث دقائق لبرنامج إذاعي عن أي شيء أريده، وسألت والدي برايس إن كان الأمر يبدو انتهاكاً للخصوصية إذا كتبت عن ابنهما. فأجابا: لا، على العكس. لذلك جلست مع بطاقات الفهرسة، ونظرت في إطار الصورة مقاس بوصة واحدة، وبدأت في الكتابة:

رأى سام شخصاً ميتاً لأول مرة الشهر الماضي. أنجب صديقين لنا طفلاً، لكنه توفي، وذهبنا لقضاء الصباح معهما ومع جسد ابنهما. كان عمره خمسة أشهر ووزنه ثمانية أرطال، أقل من العشرة التي وزنها عند الولادة. كان يرتدي ثوب المعمودية الأبيض، ووضع في سلة كبيرة فوق سريره مغطى ببتلات الزهور من الخصر إلى الأسفل، وكان يشع بياضاً مثل الوردة. وضعت الأزهار والأيقونات في كل مكان، وتماثيل بوذا وصور قداسة الدالاي لاما (لأن والدته بوذية) ولوحات ليسوع (لأن والده مسيحي). بدا برايس وكأنه ملاك صغير مهموم جاء من مكانٍ ثلجي. لم يستطع أي منا، بما فينا سام، أن نرفع أعيننا عنه. كان يشبه إلهاً صغيراً.

«أنت ماذا؟» سألني أقاربي عندما ذكرت هذا. «أخذت سام ليرى ماذا؟» وما الذي تنوين أخذه لمشاهدته لاحقاً إذاً؟ جراحة في المخ؟ لم أستطع أن أشرح لما ظننت أن الأمر صائبٌ، باستثناء أنني تعلمت أن أكون مرعوبةً من المرض والموت (خاصة الموت المبكر وأيضاً من الشيخوخة، يا للسخرية) وأعتقد أن هذا أضرّ بحياتي بشكل كبير. وأنا بالطبع أريد الأفضل لسام.

لقد مات الكثير من أصدقائي بسبب السرطان والإيدز. لكن بريس كان أول شخص ميت رآه سام على الإطلاق. لا يبدو سام خائفاً. ربما لأن برايس بدا جميلاً في موته. لقد كان له خبرة قديمة مع ذلك: لقد مات أثناء الولادة وأنعش بعد سبع دقائق، وهكذا ولد مرة أخرى، لكن اتضح أنه قد رحل لفترة طويلة. كانت عيناه رماديتان عميقتان ومفتوحتان دائماً، ولم يبكِ أبداً أو يبتسم أو حتى يرمش بعينه..

أطلق عليه أصدقاء والدة برايس البوذيون اسم طفل السحاب لأنه كان معلقاً بين السماء والأرض، لا هنا ولا هناك. طبخ أصدقاء والده المسيحيون الكثير من الطعام. حمله الجميع وهدهدوه. قضيت أنا وسام الكثير من

الوقت في القراءة له، وغالباً قصص الدكتور سوس.

«إنه طفلٌ طيب»، أكد سام لوالدي برايس في أحد الأيام. لقد أحضرا برايس إلى المنزل عندما كان عمره ثلاثة أسابيع دون أن يكون لديهما أي فكرة عما يفعلانه على الإطلاق، لكنهما رفضا أن يموت في المستشفى. لقد أرادا فقط أن يكون في المنزل معهما ومع الأصدقاء. كان من الرائع أن أكون جزءاً من هذا. رأى بعض الناس أن ولادة برايس مأساة، واعتقدوا أن والديه مجنونان لعدم تركه في المستشفى. شعر بقيتنا بحزن شديد ولكن رافقه شعور بأننا في حضرة شيء مقدس أيضاً، شيء لا علاقة له بالشخصية أو العمر.

«إنه طفل طيب.» أخبرني سام ذات يوم في السيارة، بعد أن قرأنا لبرايس لبعض الوقت. «لكنه مدلل قليلاً»

عندما رحل برايس، اتصل والداه وسألا عما إذا كنت سأحضر أنا وسام. كانا حزينين لكنهما بخير. أحضر سام للطفل هديتين في ذلك الصباح ووضعهما في السلة. إحدى الهديتين كانت كرة، في حال رغبت بلعب الكرة على الجانب الآخر. والأخرى سيارة صغيرة للسفر عبر الزمن، من فيلم عودة إلى المستقبل. وقفت أنا ووالدا برايس مشدوهين نحك رؤوسنا بذهولٍ أمام ذلك المشهد.

بعد مغادرتنا ذلك الصباح، اصطحبت سام إلى ملعب محلي للبولينج. لقد كانت سابقة كبيرة أخرى بالنسبة له. كان كل شيء سخيفاً وحقيقياً لدرجة أنه شعر بأنه مقدس. لعبنا في ممر الأطفال لمدة ساعة. «إلى أين اصطحبته ؟» سألني أقاربي. ولم أتمكن حقاً من شرح السبب. كان للأمر علاقة بالرغبة في التخلص من الجدية والوقار، والرغبة في استكمال دورة الحياة والموت. البولينج هي الحياة في اللحظة الراهنة - فأنت تقذف الكرة وتسقط القطع الخشبية أحياناً. وأردت أيضاً أن أبين لسام أن المقدس لا يموت، بغض النظر

عن عدد الكرات التي تقذفها.

قرأت هذا لوالدي برايس قبل أن أقرأه على المذياع، فاتصلا بكل معارفهما وأخبروه عن موعد بثه، وقاما بتسجيله. وعلى الرغم من أن ابنهما سيبقى حياً دائماً في قلوبهم، مثل بقاء بامي ووالدي في قلبي كطريقة وحيدة للحفاظ على ذكراهم - فإن ثمة شيء يجب أن يقال لرسم ملامح الأشخاص الذين أحببناهم، ولمحاولة التعبير عن تلك اللحظات التي تبدو جميلة بشكل لا يوصف، تلك اللحظات التي تغيرنا وتزيدنا عمقاً.

تقول توني موريسون: «إن وظيفة الحرية هي تحرير شخص آخر»، وإذا لم تعد محطّماً أو عبداً لشخص ما أو أسلوب حياة، فعليك أن تروي قصتك. وخاطر بتحرير شخص آخر من عبوديته. لن يسعد الجميع بذلك. قد يتمنى أفراد عائلتك وغيرهم من النقاد لو أنك احتفظت بأسرارك. حسناً، ما الذي تنوي أن تفعله؟ دوّن كل شيء. دعه يتدفق منك على الصفحة. اكتب مسودة أولية تافهة للغاية منغمسة في الذات متذمرة ونائحة. ثم تخلص من أكبر قدر ممكن من الزيادات والمبالغات.

ثمة شيء واحد لم أخبرك به عن قصتي القصيرة الشهيرة «أرنولد» هو أنه بالإضافة إلى إرسالها كل بضعة أشهر إلى وكيل والدي، كنت قد أرسلتها أيضاً إلى محرر مجلة مهمة. فأعادها لي مع الملاحظة التالية: «لقد ارتكبت خطأ الاعتقاد في أن كل ما حدث لك مثير للاهتمام». وغني عن القول بالطبع أنني شعرت بإحراج شديد. لكن الملاحظة ساعدتني في الواقع لأنها لم تطلب مني التوقف عن الكتابة. ومع ذلك، فقد عشت قلقاً شديداً عندما شرعت في كتابة قصة مرض والدي، بسبب الخطأ الذي قال هذا المحرر أنني ارتكبته، والذي ارتكبته بالفعل. وحاولت بشدة ألا ارتكبه مجدداً. لذلك قمت أولاً بتدوين كل ما حدث لنا، ثم تخلصت من الأجزاء التي شعرت أنها شخصية

جداً. لم أكن أكتب الكتاب وإبهامي مشرعٌ للأعلى، أحاول ركوب أي وسيلة نقلٍ للدخول في التاريخ: أردت فقط أن أكتب كتاباً لوالدي قد يساعد أيضاً شخصاً آخر يعيش تجربة مشابهة. قد يعتقد بعض الناس أن هذا الكتاب كان شخصياً جداً واعترافياً للغاية. لكن لا شأن لي بما يعتقده هؤلاء الناس عني. تمكنت من نشر كتب عن والدي وعن صديقتي المفضل، وقد تمكنا من قراءتها قبل وفاتهما. أيمكنُك تخيلُ ذلك؟ لقد كتبت لجمهور مكون من شخصين أكنّ لهما كل الحب والاحترام، شخصين يكنان لي كل الحب والاحترام. كتبت لهما بعنايةٍ وعمق قدر ما أستطيع - وغني عن القول أنني كتبت بالطريقة التي كنت أتمنى أن أكتب بها طوال الوقت.

اكتشاف أسلوبك

سمعت شريطاً تسجيلياً ذات مرة تحدث فيه أحد الممثلين عن محاولة إيجاد الله في العالم المعاصر وكيف أصبحنا بتأثير من أجهزتنا نفسها نسعى بدلاً من ذلك إلى امتلاك الأشياء الدنيوية - الممتلكات والمال والمظاهر والسلطة - لأننا نعتقد أنها تشبع رغباتنا. لكن تبين أنها مزحة، لأنها مجرد مقتنيات عابرة وعندما نسجل خروجنا من هذه الحياة، علينا أن نعيدها جميعاً إلى المسؤول الكبير في السماء. حيث يقول: «إنها للإعارة فقط». «وليست لنا». لقد غيّر هذا الشريط شعوري حيال تقليد طلابي للكتاب المفضلين لديهم. لقد ساعدني ذلك في رؤية أنه من الطبيعي أن تستند إلى أسلوب شخص آخر ليكون كدعامةٍ تستخدمها لفترة قبل أن تضطر إلى إعادتها. وقد تأخذك إلى شيء ليس للإعارة، بل شيء حقيقي وصادق: صوتك أنت. (أسلوبك أنت).

غالباً ما أطلب من طلابي أن يكتبوا في الفصل سبب رغبتهم في الكتابة، ولماذا هم في صفي، وما الذي يدفعهم للقيام بهذا العمل الشاق والممل أحياناً. وفي كل مرة أسمع الجواب الواقعي نفسه: «لن أسمح لأحد بإسكاتي مرة أخرى». كانوا أولاداً طيبين، لطالما شعروا أنهم مهمشون ويشهدون بعض الأشياء الفظيعة. لكن في مرحلة ما توقفوا عن قول ما يشاهدونه لأنهم تلقوا عقاباً قاسياً حينما فعلوا. الآن يريدون إلقاء نظرة على حياتهم -بل على الحياة - ولا يسمحوا بإرسالهم إلى غرفهم عقوبة لهم لفعل ذلك. لكن من الصعب

جداً العثور على صوتهم الخاص ومن المغري اقتراض صوت شخص آخر.

في كل مرة تنشر إيزابيل الليندي كتاباً جديداً، أشعر بالسعادة لأنني سأقرأه، وأشعر بالحزن لأن نصف طلابي سيبدؤون في الكتابة بنفس أسلوبها. يعجبني عمل السيدة الليندي، كما أحب عدداً من كتّاب أمريكا الجنوبية والوسطى. عندما أقرأ كتبهم، أشعر كأنني أجلس حول نار المخيم ليلاً حيث يتبادلون قصصهم البرية – عن ساعات روب جولدبيرج المجنونة تلك وعن الكثير من الطيور والعذارى والصنوج والأجراس والصفارات. أفهم سبب انجذاب طلابي لهذا الأسلوب: إنه أشبه بالفن البدائي. إنه بسيط وزخرفي، ومفعم بألوان غنية وصيغ قديمة مريحة والكثير من الرقي الذي يجعلك تشعر به لكن دون أن تراه حقاً. أشعر دائماً أنني أشاهد مقطوعة مسرحية جامحة فيها الكثير من المؤثرات الخاصة والعديد من الأرواح التي تنهار وتتداعى! والأهم من ذلك، أن هذا الأسلوب يوفر تغذية للخيال والدهشة. أحب الدخول في هذه العوالم الخيالية حيث نشعر وكأننا ننظر من خلال النهاية الخاطئة للمنظار، فيبدو كل شيء صغيراً وجميلاً وغنياً، لأن الحياة الواقعية غالباً ما تكون كبيرة وفوضوية ومؤلمة ورتيبة. ولكن عندما يقوم شخص مثل الليندي بتلميع شخصياتها وتعديل وتحويل حياتهم وعائلاتهم وأشباحهم إلى منحنيات وأشكال عالمية، فإن الكتابة يتردد صداها بطريقة تجعلك تصرخ: نعم، نعم، هذه هي الحياة بحذافيرها.

أتمنى أن يرغب طلابي في الحصول على هذا التأثير. لكن أداءهم لا يخلّف انطباعاً حقيقياً البتة، ولا حتى بعد مضيّ بضعة أشهر عندما يصدر أحدث عمل للكاتبة آن بيتي ويبدأ طلابي في إرسال قصص حول الأطباق اللامعة وزجاج النوافذ. نحن نعيش حياتنا على السطح، وتتقن بيتي تشييد الأسطح ببراعة، تصقلها وتبرز تفاصيلها. لكن عندما يقلّد طلابي أسلوب بيتي،

تظهر قصصهم فاترة، وأقول لهم إن الحياة فاترة بما يكفي أساساً! امنحوها بعض الحرارة! إذا كنت سأقرأ عن مجموعة من الأشخاص يقودون سيارات فولكس فاجن ويبدو أنهم يعانون من مشاكل تتعلق بحجم السيارة، ثم يصفهم الكاتب وهم يقودون سياراتهم فوق الجليد، فأتمنى أن ينتابني إحساس بوجود الكثير الماء البارد جداً في الأسفل. وأرغب لا شعورياً بأن يتحطم شخص ما. أريد ممن يكتب أن يسحق أو أن يغوص تحت السطح إلى حيث الحياة باردة جداً ومربكة ويصعب فهمها. أريد أن يغرق الكتاب في الثقوب - الثقوب التي نحاول ملئها بكل تلك الدعائم. ففي تلك الثقوب وفي الفراغات التي تحيط بها توجد شتى الاحتمالات ومن بينها احتمال أن ندرك من نكون وأن نلقي نظرة خاطفة على ذلك اللغز.

يستمر الكتاب العظماء في الكتابة عن المكان المظلم البارد في الأعماق، وعن الماء الراكد تحت بحيرة متجمدة أو تلك الحفرة المنعزلة المسترة. إن هذا الضوء الذي يلقونه على تلك الحفرة يساعدنا في قطع الأغصان والشجيرات التي تخفيها أو الالتفاف حولها؛ وعندئذٍ يمكننا الرقص حول حافة الهاوية والصراخ في جوفها وقياسها ورميها بالحجارة دون أن نسقط فيها. إذ لم يعد بإمكانها ابتلاعنا. ويمكننا المضي قدماً.

قال لي صديقٌ شُفي من إدمان الخمر: «عندما كنت مستمراً في معاقرة الخمر، كنت وحشاً مخدراً. وبعد أن تعافيت، أصبحت وحشاً فقط». وحدثني عن وحشه. فبدا لي شبيهاً بوحشي لكن بعد إزالة الكثير من الماسكارا. عندما يسلط الناس بعض الضوء على وحوشهم، نكتشف مدى تشابهها. إنّ السرية، والتعتيم، وحقيقة أن هذه الوحوش لا يسمح إلا بالتلميح لوجودها، يمنحنا إحساساً بأنها سيئة للغاية. لكن عندما يسمح الناس لوحوشهم بالخروج لإجراء مقابلة صغيرة على المسرح، يتضح أننا

جميعاً فعلنا أو فكرنا في الأشياء نفسها، وأن هذا نصيبنا من الحياة وتلك حالنا. ولا ينتهي بنا المطاف مع لصق علامة فاضحة على جبيننا. بل نقارن الملاحظات لا أكثر.

إننا نكتب لنكشف غير المكشوف. إذا كان ثمة باب في القلعة طلب منك عدم فتحه، فعليك أن تفتحه. إذ بخلاف ذلك لن يكون بوسعك سوى إعادة ترتيب الأثاث في الغرف التي أنت موجود فيها للتو. يكرس معظم البشر حياتهم للحفاظ على هذا الباب مغلقاً. لكن مهمة الكاتب هي رؤية ما وراء الباب، ورؤية الأشياء الكئيبة التي لا توصف، وتحويل ما لا يوصف إلى كلمات - وليست أي كلمات بل إلى إيقاعات وأغنيات إن استطعنا أيضاً.

ولا يسعك فعل ذلك دون اكتشاف صوتك الحقيقي، ولا يمكنك اكتشاف صوتك الحقيقي والنظر خلف الباب ونقله لنا بصدق ووضوح إذا كان والداك يسترقان النظر من خلف كتفك. ربما هما من طلب منك ألا تفتح هذا الباب منذ البداية. ويمكنك اكتشاف ما إذا كانا يقفان هناك لأن صوتاً صغيراً سيقول: «أوه، عذراً، لا تقل هذا، هذا سر» أو «تلك كلمة سيئة» أو «لا تخبر أي شخصٍ أنك تمارس العادة السرية. سيفعلون مثلك على الفور». لذلك عليك أن تتنفس أو تصلي أو تخضع لعلاجٍ ما لإبعادهم. اكتب كما لو أن والديك قد توفيا. كما قلت، سنناقش التشهير لاحقاً في هذا الكتاب.

لكن لماذا؟» يسأل طلابي، ويحدقون بي باهتمام. لماذا يفترض بنا أن نفتح كل هذه الأبواب؟ لماذا يفترض بنا أن نقول الحقيقة بأصواتنا نحن؟ « فأحدق بهم لبرهة وأجيب: «أظن أنها طبيعتنا».

أعتقد أيضاً أن معظم شخصياتك تؤمن، كما يؤمن الأطفال، أنه إذا عُرِفت الحقيقة، فسوف يُنظر إليهم على أنهم أناس طيبون. يبدو أن الحقيقة ترغب فيمن يعبر عنها. الحقيقة المبهمة تستنزف طاقتك وتبقيك أنت وشخصياتك

في حالة من التوتر والتوهّم. ولكن عندما تفتح باب الخزانة وتسمح لما يختبئ في الداخل بالخروج، قد تحظى بفورةٍ من الإحساس بالانعتاق وحتى الفرح. إذا استطعنا أن نصدق ما ورد في إنجيل ثوما الغنوصي، فقد ذكر يسوع أنك: «إذا أخرجت ما بداخلك، فإن ما تقدمه سوف يخلصك. إذا لم تخرج ما بداخلك، فإن ما تقدمه يمكن أن يدمرك».

وحقيقة تجربتك لا يمكن أن تظهر إلا من خلال صوتك. إذا تنكرت بصوت شخص آخر، فسوف نشعر نحن القراء بالريبة، كما لو كنت ترتدي ملابس شخص آخر. لا يجوز أن تكتب من الموضع المظلم الكبير لشخص آخر؛ يمكنك فقط الكتابة من موضعك أنت. قد يكون ارتداء أسلوب شخص آخر مريحاً جداً ودافئاً وجميلاً ومشرقاً في بعض الأحيان، ويمكن أن يخفف الضغط عنك ويضبطك على مباهج اللغة والإيقاع والعناية. لكن ما تقوله سيكون مجرد فكرة مجردة لأنه لن ينشأ من تجربة مباشرة: عندما تحاول التعبير عن حقيقة تجربتك بصوت شخص آخر أو بشروط ذلك الشخص، فإنك تقصي نفسك عما شاهدته وعرفته.

الحقيقة، أو الواقع، أو أياً يكن اسمها، هي حجر الأساس للحياة. قال رجل أسود في كنيستي يقارب عمره مئة عام، الأحد الماضي: «الله هو وطنك»، وأنا أنقل هذا في الغالب لأن جميع الشخصيات المثيرة للاهتمام الذين عملت معهم على الإطلاق - بمن فيهم أنا - يمتلكون في الصميم ذلك الشعور بالاختلاف والحنين إلى الوطن. ومن الرائع مشاهدة شخص ما يفتح أخيراً ذلك الباب المحظور الذي أبقاه بعيداً. إن ما ينكشف هنا ليس دناءة الناس بل إنسانيتهم. ويتضح أن الواقع الصادق أو الحقيقة هما وطننا.

انظر إلى النقيضين. ربما تجد الحقيقة في مقولة صموئيل بيكيت - إننا وحيدون جداً وكل ذلك مرعب ومزعج ورائحته مقرفة كرائحة الأقدام

المتسخة، وأكثر ما يمكن أن تتمناه هو أن يقدم لك شخص ما من حين لآخر يداً أو خرقة بالية أو كلمة تشجيع صغيرة في اللحظة التي تغرق فيها. الخلاص برأي بيكيت بسيط جداً: في الفصل الثاني من انتظار غودو، تبزغ ورقة خضراء من غصين الشجرة المجدب شبه الميت. ورقة واحدة فقط. ليس أمراً عظيماً؛ لكن بيكيت لم ينتحر. بل كتب.

أو ربما تكون الحقيقة كما تفهمها أنت على نقيض 180 درجة - أن الله موجود في كل مكان وأننا جميعاً حيث يفترض أن نكون وسيظهر المزيد يوماً ما. ربما تشعر أن وردزورث كان محقاً، وربما الرومي أيضاً على حق، وربما يكتب ستيفن ميتشل عن أيوب: «يقبلون أن الجسد المادي غبارٌ، وأن الدراما الشخصية وهمٌ. يبدو الأمر كما لو أن العالم الذي ندركه من خلال حواسنا، ذلك الموكب الرائع المهيب الفظيع بأكمله، هو السطح الرقيق للفقاعة، وأنّ كل شيء آخر، في الداخل والخارج، هو محض بريقٍ زائف. ويأتي الألم والفرح بعد ذلك كانعكاس بسيط، والموت مثل الدبوس».

لكن لا يمكنك الوصول إلى أي من هذه الحقائق بالجلوس في الحقل مبتسماً بأناقة متجنباً غضبك وألمك وحزنك. إن غضبك وألمك وحزنك هما الطريق إلى الحقيقة. لن يكون لديك الكثير من الحقيقة لتعبّر عنها ما لم تقتحم تلك الغرف والخزائن والغابات والحفر التي منعت من الدخول إليها. عندما ندخل وننظر حولنا لفترة طويلة، فكل ما علينا هو أن نتنفس بهدوء ونستوعب كل ما نراه في نهاية الأمر وحينها سنكون قادرين على التحدث بأصواتنا نحن والبقاء في الوقت الحاضر. وتلك اللحظة هي الوطن.



العطاء

ذكرت آني ديلارد أنّ عليك أن تعطي العمل الذي بين يديك أفضل ما لديك، ولا تدخر منه شيئاً لمشاريع لاحقة. إذاً أعطيت بحرية، فسوف تجد المزيد دائماً. إن هذا اقتراح متطرّف يتعارض تماماً مع الطبيعة البشرية، أو على الأقل مع طبيعتي، لدرجة أنني شخصياً أحاول أن أجد ثغراتٍ فيه. ولكن لا أحظى بإحساس الحضور الكامل وأنني زوربا اليوناني أمام لوحة المفاتيح إلا عندما أمضي قدماً وأقرر إطلاق إبداعي الأدبي يومياً. وإلا فإنني أصير أشبه بالقوارض الصغيرة القلقة أبعثر الأشياء وأكتنزها وأقلق بشأن الإمداد. أصاب بالتهاب المفاصل في يدي، وفي اليدين اللتين يستخدمها ذهني لتشكيل الأشياء، وفي يديّ ذلك المخلوق القابع في السرداب الذي يريد ويحتاج استخدام جميع الخردة المفضلة لديه في حقيبة الخردة التي يعمل منها.

سيكون عليك أن تعطي وتعطي وتعطي، وإلا لا طائل من أن تكتب. عليك أن تعطي من أعمق جزء في نفسك، وعليك أن تستمر في العطاء، وواجب العطاء يجب أن يكون مكافأةً بحدّ ذاته. لا توجد أهمية كونية لنشر شيء ما، بل تكمن الأهمية في أن تتعلم أن تكون معطاءً.

عندما تعطي كل ما لديك لشخصياتك وقرائك، فإنّ عملك ككاتب سيجعلك تشعر يوماً إثر يوم وكأنك والدٌ أعزب أو والدة عزباء لطفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات، وهو طفلٌ رائع، وعنيد، ومزعجٌ ويثير

الجنون ومعشوقٌ حتى العبادة. يمكن للأطفال الصغار أن يقنعوك بأنك انتهكت بعض القوانين القديمة في كتابهم المقدس الشخصي ويجب أن تموت أيها الكافر. ويقتربون منك في أحيانٍ أخرى ويلمسوك كما يفعل الأجداد الرائعون على فراش الموت، يحاولون حفظ ملامح وجهك بأصابعهم الرقيقة. ذات ليلة كنت مستلقيةً على السرير مع سام عندما كان في الثالثة والنصف من عمره، وراح يلمس خديّ بحنان ولطف كما لو كانا مصابين بحروق الشمس. قال: «أنا أحب وجهك الصغير»، وشعرت في لحظة أنه قد يعصر خديّ ويصرخ: «يا صاحبة الوجه الجميل Mein shayner Punim!»

وفي اليوم التالي كان سام يعاملني كما لو كنت الأرنب في نادي بلاي بوي الخاص به وقد نفدت لديه المشروبات قبل نصف ساعة.

لكنهم مخلصون لك دائماً، كتبك وكذلك أطفالك. يدركون أنك ساعدت في إخراجهم إلى حيز الوجود، وتهتم بإطعامهم كل يوم، وتساعدهم على البقاء بصحة جيدة، وتمنحهم النصيحة وتحبهم حتى عندما يتجاهلونك.

إن طفلك البالغ من العمر ثلاث سنوات وكتابك كلاهما يعلّمانك العطاء. ويعلّمانك أن تخرج من نفسك وتصبح شخصاً مكرساً لشخص آخر. ربما هذا سرّ السعادة. وبالتالي هو سبب آخر للكتابة. طفلك وكتابك يحتجزانك كرهينة، ويستنزفان طاقتك كلياً، ويحرمانك النوم، ويعيثان فساداً في رأسك، يعاملانك كحشرة، ثم تكتشف أنهما منحاك تلك السبيكة الذهبية التي كنت تبحث عنها طوال الوقت.

شيئان يضعاني في المزاج الأمثل للعطاء. الأول أنني بدأت أفكر في كل شخص تقريباً أتواصل معه على أنه مريض في غرفة الطوارئ. أرى فيه الكثير من الجروح العميقة والتعبيرات التائهة. أو، على حد تعبير ماريان مور: «العالمُ دارُ أيتام». وهذا يبدو صحيحاً أكثر من أي شيء آخر تقريباً. لكن

ألا تترك الكتابة أثر المهدئ على كثيرين منا؟ فكر في عدد المرات التي فتحت فيها كتاباً، وقرأت سطراً واحداً ثم هتفت: «نعم!» أريد أن أمنح الناس هذا الشعور بالتواصل والترابط أيضاً.

والشيء الآخر هو التفكير في الكتّاب الذين قدموا لي كتاباً، ومن ثم كتابة واحد لهم بالمقابل. هذه الهدية التي قدموها لنا، والتي ننقلها نحن إلى من حولنا، صُنعت أساساً من صميم حياتهم. لن تكون كاتباً إذا لم تنجح القراءة في إثراء روحك أكثر من أي نشاط آخر. لذا، ألّف كتاباً كرمى لـ في. إس. نيبول أو مارغريت أتوود أو وندل بيري أو أي كاتب آخر جعلك ترغب في الكتابة، أو تحب قراءة أعماله أكثر من غيره. اكتبه ببراعةٍ قدر ما تستطيع. إن من أعظم المشاعر التي عرفتها البشر هو شعور أنت تكون مُضيفاً، تستضيف الناس في بيتك وأن تكون الشخص الذي يأتي إليه الناس من أجل الطعام والشراب والرفقة. هذا ما يجب أن يعطيه الكاتب.

سأروي لكم أفضل قصة حقيقية عرفتها عن العطاء، وقد رواها جاك كورنفيلد من مركز سبيريت روك للتأمل في ووداكر. كان لطفل في الثامنة من عمره أخت صغيرة تحتضر بسبب سرطان الدم، وقيل له إنها ستموت إذا لم يُنقل لها الدم. أوضح له والداه أن دمه ربما كان مطابقاً لدمها، وإذا كان الأمر كذلك، بإمكانه أن يكون متبرعاً بالدم. سألاه إذا كان بإمكانهم فحص دمه. فأجاب بالتأكيد. وتبين بالنتيجة أن التطابق جيد. ثم سألوه إن كان سيعطي أخته نصف لتر من الدم، فقد تكون تلك فرصتها الوحيدة للعيش. فأجاب أنه يتعين عليه التفكير في الأمر حتى يوم غد.

ذهب في اليوم التالي إلى والديه وقال إنه على استعداد للتبرع بالدم. فصحباه إلى المستشفى حيث وُضع على نقالة بجانب أخته البالغة من العمر ست سنوات. وجرى وصل كلاهما بحقن وريدية. سحبت الممرضة نصف

لتر من الدم من الصبي، ثم وضعته في التسريب الوريدي الموصول لذراع الطفلة. استلقى الصبي على نقالته في صمت بينما كان الدم يتدفق في جسد أخته، حتى جاء الطبيب ليرى كيف حاله. ففتح الصبي عينيه وسأل: «متى سأموت؟»

في بعض الأحيان عليك أن تكون بهذه البراءة لتكون كاتباً. تتطلب الكتابة مزيجاً من الرقي والبراءة؛ وتتطلب ضميراً حيّاً، وإيماننا بأن الشي يكون جميلاً حين يكون صحيحاً. يجب أن يشير الفن إلى مكانٍ ما كي يكون عظيماً. بالتالي إذا لم تعد تجد نفسك في هذا المكان الذي يقطنه الضمير الساذج، فلا فائدة ترجى من أن تكون كاتباً. يعاني معظم أصدقائي تقريباً من اضطرابات في الشخصية، لكنني أعلم أن البراءة موجودة لديهم وأستطيع رؤيتها في وجوههم وفي قراراتهم. وأكاد أجزم أن هذه الميزة لا تزال في داخلك أنت، وأنك أهلٌ لهذه الشجاعة الهادئة.

إن هذه البراءة الراقية هبةٌ. ولك أن تهبها لمن تشاء. نخشى نحن البشر أن نكون منفتحين على العالم بدلاً من الانغلاق ضمن عقلية دفاعية محصنة. إن قدرتك على العطاء تساعد القراء على أن يكونوا أكثر شجاعة وأن يكونوا بحالٍ أفضل، وأن يكونوا منفتحين على العالم مجدداً. لا يحتاج المرء أن يكون متفائلًا كي يتمكن من فعل ذلك. صديقي القس، رانكين، على سبيل المثال، يصف نفسه بأنه متشائم مبتهج، وهذا الموقف كافٍ لإنقاذه من الكآبة التي كانت ستجعله لولا ذلك ملتفاً نفسياً كما الجنين.

الآن، فكر في الأمر، هذا التوحد هو موقف رائع لإحدى شخصياتك حين ينتهي بها الأمر بالقرب من الذروة، لأن قتل هذا العجز الأشبه بالموت يعدّ موضوعاً عظيماً. في الحياة الواقعية، لا يلتف معظم الناس في وضع الجنين من أجل ضبط مشاعرهم. يدمن معظم الناس على العلاقات مع الآخرين أو

على العمل أو المخدرات أو الكحول أو الطعام. وجميعها تثير غيبوبة مخدرة مماثلة.

قد تجد أن شخصيتك ليست جيدة بما يكفي لقتل هذا الموت أو، على الأقل، ليست على استعداد لذلك بعد. لعلّ العقاب والغيبوبة أكثر راحة وسهولة بكثير من العودة إلى الحياة. إنه أشبه بتلك النكتة القديمة عن الإنكار.

تذهب امرأة إلى حديقة للحيوانات ويأسرها جمال وقوة الغوريلا تماماً. لا يمكنها أن ترفع عينيها عنه. كان نائماً على قضبان القفص، وعلى الرغم من وجود لافتة تحذيرية، تمد يدها لتداعبه. يستيقظ الغوريلا على الفور ويثور غاضباً ويمزق قضبان القفص بوحشية للوصول إليها، ويضربها بعنفٍ حتى توشك أن تلقى حتفها قبل أن ينجح موظفو الحديقة أخيراً، في ضربه بسهام المهدئ. تنقل المرأة إلى وحدة العناية المركزة وهي بالكاد على قيد الحياة، لكنها تتحسّن ببطء. وبعد مضي أربعة أيام يسُمح لها أخيراً باستقبال الزوار. وصلت صديقتها المقربة. بالكاد تستطيع المرأة أن تفتح عينيها. فتقول الصديقة: «يا إلهي، يبدو أنك تعانين ألماً مبرحاً»، وتتنهد المرأة. «ألم؟! أنت لا تعرفين الألم. إنه لا يتصل ولا يكتب حتى..»

هذه من النكات المفضلة لدي لأن الشخصية مألوفة بالنسبة لي. ربما تكون شبيهة بالكثير من الأشخاص الذين تعرفهم. هي ربما ليست مستعدة بعد لقتل العجز الأشبه بالموت أو ربما هي كذلك، رغم كل الصعاب. لعل بإمكانك منحها شيئاً عميقاً تبحث عنه أو تفعله أو تقاتل من أجله كي تحطم الغيبوبة التي تسيطر عليها. ويتعيّن عليك أن تجد هذا في داخلك أولاً. ومن ثم تهبه لغيرك. قد تصحو هذه المرأة. وحينها سيكون لديها ما تعطيه، ربما أغنية تغنيها. قد لا تكون أغنية بالضبط، بل ربما مجرد لحن صغير، لحن كاليوبيّ، أو لحن نجاة.

النشر

حسناً، دعونا نتحدث عن النشر. دعونا نتحدث عن أسطورة النشر.

لنفترض أنك أنهيت كتابك، أو مسودة الكتاب، أو مجموعة كاملة من القصص، وأرسلتها إلى وكيلك، إذا كان لديك وكيل، أو إلى وكيل صديقك، أو إلى وكيل وجدت عنوانه مدرجاً في الصفحات الصفراء أو في متجرٍ للكتب. ولنقل أن لديك محرر في مكان ما، أو أن محرراً كتب لك ذات مرة رسالة رفض مثيرة للإعجاب، لذا فأنت ترسل كتابك أو قصصك إليه أو إلى اثنين من الأصدقاء. كما سبق أن ذكرت، أنا من هؤلاء الأشخاص الذين يشعرون بالإحباط والانزعاج في اليوم التالي بعد وضع مخطوط كتابك في البريد. وقبل أن يصل إلى وجهته ينتابني شعور بالمرار ة والاستياء من الأجواء المحيطة التي تنم عن البرودة والكسل والوحشية. في حين يوجد كتّاب آخرون، وقد تكون أحدهم، يشمرون عن زنودهم ويبدؤون حالاً العمل على النص التالي. لا يسعني أبداً أن أصادق شخص من هذا النوع، لكنني أَعْرِفُ أنهم موجودون. على أية حال، إذا كنت مثلي، فسوف تنتظر وتنتظر وتتفقد بريدك عشر مرات كل يوم، وتشعر بالإحباط والرفض كل ساعة لعدم وصول الرد. وفي آخر المطاف، إن كنت محظوظاً، سيصلك بعد أسبوع ملاحظة من مساعد وكيلك تفيد بأن النص وصل فعلاً، وربما اتصل أحد الأصدقاء ليقول إنه قرأ جزءاً منه وأنه نصّ رائع ولا داعٍ للقلق، لكنك ستمضي قدماً وتعاني من انهيار صغير على أي حال في انتظار اتصال وكيلك

ومحررك وإخبارك بأنه رائع. وتجد نفسك تردد في كل مرة يرن فيها الهاتف: «ليكن هو، أرجوك يا إلهي، لا بدّ أنه هو». ويتبين أنه شخص آخر، فتعاني سكرات الموت ويصيبك نهم شديد وتفكر كم أصدقاؤك مزيفون. ثم تتمالك نفسك. تخرج للسير قليلاً في الهواء الطلق. تشعر أنك بحالٍ أفضل قليلاً. ثم تحاول أن تقرأ شيئاً ما، لكن ينتهي بك الأمر بقراءة نصّك أنت ويقتلك الخجل من مدى رداءته. ولكن ما أن تشرع في الدخول في حالةٍ من التشنج الهستيري، يتصل صديقك مرة أخرى ويقول إنه قرأ للتو فصلاً آخر، وفي الحقيقة، ويقسم بأرواح أحفاده أنه أفضل شيء كتبته على الإطلاق؛ وأنه أحبه ويحبك أنت أيضاً.

ها أنت بخير حال مرة أخر ى وتستمتع بعشر دقائق رائعة. وبعد مضي أسبوع آخر، تتصل بوكيلك لأنك لم يعد بإمكانك التظاهر بالهدوء والراحة، لكن وكيلك لم يقرأ مخطوطتك بعد لأنه غارق في أمور أكثر أهمية. يرد عليك دون اكتراث أنه سيتصل بك حالما ينتهي من قراءتها أو عندما يتصل به محررك. وأن كل شيء يسير على ما يرام [أحسنا؟» يسأل الوكيل. «هكذا أفضل؟ « فتشعر بداخلك بالرغبة في أن تمزق وجهه. لكنك من ذلك بدلاً تبتهل إلى الله وتطلب منه الصبر والسلوان. ثم تلحظ في ومضة من البصيرة العمياء أن وكيلك ومحررك متعاونان، وما سمعته على أنه انزعاج كان في الحقيقة مجرد بذل بعض الجهد لمنع نوبة هستيريا. إذاً كانا معاً على الهاتف طوال الصباح يقرأ أحدهما للآخر فقرات من كتابك، يتفقان على أنه أسوأ ما كتب والأكثر إحراجاً على الإطلاق، ويتبادلان السخرية والتهكم عليه ضاحكين. لقد ضحك محررك بشدة لدرجة أنه اضطر إلى تناول قرصين من الديجيتال، وتعرض وكيلك لتمزق وعاء دموي في حلقه. أحدهما يقرأ للآخر المشهد الذي مات خلاله والد البطل!

(وإن كان لديك بالفعل عقد مع هؤلاء الأشخاص، فأنت تفترض أن محررك سوف يغلق الهاتف في هذه اللحظة ويتجه إلى القسم القانوني لمعرفة ما إذا كان عليه أن يدفع لك الجزء الأخير من أتعابك التي يدينون لك بها، أو ربما يمكنهم مقاضاتك لتحصيل الأموال التي دفعوها لك مسبقاً).

ولكن كل ما يمكنك فعله هو الانتظار والانتظار والانتظار، إلى أن يتصل بك وكيلك أو محررك في النهاية ويقول إن الكتاب رائع وسوف ينشر في الربيع أو الخريف أو في أي وقت. لكنه سينشر. وتمضي هنا بعض الأشهر السعيدة، تعيد الكتابة والتحرير وتعمل مع محرر النسخ وتشعر بالحب والطمأنينة في كل خطوة على الطريق، ثم تأتي معجزة ألواح الطباعة المقدسة، حيث يصلك كتابك في نسخته الجاهزة للطباعة ويبدو كأن شخصاً حقيقياً شارك في كتابته.

يفترض العديد من غير الكتاب أن النشر حدثٌ مبهجٌ في حياة الكاتب، وهو بالتأكيد أكبر وألمع جزرة تتدلى أمام أعين طلابي. إذ يعتقدون أنهم إذا نشروا شيئاً ما، فإن حياتهم ستنقلب على الفور وبشكل كبير ونحو الأفضل. يزدهر تقديرهم لذاتهم؛ وتمحى كل الشكوك بالذات مثلما يمحى الخطأ المطبعي. وتُمحى فقرات ومخطوطات كاملة من خيبة الأمل والرفض وقلة الإيمان بضغطة واحدة على زر الحذف النفسي وتستبدل بإحساس هادئ ولطيف بالجدارة والانتماء. ثم يمكنهم أن يلفوا العالم باللهب.

لكن هذا ليس بالضبط ما يحدث. أو على الأقل، لم يكن هذا هو الحال بالنسبة لي.

بالنسبة لي، كان الأمر أشبه بتقاطع بين الأسابيع القليلة الأخيرة من الحمل، حين أبدو وأشعر مثل أورسن ويلز وأواجه تحدياً هرمونياً في اليانغ، ويتورم كاحلي وأشعر بالاشمئزاز من رائحة طهي الخضروات؛ واليوم الأول من

فصل التربية البدنية للصف السابع، عندما يجبرون الطلاب على الاصطفاف حسب الحجم قبل أن يوزعوا زي الألعاب الرياضية على الطلاب. وأنت إما بطول أربعة أقدام، مثل إي تي، أو تشعر أنك عملاق ديان أربوس اليهودي.

تبدأ العملية بشكل جيد بما يكفي. في أحد الأيام وقبل موعد النشر بعدة أشهر، ستحصل على مجموعة من الألواح الطباعية المُجلدة، أي غلاف الكتاب الورقي وبين دفتيه تجد مخطوطك في نسخته الجاهزة للطباعة. أشعر دائماً بإحساس يائس بالارتياح في هذه المرحلة، لأنه الناشر يصبح بعيد جداً الآن عن إلغاء النشر. لقد ذهبت هذه الألواح الطباعية المغلفة أيضاً إلى مئات الصحف والنقاد، وهذا يجعلك تعتقد أن الناشر قد أنفق بالفعل الكثير من الأموال في تكاليف الإنتاج والبريد بحيث سيتعين عليه المضي قدماً ونشر هذا الكتاب اللعين.

حين تقرأ الألواح الطباعية أول مرة يراودك شعور أنك في جنة النعيم. وفي المرة الثانية، كل ما تراه هو الأخطاء المطبعية التي لم يكتشفها أحد. يبدو أن عامل الطباعة قد كتبه بأقدام متجمدة، أو كان مخموراً. والأخطاء المطبعية مهمة. إذ لو أهملتها ستجعلك تبدو جاهلاً؛ وقد تبدو وكأنك عنصري جاهل. مع المراجعة الثالثة أو الرابعة، تجد أنه لا يوجد سطر واحد جديد أو ثاقب أو حتى قابل للإنقاذ في كامل العمل. وعند القراءة الخامسة يراودك الشك في أن نشر هذا لن يكون في مصلحتك أبداً.

بعد فترة وجيزة، تحصل على تقييماتك الأولى، في مجلات مثل الناشرون وويكلي وكيركوس، تبدو في بعض الأحيان كأن والدتك هي من كتبتها. يشيرون في أحيان أخرى إلى أنك فاشل أبله ومغرور، ويأملون أن تموت حتى لا يضطروا إلى قراءة عملك بعد الآن. لقد حصلت على تقييمات أخرى سبقت النشر ذكرت أنني كنت علامة تجارية على السراويل الداخلية للحياة.

ربما لم يكن هذا ما قالوه بالضبط، لكن من خلال القراءة بين السطور، استطعت أن أرى أن هذا ما كانوا يشيرون إليه. حاول أن تنجو من هذا. من المحتمل أنك ما زلت تشرب، لذلك من الأفضل أن تضع إبريقاً من المارتيني فقط لتهون الأمر عليك، أو أنك توقفت عن الشرب، وبالتالي ستأكل ما يعادل وزن جسمك من المعجنات والطعام المكسيكي. ويمضي الوقت بطريقة ما، ثم يصل تاريخ النشر الموعود.

ثمة شيء أسطوري حول موعد النشر، وقد توصلت في الواقع إلى اعتقاد بأنه في هذا الصباح بالذات سوف تستيقظ على رنين الهاتف وتجد ناشرك متحمساً جداً لدرجة أنه استأجر فريق طائرات الملائكة الزرق للاستعراض الجوي ليدوي أزيزها في أرجاء كوخك الصغير البائس، والذي ستغادره سريعاً حالما تحلّق مبيعات الكتاب. أو على الأقل سوف يتذكرون إرسال الزهور.

أذكر في أحد الأعوام أن كتابي وكتاب صديقي كاربنتر نُشرا في نفس اليوم. تحدثنا عن الأمر طوال الصيف. تظاهر كلّ منا أن لديه توقعات متواضعة. كان لدي توقعات متواضعة لكتابه، وكان لديه توقعات متواضعة لكتابي. في الأسبوع الذي سبق الموعد، تحدثنا كل صباح تقريباً عن مدى حماستنا والوقت الطويل الذي انتظرناه، وكيف كنا أشبه بطفل صغيرٍ ينتظر ليلة عيد الميلاد. أخيراً جاء اليوم العتيد، استيقظت سعيدّة ومحرجّة سلفاً من كل الثناء والاهتمام الذي سأحظى به. حضّرت القهوة وتدربت على حفر إصبع قدمي في التراب، واتصلت ببامي وبعض الأصدقاء لأتلقى منهم التهنئة. ثم انتظرت رنين الهاتف. والهاتف لا يعرف أهمية دوره. فقد جلس هناك صامتاً كالموت برأسٍ بارد. وبحلول الظهيرة بدأ ضجيجُ عدم رنينه يُتلف أعصابي. لكن لحسن الحظ، مع حلول الظهيرة، حان وقت تناول أول كأسٍ

من شراب الشعير لذلك اليوم. جلست بجوار الهاتف مثل كلب مخلص، أنتظر رنينه. وأخيراً، أخيراً رن عند الرابعة. رفعت سماعة الهاتف وسمعت كاربنتر يضحك بشكل هستيري، مثل قاتلٍ متسلسل، وعندئذٍ أصبحت أنا في حالة هستيرية، وفي نهاية المطاف كان لا بد أن نحقن كلانا بمخدّر كي نهدأ.

أرسل لي الزهور، وقبل أن أعرف أنه فعل ذلك، أرسلت له زهوراً أيضاً. كانت الأزهار التي أرسلها جميلةً للغاية ومعظمها من الورد والسوسن.

هذا غالباً ما يكون عليه الحال، باستثناء الجزء المتعلق بالورود والسوسن. لذا دعني أقول لك، إن كان ما يدور في ذهنك هو الشهرة والثروة، فإن النشر سوف يدفعك إلى الجنون. وإن كنت محظوظاً، فسوف تحظى ببعض التقييمات، بعضها جيد، وبعضها سيء، وبعضها لا يشكل أي فرق. لا تدعوني أبداً في الحديث عن المواضع التي يتعرض فيها المرء للإهمال. ستحظى ببعض حفلات توقيع الكتاب وربما بعض جلسات القراءة، في إحداها سيدفع ناشرك ثمن قرص يزن عشرين رطلاً من الجبن الأبيض السائل، والشخص الوحيد الذي سيحضر الحفل قد عاش في الشارع منذ كان في الثانية عشرة من عمره لكنه سرعان ما يغادر لأنه يكره الجبن الأبيض. ستطلق أنت والأشخاص الذين يعملون في المكتبة الكثير من النكات المرحة حول هذا الموضوع. سوف تقرأ كتابك لهؤلاء الأشخاص الخمسة، وسوف يتفاعلون معك بحماس كبير. ربما تدعى إلى مقابلتين ومن ثم ربما في مكان ما لاحقاً، فقط عندما تعتقد أن الأمور هدأت، يصلك أول تقييم مدمر، التقييم الذي يقول أن كتابك سيء كفضلات الكلاب. والأجمل عندما ينشر التقييم في الصحافة المحلية حتى يتمكن جميع أقاربك من قراءته أيضاً. يمكنك فقط أن تتخيل مئات الآلاف من الأشخاص يقرؤون التقييم ويحتسون قهوتهم

الصباحية، يقرؤونه بصوت عالٍ لبعضهم البعض ويضحكون حول مدى ذكاء من كتب التقييم. وها أنت تنتفض وتبكي، ثم يتصل بك أصدقاؤك الكتّاب ويبدون تعاطفهم. ويشعرون حقاً بالحزن والغضب من أجلك، ويعلمون أنك تشعر وكأنك حيوان مجروح، وثور هائج، ويقولون الأشياء الصحيحة، فهم يحبونك ويحبون كتابك، وقد حدث هذا لهم قبل عام أو نحو ذلك. إذ طالما أنك كاتب، فلا بد أن يحدث لك ذلك. إنها الحقيقة. لقد حدث ذلك معي، وإذا نشرت عملك، فمن المؤكد أنه سيحدث لك.

لكن حقيقة النشر هي إقرار من المجتمع بأنك أنجزت كتابتك على النحو الصحيح. وتحصل على رتبة لا تخسرها أبداً. أنت الآن كاتب نشرت أعماله، وأنت في هذا الوضع النادر تكسب لقمة عيشك من المهنة التي تحبها أكثر من أي شيء آخر. إن معرفة هذا تمنحك متعةً هادئة.

لكن في النهاية عليك أن تجلس مثل أي كاتب آخر وتواجه الصفحة الفارغة.

إن بدايات الكتاب الثاني أو الثالث تكون مليئة بالإلهام والثقة لأنك نشرت، وتكون بدايات خاطئة ومرعبة لأن عليك الآن أن تثبت جدارتك مرة أخرى. قد يكتشف الناس أنك حققت نجاحاً عابراً لا تستحقه، وأنه لا يعدو كونه حظَّ المبتدئين. ما أعرفه الآن أن عليك التخلص من كل هذه الرهبة من خلال الكتابة لفتراتٍ طويلة وصعبة وعدم إضاعة الوقت كثيراً في التوقف للإعجاب بنفسك وبما نشرته أمام المرآة. ستجد نفسك لاحقاً وقد انغمست في العمل مجدداً، ربما في كتاب آخر، وتكتشف مجدداً أن المردود الحقيقي هو الكتابة نفسها، وأن اليوم الذي تنجز فيه عملك هو اليوم الجيد، وأن هذا التفاني بمجمله هو الغاية المرجوة.

«متى ستتحدث عن الفرح؟ » يتهامس الطلاب في الصف الخلفي. ألم

أفعل؟ لقد ذكرت بالتأكيد أن الساعات الجيدة التي أقضيها وراء المكتب رائعة كأجمل شيء يمكن أن أتخيله. لكن الفرح بالنسبة لي هو سام وكنيستي وأصدقائي وعائلتي، وغالباً ما أشعر بها في الخارج أكثر مما أشعر به وراء مكتبي. ثمة جزء مني يقاوم القول إنني أحب أن أكون كاتبة تنشر أعمالها، وأنه كان حلماً تحقق، لأنه أولاً وقبل كل شيء أكثر تعقيداً من ذلك بكثير. وثانياً، لأنني لا أريد أن يرفع الكتّاب الذي لم تنشر أعمالهم بعد أيديهم ويقولون، «أرأيتم؟ حسناً؟ لقد ربحنا القضية: النشر هو الجائزة الكبرى».

لكن الحقيقة هي أنه عملك ككاتب يترافق مع قدر كبير من الشعور بالرضا لكونك الشخص الذي ينجز بعض الأعمال في معظم الأيام، والذي تنشر أعماله تلك وتحظى بالتقدير. إنني أحمل هذا في جعبتي دائماً، ألمسه عدة مرات في اليوم للتأكد من أنه لا يزال موجوداً. على الرغم من أن الكثير من وقتي في الكتابة مرهقٌ ومثير للإحباط، فإنني أحمل إحساساً سرياً بالإنجاز لا يفارقني، مثل حزمة راديوم مزروعة بالقرب من قلبي تشع الآن شعوراً هادئاً بالراحة عبر جسدي. لكن عليك أن تدفع ثمناً باهظاً مقابل ذلك.

لم يعبّر أحد عن ذلك أفضل من روائي عظيم سمعته ذات مرة في برنامج حواري حيث ذكر شيئاً من قبيل: «هل تريد أن تعرف الثمن الذي أدفعه لقاء كوني كاتباً؟ حسناً، سأخبرك. أسافر جواً كثيراً. وعادة ما أجلس بجوار رجل أعمال ضخم يعمل على ملفاته أو كمبيوتره المحمول لبعض الوقت، ثم يلاحظ وجودي ويسألني عن مهنتي. فأجيب أنني كاتب. ويلي ذلك لحظات صمت رهيبة. ثم يقول بحماس: « هل كتبت شيئاً ربما أكون قد سمعت عنه؟»

«وهذا هو الثمن الذي أدفعه لقاء كوني كاتباً.»

ونسختي الخاصة من هذه الحادثة هي أنه في ذلك اليوم، كنت أنا وسام

في المركز التجاري. كان لدي حدث كبير قادم سيقام على خشبة مسرح هيربست، لأنني نشرت للتو كتاباً حظيَ باهتمامٍ كبير. قررت شراء فستان جديد لحضور تلك الأمسية. لذلك كنا نتجول كلانا ببراءة في المتجر عندما جاءت المالكة. قالت: «هل تبحثين عن شيء معين؟»

قلت: «نعم، لدي مناسبة خاصة، وأحتاج إلى فستان جديد».

قالت: «هل المناسبة حفل عشاء؟»

أجبت: «لا، في الواقع، سأقدم شيئاً على المسرح». قالت: «هل أنت مغنية؟» وشعرت بطبول الغابة تقرع في أذني، محذرةً إياي كي أبقي فمي مغلقاً، وألا أسمح لغروري بالخروج من حبسه. لكنني اعتدت على الاهتمام. تنحنحت قليلاً وغرست أصابع القدم على السجادة وقلت: «لا، أنا كاتبة».

قالت: «أوه، واو! لقد قرأت كل شيء وقع عليه نظري. أخبريني ما اسمك».

عرفت أنني في ورطة. كنت أعلم أنني سأعاني من مشكلة، لكن غروري تقمص شخصية نيلسون روكفلر، وشعرت أنني أُمزج في خلاط. عرفت نفسي الحكيمة أن من الصعب جداً التوقف الآن. قلت: «لا، لا، لا أظن أنك سمعت عني، وإلا لشعرت بالفزع».

لكنها أصرت. قالت: «صدقيني، لقد قرأت كل شيء». اعتقد جزء مني أنني أصبحت مشهورة جداً لدرجة أنني عندما أخبرها باسمي، كانت ستتصرف كما لو أن بول مكارتني قد دخل متجرها للتو. في حين أن الجزء الأكثر حكمة مني علم أنني هالكة لا محالة. رحت ابتهل إلى الله في تلك اللحظة، وكنت أدعو لها: من فضلك، أرجوك لا تجبريني على إخبارك باسمي. ابتسمت بتردد، وكأننا نلنا حاجتنا من المرح وبات من الأفضل أن

أحضر سام الذي اختبأ تحت مجموعة من الفساتين ويصدر أصواتاً فظة.

صاحت صاحبة المحل فجأة: «بيث، بيث». «تعالي الى هنا». خرجت شابة من الغرفة الخلفية بنظرة توقع على وجهها. قالت المالكة: «بيث، آلست أقرأ كل شيء؟ أخبريها». قالت بيث: نعم، نعم، هذا صحيح، إنها تقرأ كل شيء. ثم نظرت إليّ المالكة بلطف وقالت: «هيا الآن، ما اسمك؟»

تنهدت وابتسمت، وقلت أخيراً: «آن لاموت». فحدقت بي بقلقٍ بالغ. كانت الغرفة هادئة للغاية، باستثناء سام تحت رف الملابس. ثم زمّت شفتيها وهزت رأسها ببطء. وقالت: «لا». «لا أعتقد». استغرق الأمر مني أسبوعاً كاملاً وقدراً كبيراً من الشوكولا الرخيصة لتجاوز الأمر. لكنني تذكرت بعد ذلك أنّ عليك أن تحذر كلما ألقى العالم بتلات الورد عليك لأنها مثيرة وقادرة على إغراء الأنا المغرورة في داخلك. ستظهر قشور الموز الكونية فجأة تحت قدميك للتأكد من أنك لا تأخذ الأمور على محمل الجد، وأنك لا تشبع من تناول الوجبات السريعة.

كل ما أعرفه عن العلاقة بين النشر والصحة العقلية يلخص في سطر واحد من فيلم منافسات لطيفة Cool Runnings، وهو عن أول فريق جامايكي للتزلج الجماعي على الجليد. المدرب رجل يزن مئة وثمانين كيلوغراماً وفاز بالميدالية الذهبية في مسابقات التزلج الجماعي الأولمبية قبل عشرين عاماً، لكنه بات خاسراً تماماً منذ ذلك الحين. يسعى الرجال في فريقه بكل قواهم للفوز بميدالية أولمبية، تماماً كما أن نصف الأشخاص في صفوفي يسعون بكل قواهم للتمكن من النشر. لكن المدرب يقول: «إذا لم تكن بارعاً قبل الميدالية الذهبية، فلن تكون بارعاً معها». قد ترغب في لصق هذه المقولة على الحائط بالقرب من مكتبك.

لقد ظهرت قشور الموز تقريباً في كل مرة أحرزت فيها انتصاراً، أو ما

قد يعتبره العالم انتصاراً. وكأن السماء تتصرف كذئبٍ مخادع. كنت أشارك الأسبوع الماضي، على سبيل المثال، في حدث أدبي لامع في سان فرانسيسكو تقيمه جمعية خيرية وطنية. لقد انتظرت سنوات طويلة كي أشارك في هذا الحدث، وأشاهد كل عام اختيار الجمعية لستة كتاب آخرين. لقد حاولت أن أكون ذات روح رياضة حيال ذلك، والله أعلم أنني كذلك. فهمت أن المنظمين بحاجة إلى دعوة كبار الكتاب المعروفين على المستوى الوطني لجذب أكبر عدد ممكن من الحشود؛ وهذا منطقي تماماً. لكن عاماً بعد عام شعرت بالاكتئاب في كل مرة لم أكن مدعوةً فيها. وأخيراً دُعيتُ هذا العام، وكان فرحي لا حدود له. بالطبع أنا لست غبيةً: كنت أعلم أنه كان أشبه بطبق كبيرٍ من الكوكايين لغروري. كنت أعلم أنه كان عجلاً ذهبياً آخر. ولكن قلبي الصغير حلّق مثل النسر رغم ذلك.

ولكن، كانت ثمة مشكلة صغيرة. كنت آخر مؤلف يدعى إلى الحفل ويؤكد حضوره، لذلك لم يكن اسمي مدرجاً في البيان الصحفي الأولي الذي صدر قبل ثلاثة أشهر. أرسلت رئيسة الإعلام إصداراً آخر بعد أن صعدت على متن الطائرة. ولكن عندما نشر أول بيان بارز عن الحدث في الجريدة قبل بضعة أسابيع، لم يكن اسمي مدرجاً. شعرت بانزعاجٍ شديد فقد كان أهم عمود في الجريدة، لكنني عجوز وصلبة ويمكنني التعامل مع هذا النوع من خيبة الأمل. ونشر لاحقاً مقالٌ حول الحدث في قسم الكتاب، ومرة أخرى لم يكن اسمي مدرجاً. هذه المرة اتصلت رئيسة الإعلام مستاءة وأكثرت من الاعتذار لدرجة أنها تمكنت من تهدئتي. ثم نشرت مقالات ضخمة عن الحدث في صفحات المجتمع، وخمنوا ماذا؟ شعرت وكأنني في الصف السابع من جديد. اتصلت رئيسة الإعلام مرة أخرى وكانت مستاءة للغاية لدرجة أنني اعتقدت أنها قد تشرب كوباً كبيراً من درانو منظف المجاري هناك على

الهاتف. شعرت فجأة برغبة في البكاء وآلام ما قبل الحيض وتجاهلت الأمر حتى أنني لم أستطع التحدث عنه. وتذكرت بعد مضي ساعات، أنهم ما كانوا ليطلبوا مني المشاركة في هذا الحدث المرموق لو لم أكن بارعة أساساً، وبالتالي فإن المشاركة ليست من يجعلني بارعة ومميزة. أي أنّ البراعة مهارةٌ يجب أن تكون وظيفة داخلية.

وأيضاً، بعد حوالي ساعة من توصلي إلى هذا الاستنتاج، فغرت فمي بذهول. لقد نسيت بطريقة ما أنها كانت مناسبة خيرية! لقد جئت لأحضرها وكأنها نوع من استعراض ما. بالنسبة لي.

كم هو مضحك حدوث ذلك. ابتسمت أخيراً، وقد عبر في ذاكرتي عبارة سمعت رام داس يقولها مرة عبر المذياع عن شخص ما – كيف أنّ معظمنا تربّى ليكون شخصاً ما، وما اللعبة غير المربحة التي يجب أن نصدقها، لأنه بينما ينتهي بك الأمر لتصبح شخصاً أكبر شأناً من شخص آخر، سيكون الكثير من الأشخاص الآخرين أكبر شأناً منك. وسوف تدفع نفسك للجنون.

شيء آخر عن النشر: عندما صدر كتابي ذاك، الكتاب الذي حقق نجاحاً باهراً، الكتاب الذي اقتضى شراء فستان جديد، وجدت نفسي تحت سيطرة التأثير المخدر لكل هذا الاهتمام، ثم ضعت وخرجت عن المسار، وبت بحاجة إلى جرعة جديدة كل يومين وإلا ستبدأ أعراض الانسحاب. أصبحت في داخلي غير صالحة للسكن على الإطلاق، كما لو كنت أتجول في رواق ضيق مع الكثير من قرع الأجراس والأضواء الساطعة والكثير الكثير من الوجبات السريعة، وقد علقت هناك لفترة طويلة. كنت بحاجة لجرعة من السلام، السلام والهدوء، لكن في الوقت ذاته لم أرغب في المغادرة. كنت مثل أحد الأولاد السيئين في حكاية «بينوكيو» الذين توافدوا على جزيرة المتعة

ونمت لكل واحد منهم أذنان كأذني الحمار. كنت أعلم أن روحي مريضة وأنني بأمس الحاجة إلى نصيحة روحية، وعرفت أيضاً أن هذه النصيحة لا ينبغي أن تكون معقدة للغاية. فذهبت لرؤية راعي الأبرشية في حضانة ابني.

كان يبلغ من العمر حوالي خمسين عاماً. تحدثنا لبعض الوقت. واتضح لي أنه يبدو شاباً. أخبرته أنني مشتتة كلياً، متقلبة المزاج، مبعثرة، منتشية وأعاني أعراض الانسحاب وتائهة تماماً، ووسط كل ذلك أحاول أن أجد بعض الإحساس بالسكينة بعيدة المنال. قال: «لا يمكن للعالم أن يمنحك هذه السكينة». «لا يمكن للعالم أن يمنحنا السلام. لا يمكن أن نجده إلا في قلوبنا».

قلت: «أنا أكره ذلك».

«أعلم. لكن الخبر السار هو أنه في داخلك الآن وملكك، ولا يمكن للعالم أن يسلبك إياه».



الجزء الخامس

الدرس الأخير

أريد أن أخبر طلابي الكثير من الأشياء في درسنا الأخير، وأشياء كثيرة أريد أن أذكرهم بها. اكتبوا عن طفولتكم، أطلب منهم ذلك للمرة الألف. اكتبوا عن تلك الفترة من حياتكم عندما كنتم مهتمين جداً بالعالم من حولكم، عندما كانت قدراتكم على الملاحظة في أقصى حدودها، وعندما كنتم تفكرون بالأمور بتعاطف شديد. سوف يمنحك استكشاف طفولتك وفهمها القدرة على التعاطف، وسوف يعلمك هذا الفهم والتعاطف الكتابة بقدر كبير من الذكاء والبصيرة واللطف.

أن تصبح كاتباً يعني أن تصبح واعياً. عندما تكون واعياً وتكتب من منطلق البصيرة والبساطة والاهتمام الصادق بالحقيقة، تصبح لديك القدرة على كشف الحقيقة للقارئ. سيدرك القارئ أو القارئة حياته أو حياتها ويلمس الحقيقة فيما تقوله وفي اللوحات التي رسمتها، وهذا يقلل من الإحساس الرهيب بالوحدة التي نعاني جميعاً منها.

حاول أن تكتب بطريقة عاطفية مباشرة، بدلاً من أن تكون دقيقاً جداً أو مراوغاً. لا تخف من أفكارك أو من ماضيك. بل عليك أن تخاف من إضاعة المزيد من الوقت في الهوس بمظهرك وكيف يراك الناس. عليك أن تخاف من عجزك عن إنجاز عملك.

إذا كان ثمة شيء صادق في داخلك، ربما نجده مثيراً للاهتمام، وربما يكون شعوراً مشتركاً. لذلك يجب أن تخاطر بوضع العاطفة الحقيقية في صلب عملك. اكتب مباشرة في الصميم العاطفي للأشياء. اكتب نصرةً للضعف. لا تقلق بشأن الظهور بمظهر انفعالي. بل عليك أن تقلق من عدم قدرتك على أن تكون حاضراً؛ وأن تقلق بشأن الغياب أو الخداع. خاطر بأن

تكون مرفوضاً. عبّر عن الحقيقة كما تفهمها. إن كنت كاتباً بالفعل، فأنت ملزمٌ أخلاقياً بالقيام بذلك. والكتابة عن الحقيقة عملٌ ثوري - الحقيقة دائماً فعل قائم على الهدم.

يصر إيثان كانين على ألا تكتب إطلاقاً بدافع الانتقام، بينما أخبر طلابي أن عليهم أن يكتبوا دائماً بدافع الانتقام، طالما أنهم يفعلون ذلك بإتقان. إذا تجاوزهم شخص ما، وإذا عاملهم شخص ما بقسوة، فإنني أشجعهم بقوة على الكتابة عن ذلك. قرر اثنان من طلابي، في جلسات مختلفة، الكتابة عن العصي التي اختارها آباؤهم بعناية من أشجار الفناء الخلفي لضربهم بها. وطلبت منهم أن يستخدموا هذه الذكريات. فهي ملك لهم. لا يجوز أن يحدث هذا لك بالطبع. لكن، شخصياً، كنت سأكتب عن هذا بدايةً بدافع التوق لإيجاد المغزى من كل شيء وثانياً بدافع الانتقام. وهذا مناسب في حينه، كما قلت لطلابي، مثل أي وقت آخر مناسب لمناقشة التشهير.

التشهير هو الطعن بواسطة كلمة مكتوبة أو منشورة. إنه قول أشياء خبيثة عمداً عن أشخاص يشار إليهم بصفات مزيفة أو مؤذية. هذا يعني أنك إذا عرفت رجلاً لديه عدد من العادات والظروف الشخصية والمهنية الغريبة التي يعرفها أصدقاؤه وعملائه، وإن كان بمقدور هؤلاء الأصدقاء التعرف على هذا الرجل في عملك من خلال هذه العادات والظروف، ربما وجب عليك تغيير التفاصيل التي تكتبها عنه بشكل كبير. فإذا كان مشهوراً مثلاً بامتلاكه أظافر طويلة، فاجعل الحديث عن شعر الأنف بدلاً من ذلك. وإذا صبغ شعره بالأسود، اجعله يستخدم مساحيق التجميل بدلاً من ذلك، ربما مع تلميح بسيط إلى أحمر الخدود. ولكن إذا كشف عن نفسه من خلال أفعاله تجاهك وبدا أنه نرجسي مريض اجتماعياً، فيمكنك محاولة نسخ شخصيته واستخدام المحادثات الفعلية، طالما أن هذا الرجل بعينه لا يمكن التعرف عليه من خلال أوصافك العامة. قم بتغيير كل شيء يشير إليه على وجه

التحديد. واترك ميوله التي تكشف إصابته بهوس السرقة. حافظ على نوع السيارة التي يقودها في الواقع وحقيقة أنه كان يكره المدخنين كثيراً لدرجة أنه زرع نبتةً صغيرة في منفضة سجائر. اجعل نفسك الزوجة الأولى أو الصديقة الأولى، بدلاً من الزوجة الثالثة، ولا تتطرق إلى أطفاله المزعجين، خاصة التوأمين ذوي الشعر الأحمر. إذا نجحت في تمويه هذا الشخص بعناية بحيث لا يمكن التعرف عليه من خلال الحقائق المادية أو المهنية التي تذكرها عن حياته، فيمكنك استخدام شخصيته في عملك. وأفضل نصيحة يمكنني أن أقدمها لك هي أن تمنحه عضواً ذكرياً صغيراً جداً حتى يقل احتمال كشفه.

أعلم أن هذا يجعلني أبدو حاقدةً بعض الشيء.

أعرف طالباً كانت والدت تعاقبه بأن تحرق يده على الموقد في المطبخ عندما كان صغيراً. قلت له «استخدمها».

قال: «إنها عجوز الآن». «ولم تكن حياتها سعيدة».

قلت له وقلبي ينزف: غيّر مظهرها وعمرها والمكان الذي عشت فيه. إذا كنت طفلاً وحيداً، فأضف خمسة أطفال آخرين. وإذا كان هناك ثلاثة أطفال في عائلتك، اجعل الراوي هو الطفل الوحيد. اجعلها أماً عازبة. استخدم الأب الشرير في مكان آخر، في قصة أخرى. وإذا لم يكن ثمة أب، اخترع واحداً.

لقد نجح هذا الرجل في كتابة بعض القصص الجميلة عن طفولته، مع أم لا تشبه والدته جسدياً على الإطلاق. لديها الآن شعر أشقر وعيون كبيرة بنية دافئة، وتعمل في متاجر إي أند بي – وقد أحرقت يد ابنها باللهب عندما تصرف بشقاوة. في إحدى المرات وبعد أن انتهى من القراءة، اندفع الطلاب في نوبة من التصفيق العفوي.

وقعت صديقة لي مؤخراً في حب قسيس غير كاثوليكي والذي بدا مثقفاً

وروحانياً وحنوناً جداً في البداية، ثم تبين بعد ذلك أنه نابليوني قذر ولئيم جداً بكل صراحة. تساءلت عما إذا كان بإمكانها استخدامه كشخصية في كتابها.

فأجبتها: «بالطبع، أرجوك أن تفعلي».

«هل يجب أن أجعله طويل القامة حتى لا يقاضيني؟» قلت: «لا، لا، لا». اجعليه كاتباً لم ينه تعليمه المدرسي، بدلا من طبيب نفسي مثلاً. اجعلي له ماض، وزوجتين، وعدداً من الأطفال لم يرهم منذ سنوات. اجعليه بشعاً، مدخناً، ملحداً. واجعلي عضوه الذكري يشبه بيضة صغيرة في عش طائر. وبذلك لن يجرؤ على كشف نفسه.

ربما هذا ليس مجرد انتقام؛ بل هو مجرد رغبة في قول الحقيقة كما حدثت بالفعل. وربما يتعلق الأمر أيضاً بمحاولة إيجاد مغزى لهذه المعاناة. حسناً. أيّاً يكن. هذه قصيدة لشارون أولدز بعنوان «أعود إلى مايو 1937»، واعتدت أن أوزعها على طلابي في كل صف أدرّبه:

أراهم واقفين أمام البوابات الخارجية لكلياتهم،

أرى والدي يتجول

تحت قوس الحجر الرملي الأصفر،

البلاط الأحمر المتألق مثل

صفائح الدم المقعرة خلف رأسه، أنا

أرى أمي مع بعض الكتب الخفيفة على جنبها واقفة عند العمود المصنوع من الطوب الصغير والبوابة الحديدية المزخرفة لا تزال مفتوحة خلفها،

رؤوسها كالسيوف السوداء في سماء مايو،

إنهما على وشك التخرج، إنهما على وشك الزواج،

إنهما طفلين، أحمقين، كل ما يعرفانه هو أنهما

بريئين، لن يؤذيا أحداً.

أريد أن أصعد إليهما وأقول توقفا،

لا تتزوجا - هذه المرأة لا تناسبكَ،

هذا الرجل لا يناسبكِ، ستفعلان أشياء لا يمكنكما تخيلها على الإطلاق، ستفعلان أشياء شنيعة للأطفال،

ستعانيان بطرق لم تسمعا بها من قبل، ستطلبان الموت. أريد أن أصعد إليهما هناك تحت أشعة شمس أواخر مايو وأقول توقفا،

وجهها الجميل الجائع الأجوف يتجه نحوي، جسدها الجميل المثير للشفقة الذي لم يمسه أحد،

وجهه الأعمى المتغطرس الوسيم يتجه نحوي، وجسده الجميل المثير للشفقة الذي لم يمسه أحد، لكني لا أقول شيئاً. أريد أن أعيش. أنا

أشاركهما مثل ذكر وأنثى

من الدمى الورقية وأضربهما ببعضهما

من الوركين مثل رقائق الصوان كما لو كان

الشرر يتطاير منهما، أقول

افعلا ما تريدان فعله، وأنا سأروي حكاية عنكما.

اعلم أنه إذا كتبت رواية عن زواجكِ، وكان زوجكِ شخصية عامة - سياسياً على سبيل المثال، أو معالجاً - وذكرتِ أشياء رهيبة مثيرة للقلق عن

هذا الشخص، وكلها ربما صحيحة، بما فيها الجزء المتعلق بارتدائه لباس الخادمة الفرنسية الصغيرة حين تمارسان الحب وهذا الفعل الشنيع باستخدام بريلكريم، ستحصلين حتماً على زيارة من محامي الناشر، والذي سيكون قلقاً للغاية وغير مسرور من تصرفك. تكمن المشكلة في أن دار النشر سيكون مسؤولاً عن ملايين الدولارات كتعويض إذا تمكن هذا الزوج من إقناع هيئة المحلفين بأنه تعرض للتشهير. الحل الأفضل ليس فقط تمويه وتغيير أكبر قدر ممكن من الصفات الشخصية بل في جعل الشخصية الروائية شخصية مركبةً أيضاً. لذلك كل ما عليك هو إضافة تلميح بسيط عن عضوه الذكري الصغير جداً وعن كونه معادٍ للسامية، وأعتقد أن كل شيء سيكون على ما يرام.

أنصحك ألا تشعر بالأسف على نفسك عندما تواجه صعوبة في العمل وشعوراً غامراً بالوحدة. يبدو أنك تحبّ أن تكتب، اكتب إذاً. لم تكن مضطراً للتسجيل في هذا الصف. لم أطاردك وأسحبك من شعرك إلى كهفي. أنت محظوظ لأنك من بين هؤلاء الأشخاص الذين يرغبون في بناء قلاع رملية بالكلمات، ويرغبون في خلق مكان يمكن لخيالك أن يتجول في أنحائه. إننا نبني هذا المكان برمال الذكريات، وهذه القلاع هي ذكرياتنا وإبداعنا الذي بات ملموسا. لذلك يعتقد جزء منا أننا لن نفقد شيئاً عندما يصل المد، لأن ما كان هناك على الرمال هو في الواقع مجرد رمز لا أكثر. ويعتقد جزء آخر منا أننا سنكتشف طريقة لتحويل مسار المحيط. وهذا ما يميز الفنانين عن الناس العاديين: الاعتقاد، في أعماق قلوبنا، أننا إذا شيدنا قلاعنا ببراعة كافية، فإن المحيط لن يتمكن من غسلها بطريقة أو بأخرى. وأعتقد أن من الرائع أن يكون المرء من هذا النوع من الأشخاص.

الآن لم يتبق سوى القليل من الوقت لهذا الفصل، ويبدو الأمر كما لو أنها نصف الساعة الأخيرة من المخيم عندما تجتمعون معاً في موقف السيارات

في انتظار تحميل حقائبكم القماشية إلى الحافلة.

أعتقد أنني أخبرت طلابي كل شيء أعرفه عن الكتابة. مهام قصيرة، ومسودات أولية تافهة، وإطارات صور بمقاس بوصة واحدة، وصور فورية، وفوضى، وأخطاء، وشركاء. لكن الكثير من هؤلاء الأشخاص جاءوا إلى صفي يحملون بيدهم أفضل عشر صفحات كتبوها على الإطلاق على أمل نشرها، والآن يتساءلون عما إذا كان هذا مجرد حلم بعيد المنال. لا أعتقد ذلك. ربما لن ينشر معظمها في المجلات الكبيرة أو في المطابع الكبيرة. ولن ينتهي بهم الأمر في البرامج الحوارية وقوائم أفضل الكتب مبيعاً، ولن يكونوا أفضل صديق لديفيد ليترمان أو يقضون وقتاً ممتعاً بصحبة شارون ستون. لن يشتروا منازل كبيرة وكلاباً أصيلة وشوك السمك كحصيلة لنجاح كتاباتهم. سيرغب كثير منهم بحدوث هذه الأشياء أكثر من أي شيء آخر. ولا يصدقون أنهم إذا حصلوا على هذه الأشياء، فمن المحتمل أن ينتهي بهم الأمر بمرض عقلي إضافي والكثير من التوتر والشك أكثر مما هم عليه للتو. على أي حال، لن يحدث ذلك لكثير منهم.

ما زلت أعتقد أنه عليهم الكتابة بكل طاقتهم وكل يومٍ إن أمكن، وطوال حياتهم.

لكن عندما أشير إلى أن الإخلاص والالتزام هما الجائزة الكبرى الخاصة، وأنهم من خلال تفانيهم في مهنتهم سيجدون العزاء والتوجيه والحكمة والحقيقة والفخر، فإنهم ينظرون إليّ بداية بعداء كبير. قد تعتقد أنني عرضت عليهم للتو عضوية في نادي التطريز خاصتي. إنهم أناس غاضبون. لهذا السبب يكتبون.

لذا اسمحوا لي أن اذهب أبعد من ذلك. يعتقد الكثير منا، ممن نشروا أو لم ينشروا أعمالهم، أن حياة الأديب أجمل حياة ممكنة، حياة القراءة والكتابة والمراسلة. نعتقد أن هذه الحياة شبه مثالية. يقول صديق لي تحول

في سن الثامنة عشرة من المسيحية إلى الشعر، إن تلك الحياة تنشّط الروح. إنها تسرّع الفكر. يمكن للمرء أن يجد في الكتابة التركيز المثالي للحياة. فهي تقدم التحدي والبهجة والعذاب والالتزام. إننا ننظر إلى عملنا كموهبة، مع إمكانية أن نصبح أغنياء ومفعمين بالحياة مثل جماعةٍ من الكهنة. يعيش الكاتب على مر السنين العديد من الخبرات التي تحفز الروح وتغذيها. وتعيش هذه الخبرات هادئة وعميقة في الداخل، ولكن غير مصحوبة برعد أو ملائكة ترتجف. قال صديقي توم، القس اليسوعي المثلي، إنه كان يتوق إلى التجارب الروحية طوال حياته، لكن حين يشرب، كان يتوق على وجه الخصوص إلى أن يدخل الكنيسة ويرى تمثال مريم العذراء يلوّح له. وقد حدث ذلك في بعض الأحيان، عندما كان يشرب - تلوح له فقط تلويحات صغيرة سريعة ثم تجلس. ولكن بعد أن أقلع عن الشراب، كان بإمكانه أن يعترف أنه خاض تجربة حقيقية عندما يشعر لاحقاً بشعور غامرٍ بالتحرر في صدره ورئتيه وروحه. لقد رصد طلابي هذا الشعور، خاصة أولئك الذين انضموا إلى مجموعات الكتابة، هذا الشعور بالتحرر الذي، للمفارقة، لا يتحقق إلا بالانضباط.

إن عملك ككاتب يُحدث تغيراً عميقاً أيضاً في حياتك كقارئ. إذ يقرأ المرء بتقدير وتركيز أعمق بعد أن أدرك مدى صعوبة الكتابة، وخاصةً مدى صعوبة جعلها تبدو سهلة. فأنت تقرأ بعين الكاتب. وتركز بطريقة جديدة. وتدرس كيف يصور شخص ما نسخته من الأشياء بطريقة جديدة وجريئة ومبتكرة. تلاحظ كيف يرسم الكاتب شخصية أو حقبة جذّابة من أجلك، دون أن يكون لديك إحساس بأنك قد مُنحت الكثير من المعلومات، وعندما تدرك مدى البراعة في حدوث ذلك يمكنك في الواقع ترك الكتاب جانباً للحظة والاستمتاع بتذوقها، تذوقها فقط.

تمر بي لحظات حين أكتب أعتقد أنه إذا عرف الآخرون ما أشعر به الآن،

فسوف يوقدون النار بي حطباً لأنني أشعر بهذا القدر من المتعة الغزيرة الرائعة الغنية والكبيرة. إنني أدفع ثمناً باهظاً مقابل هذه اللحظات، بالطبع، مع الكثير من التعذيب وكراهية الذات والضجر، لكن عندما أنجز عملي لذلك اليوم، يصبح لدي ما أتباهى به. عندما انتهى قدماء المصريين من بناء الأهرامات، أصبحوا هم من بنى الأهرامات. ربما يجسدون قدوة جيدة: ظنوا أنهم يعملون من أجل الله، لذلك عملوا بحسّ من التركيز والرهبة الدينية. (أخبرني صديقي كاربنتر أيضاً، أنهم كانوا يشربون طوال اليوم ويأخذون استراحة كل بضع ساعات لتدليك بعضهم البعض بالزيت. أعتقد أن جميع أصدقائي الكتاب الآخرين يفعلون ذلك أيضاً، لكنهم لن يسمحوا لي بمشاركتهم).

يبدو أن المجتمع الذي ننتمي إليه يحتضر أو أنه مات بالفعل. لا أقصد أن أبدو مأساويةً، لكن من الواضح أن الجانب المظلم ينهض ويرتفع. لا يعقل أن الأمور كانت أكثر غرابة وخوفاً في العصور الوسطى. لكن تقاليد الفنانين مستمرة بغض النظر عن الهيئة التي يتخذها المجتمع. وهذا سبب آخر للكتابة: يحتاج الناس إلينا، لكي نعكس لهم وللبعض الآخر الحقيقة دون تشويه - لا لأن ننظر حولنا ونقول: «انظروا إلى أنفسكم، أيها الحمقى»، بل لنقول : «هذا ما نحن عليه».

في هذا المجتمع المظلم والجريح، يمكن أن تمنحك الكتابة ملذات نقار الخشب، من خلال نقر حفرة في شجرة حيث يمكنك بناء عشك والقول: «هذا مكاني، هنا أعيش الآن، وإلى هذا المكان أنتمي». وقد يكون المكان صغيراً ومظلماً، لكنك ستدرك أخيراً حقيقة ما تفعله بعد ثلاثين عاماً أو أكثر من التخبط والفشل، وعندما تصبح جاداً، ستتعامل مع الشيء الوحيد الذي كنت تتجنبه طوال الوقت؛ جروحك. وهذا مؤلم جداً. إنه يوقف الكثير من الناس في وقت مبكر عن الخوض في هذا الأمر لأجل الألم. بل يخوضون فيه

من أجل المال والشهرة. لذا فهم إما يعلنون استسلامهم، أو يلجؤون إلى نوع من الكتابة يشبه صنع الحلوى.

لا تقلل من شأن هذه الهدية المتمثلة في العثور على مكان لك في عالم الكتابة: إذا كنت تعمل حقاً على وصف الحقيقة بطريقة إبداعية على الورق كما تفهمها وكما عشتها مع الشخصيات أو الأفكار الخام الموجودة في داخلك، والذين يطلبون منك مساعدتهم ليتحولوا إلى كلمات مقروءة، فسوف تصل إلى شعور سري غامر بالشرف والاعتزاز. أن تكون كاتباً يعني أن تكون جزءاً من تقليد نبيل، وكذلك أن تكون موسيقياً - آخر المناصرين لمذهب المساواة والجمعيات المفتوحة. بغض النظر عما يحدث من حيث الشهرة والثروة، فإن التفاني في الكتابة هو خطوة للأمام من حيث كنت من قبل، عندما لم يكن يعنيك التواصل مع العالم وعندما لم تكن تأمل في أن تضيف بصمتك، وعندما كنت مكتفياً بالوقوف هناك تؤدي عملاً ما غرقت فيه حتى الثمالة.

حتى لو لم يقرأ أحد مذكراتك أو قصصك أو روايتك سوى الأشخاص الموجودين في مجموعتك الكتابية، حتى لو كتبت قصتك فقط كي يعرف أطفالك يوماً ما كيف كانت الحياة عندما كنت طفلاً وكنت تعرف اسم كل كلب في البلدة، مع ذلك، فإن قيامك بكتابة روايتك أو حكايتك يبقى عملاً مشرفاً ونبيلاً. لأنك نجحت في وضع حياتك على الورق رغم كل الصعاب، حتى لا تضيع. ومن يدري؟ ربما ما كتبته يساعد الآخرين، وقد يكون جزءاً صغيراً من الحل. ليس عليك حتى أن تعرف كيف أو بأي طريقة، ولكن إذا كنت تكتب أوضح وأدق الكلمات التي يمكنك أن تجدها وتبذل قصارى جهدك لفهمها والتواصل معها، فسوف يتألق هذا على الورق مثل منارة صغيرة. لا تسير المنارات في جميع أنحاء الجزيرة بحثاً عن القوارب لإنقاذها؛ بل تكتفي بالوقوف هناك بكل إشراقها.

أنت ببساطة تدون كلمة تلو الأخرى، كما تسمعها وحالما تصل إليك.

يمكنك إما صفّ الطوب كعاملٍ أو كفنان. يمكنك جعل عملك روتينياً مملاً، أو يمكنك قضاء وقت ممتع معه. يمكنك العمل بالطريقة التي اعتدت عليها عند غسل أطباق العشاء في الثالثة عشرة من عمرك، أو يمكنك القيام بذلك كما يقوم شخص ياباني بطقوس إعداد الشاي، بمستوى عالٍ من التركيز والعناية والتي يمكن أن تفقد نفسك فيها، أو بمعنى آخر يمكنك أن تجد نفسك فيها.

في بعض الأحيان، ومهما بدت الأشياء فاشلة، أشعر أننا جميعاً في حفل زفاف. لكن لا يمكنك فقط الخروج والقول، نحن في حفل زفاف! تناولوا بعض الكعك. لا بدّ أن تصنع لنا عالماً يمكننا الدخول إليه، عالماً يمكننا فيه رؤية ذلك. بالأمس كان هناك كلب صحراوي عجوز في شريط رسوم كرتونية، جالساً وظهره مقابل الصبار، يكتب خطاباً لأخيه يقول فيه: «في الليل تغرب الشمس، وتظهر النجوم؛ ثم تشرق الشمس مجدداً عند الصباح. من الممتع جداً أن تعيش في الصحراء». هذا هو حفل الزفاف، أليس كذلك؟ إن المشاركة في هذا الحفل تتطلب الانضباط الذاتي والثقة والشجاعة، لأن هذا العمل الذي يتضمن أن تصبح واعياً، وأن تكون كاتباً، يتعلق في نهاية المطاف بسؤال نفسك، كما قالت صديقتي ديل، إلى أي مدى أنا راغبٌ في أن أكون على قيد الحياة؟

أفضل شيء في كونك فناناً، بدلاً من أن تكون رجلاً مجنوناً أو شخصاً يكتب رسائل إلى المحرر، هو أنك ستنخرط في أداء عملٍ مُرضٍ. حتى لو لم تنشر كلمة واحدة على الإطلاق، فإن لديك شيئاً مهماً تسكب خلاصة نفسك فيه. سيصيح والداك وأجدادك: «لا تفعل ذلك، لا تجلس، لا تجلس»، وسيتعين عليك أن تفعل ما كنت تفعله عندما كنت طفلاً: أخرس أصواتهم واستمر في استكشاف الحياة.

ثم أنظر إلى وجوه طلابي، وهم يبادلونني النظر بجدية.

«إذاً، هلّا ذكّرتنا مجدداً لم الكتابة مهمة ؟» يسألون. فأجيب: «بسبب الروح. وبسبب القلب. إن الكتابة والقراءة تخففان من إحساسنا بالعزلة. وتعمقان وتوسعان وتطيلان إحساسنا بالحياة: إنهما تغذيان الروح. عندما يجعلنا الكُتّاب نهز رؤوسنا إعجاباً بدقة نثرهم وحقائقهم، وحتى عندما يجعلونا نضحك على أنفسنا أو على الحياة، فإننا نستعيد بهجتنا. لقد منحنا فرصة للرقص مع عبثية الحياة، أو على الأقل التصفيق معها، بدلاً من أن نسحق بسببها مراراً وتكراراً. إن الأمر أشبه بالغناء على متن قارب أثناء هبوب عاصفة هوجاء وسط البحر. لا يمكنك إيقاف العاصفة الهائجة، لكن الغناء يمكنه أن يهدئ قلوب وأرواح الأشخاص الموجودين معك على متن تلك السفينة.»



أود أن أعرب عن امتناني العميق للجهات التالية، للسماح لي بإعادة طباعة المواد المنشورة سابقاً:

كتب ألجونكوين في تشابل هيل: مقتطفات من «الحب العصري»، ومن «التعافي من توم»، حقوق النشر - 1994 بواسطة أبيجيل توماس. أعيد طبعها بإذن من كتب ألجونكوين في تشابل هيل.

فريدريك بوشنر: مقتطف من مقال بقلم فريدريك بوشنر من المهام الروحية: فنّ وحرفة الكتابة الروحية، مقدمة بقلم وليام زينسر (هوتون ميفلين، 1988). أعيد طبعها بإذن من فريدريك بوشنر.

مؤسسة ألفريد أ. نوبف: «أعود إلى مايو 1937» من الخلية الذهبية بقلم شارون أولدز، حقوق الطبع والنشر - 1987 لشارون أولدز. أعيد طبعها بإذن من شركة ألفريد أ. نوبف.

فيليب لوباتي: مقتطف من «نحن أقرب أصدقائك»، من لا ترغب العيون بأن تبقى مفتوحة دائماً بقلم فيليب لوباتي (صن برس، 1972). أعيد طبعها بإذن من فيليب لوباتي.

إصدارات ميلكويد: مقتطف من «أغسطس في واترتون، ألبرتا»، من الموتى يتغلبون على كل شيء (إصدارات ميلكويد، 1991)، حقوق النشر - لعام 1991 بواسطة بيل هولم. أعيد طبعها بإذن من إصدارات ميلكويد.

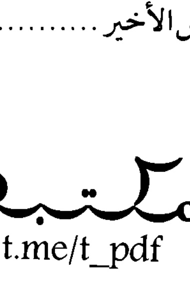
بانتيون بوكس: مقتطف من «الوردة البرية» من مداخلات بقلم ويندل بيري، حقوق النشر - 1992 بقلم ويندل بيري؛ مقتطف من «تموجات على السطح» من لا أيتها الطبيعة: قصائد جديدة ومختارة بقلم جاري شنايدر،

حقوق النشر - 1992 بواسطة جاري شنايدر. أعيد طبعها بإذن من بانثيون بوكس، قسم من شركة راندوم هاوس.

باربرا ستيفنز: مقتطف من مقابلة مع كارول شوت بقلم باربرا ستيفنز (قطار جليمر، خريف 1992). أعيد طبعها بإذن من باربرا ستيفنز.

ثريشولد بوكس: مقتطف من «الصناديق الغامضة» للرومي، من كتاب السرّ المعلن. أعيد طبعها بإذن من ثريشولد بوكس، RD 4، Box 600، Putney، VT 05346.

المحتويات


مكتبة
t.me/t_pdf

طائرٌ إثرَ طائرٍ

"هدية لنا جميعاً، نحن الفانون، ممن يكتبون أو رغبوا يوماً في الكتابة.... كتاب مضحك جداً، حكيم جداً، غريب الأطوار ونزق في آن ولطيف في آن آخر - دعوة للترجل عن صهوة هزائمنا والبدء في الكتابة الآن، طالما لا يزال بالإمكان".

صحيفة سياتل تايمز

"إنّ كتاب طائر إثر طائر يستحق القراءة إن لم يكن بغرض الاستمتاع بأسلوب لاموت النثري الرائع المؤثر والفكاهي في كثير من الأحيان، فمن أجل الأخذ بالنصائح القيّمة التي تقدمها والتي لا تقلّ روعة عن الأسلوب".

فوربس

"تدرك آن لاموت أفضل من أي شخص آخر أن الكتّاب بحاجة إلى المساعدة.... إنها ضليعة جداً في الكتابة، في الواقع، لدرجةٍ يصعب معها تصديق أنها أيضاً تواجه مشاكل أثناء الكتابة. وهذا بالضبط ما يجعل هذا الكتاب يبعث على الارتياح العميق".

صحيفة وول ستريت جورنال


ISBN 978-603-91676-6-2

تصميم الغلاف : أحمد الصباغ

